

أخبار العباد وآثار البلاد

بسام مرتضى

دار المحجة البيضاء

أخبار العباد
وآثار البلاد

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبار العباد وآثار البلاد

بسام مرتضى

دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الرويس - خلف محفوظ ستورز - بناية رمال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٢/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧

E-mail:almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com

info@daralmahaja.com

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى من الأنبياء والمرسلين وعلى الآل والصحب الميامين.

وبعد... فإن التاريخ مملؤ بالأحداث، وأهم ما يواجهه المرء فيه هو تفسيره لأنَّ أحداثه ليست بمنأى عن الأسباب، فالأسباب هي جواهر الأحداث سقوطاً وارتفاعاً للأمم وحضاراتها.

والحضارة العظيمة لا يمكن أن نتصور لها العمر الطويل إلا من خلال وضع أخلاقها، وعدم نزاع طبقاتها، وأحوال اقتصادها، واللاإستبدادية في حكمها ونظامها.

وهي إمَّا أن تنتهي ويُقضَى عليها من خارج، وهو أمر سيكون عسيراً جداً على عدوٍ يبغي السيطرة عليها، إذا كانت متماسكة من الداخل، وإمَّا أن تنتهي من الداخل إنعكاساً لوضعها الداخلي.

ولعلنا نقرب من فهم الوقائع والأحداث التاريخية، إذا حلَّلناها بتجردٍ وموضوعية، وفي ضوء السنن العامة التي تحكم التاريخ، وما أحدثنا ونُحدث فيه من عقم.

هناك قوانين فعل وردُّ فعل، هناك تحديات وصمود، هناك أحرار وغير أحرار، كل هذا يلعب دوراً في: لِمَ، وكيف، والنتيجة.

لم يكن سقوط روما من قِبَل عدوٍ خارجي، بل كان من داخلها، من فساد أخلاقها، ونزاع طبقاتها وحكامها.

وروما ليست إلا نموذجاً لقاعدة عامة، وهي: أنَّ الدولة لا يغلبها على أمرها غزو البرابرة لها من خارج، بل غزو البرابرة لها من الداخل.

وحوش الداخل هم الأسباب الحقيقيون للهلاك والسقوط.

وفي أخبار العباد وآثار البلاد في هذا الكتاب، تقف أيها القارىء على أسبابٍ تقتطفها بنفسك رغم تفرقها لأنها تخضع لقواعد عامة في حركة التاريخ المصنوع من قِبل روَّاده.

صفات معينة، مواقف، إرضاء شهوات، خضوع، قهر، استغلال، استعباد، نفود، هيمنة، فقدان الحرية السياسية، فقدان الإيمان، فوضى الأخلاق، كل هذا وسواه تراه في الحديث والأثر بحيث يعطيك صورة واضحة، وفكرة نيِّرة عمَّا عصف بالتاريخ من ظروفٍ قاسية، سواء ظروف ذلٍّ ومهانة أو ظروف عزٍّ وترفُّع.

وإن كان ولا بد من إطالة عمر حياة الدولة والنظام، فلا بد من الرجال الأوفياء المجالدون، الذين لا يُضعفهم إغراء الدنيا، ولا ما يحيط بهم من غوايات.

لا بد من تحويل أفكار الناس عن السعي وراء ما يضعف الشخصية، ويكون عاملاً في الإنحلال، والضعف، والسقوط، إلى ما

يكون سعياً وراء النجاة العامة، والإنقاذ مما يهدد العالم من الدمار والإفلاس والزوال.

وهذا مما لا يمكن أن يتحقق إلا بالإنفتاح على الآخر وعدم النظر إليه بمنظور الدُّونية كما هو حاصل دوماً، فإنَّ هذا الشعور عندما يكون لن يكون مفتاحاً لأي حل. وبالتالي فإن «الصِّغار» سيلجأون إلى القوة والمقاومة حينئذٍ ـ مهما كلفهم ذلك من أرواحٍ وخسائر ـ لأنه ليس لديهم شيء يخسرونه طالما أنهم يريدون كسب قضيتهم العادلة، وحريتهم الكريمة.

ربما كانت عِبر الأحداث، وأخبار العباد تساعد على الإنقاذ، والقضاء على عقائد وأفكار، وسياسات همجية، وتغليب لمعايير الحق على معايير الباطل، فإن هذه الدار لا ريب محتومة الفناء، وكل أمّة لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين.

بسام مرتضى

الجزء الأول

«وأخذوا يميناً وشمالاً، طعناً في مسالك الغي، وتركاً لمذاهب الرشد، فلا تستعجلوا ما هو كائن مُرصَد، ولا تستبطئوا ما يجيء به الغد، فكم من مستعجلٍ بما أن أدركه ودَّ أنه لم يُدركه. وما أقرب اليوم من تباشير غد...».

أمير المؤمنين(ع)

الفصل الأول

البداية

هي البداية تبدأ من خلق آدم وحواء ونزولهما إلى الأرض بأمر الله سبحانه ومشيئته، لتنفذ إرادته في خلقه، وتتحقق خلافته الجليلة إذا ما جسَّدها آدم على الأرض بحقٍ وعدل.

لقد كانت حواء زوجة آدم ـ على ما قيل وروي ـ تلد في كل بطنٍ توأمين ذكراً ثم إذا حملت حملاً آخر ولدت توأمين أُنثى، وكان كل ذكرٍ يتزوج من أخته المولودة في البطن أو الحمل الآخر، ولم يكن هناك وحي أو تشريع يحرِّم أيَّ عملٍ من هذا النوع أو غيره بعد، ولكنه حُرِّم بعد التناسل والتكاثر شيئاً فشيئاً بالوحي وبعث الأنبياء والرسل. ولعلَّ في بعض الآيات القرآنية ما يؤيد ما ذكرنا من خلال قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾[1].

وفي سِفر اللاويين: ١٨: ٩ ـ ٢٠.

«وقد تزوج قايين إحدى أخواته وفيما بعد، طبعاً حرَّم الله الزواج بين مثل هؤلاء الأقرباء الأقربين».

---

(١) سورة النساء، الآية: ١.

*** قابيل وهابيل إبنا آدم عليه السلام:**

روي: أنه ولمَّا كان قابيل مصرَّاً على التزويج من أخته التي لا يريد أبوه آدم أن يزوجها له، ـ وقد اختارها لأخيه هابيل ـ. التوأم دون أخت هابيل التي ولدت معه، لأن أخت قابيل التي كان يريدها، كانت أكثر حُسناً وجمالاً من الأخت الأخرى، طلب منهما والدهما أن يُقدِّم كل منهما قرباناً، فإن تُقبِّل من أحدهما كان للمتقَبَّل منه ما يريد.

وكان قابيل يبذر القمح ويحصده، وكان هابيل لديه ماشية يرعاها.

فقدَّم قابيل قمحاً رديئاً، وقدَّم هابيل أبكاراً من غنم. وقيل: بقرة. فأتى شهاب من السماء والتهم ما قدَّمه هابيل، وكان ذلك علامة قبوله، ولم تأتِ النار أو الشهب على قمح قابيل.

فحسد قابيل أخاه هابيل على ذلك، وخسر ما أراده، فسوَّلت له نفسه قتل أخيه حسداً وغيظاً ووقع في الشر وقتل أخاه هابيل ثم أصبح بعد ذلك من الخاسرين، النادمين. ولمَّا كان قد ترك قابيل أخاه ميتاً مكشوف العورة بعث الله سبحانه غراباً يرمي عليه التراب يستره ليريه بذلك سوء صنيعه، وشناعة فعله.

لقد كان بإمكان هابيل أن يدفع القتل عن نفسه، لكنه فضَّل أن يُؤذَى على ألا يؤذي، وأن يتحمل أخوه إثم إذية الإقدام والقتل معاً. وكأنَّ قابيل بفعلته هذه قد سنَّ سُنَّة الشر على مرِّ التاريخ بأن يتجرأ الأخ على قتل أخيه ـ كما يحصل اليوم ـ عندما يغيب الخير عن ذهن البشر، وتثور الأطماع والحسد في النفوس المريضة.

يقول أمير المؤمنين ﷺ في هذا المضمار:

«. . . واتخذوا التواضع مسلحة بينكم وبين عدوكم إبليسَ وجنودِه. فإنَّ له من كل أمةٍ جنوداً وأعواناً، وَرَجْلاً وفرساناً، ولا تكونوا كالمتكبر على ابن أمه من غير ما فضل جعله الله فيه، سوى ما ألحقت بنفسه من عداوة الحسب، وقدَحَت الحميّة في قلبه من نار الغضب، ونفخ الشيطان في أنفه من ريح الكِبر، الذي أعقبه الله به الندامة، وألزمه آثام القاتلين إلى يوم القيامة».

إبن أمه: قابيل المتكبر على هابيل. وسمَّاه ﷺ: ابن أمه مع أنه من أمّه وأبيه، لكونهما أخوين يحنّان إلى بعضهما البعض حنان الأم لولديها، ولأن الأخوين من الأم أشدّ حُنُوّاً ومحبة والتصاقاً من الأخوين من الأب.

قرّب قابيل شرّ ماله وقرَّب هابيل خير ماله، فتقبل الله سبحانه من هابيل وأهبط من السماء ناراً فأكلته فحسد قابيل هابيل فقتله، وندم على ذلك ندم الطبع البشري الرقيق لا ندم التوبة، فحار ماذا يفعل به حتى بعث الله سبحانه الغراب.

عداوة الحسب: الطبيعة الخيّرة التي في أخيه هابيل. «ووقع في حسبكم»: أي: عاب الشيطان حَسَبَكم وهو الطين؛ فقال: إن النار أفضل منه. ودفع في نسبكم مثله.

«وألزمه آثام القاتلين إلى يوم القيامة» لأنه كان ابتدأ القتل، ومَن سنَّ سُنَّةُ شرّ كان عليه وزرها ووزر مَن عمل بها إلى يوم القيامة، كما أن مَن سَنَّ سُنَّة خير كان له أجرها وأجر مَن عمل بها إلى يوم القيامة.

*** النبي شيث:**

ذكروا أن ولادته كانت بعد مضي ١٢٠ سنة لآدمﷺ وبعد قتل هابيل بخمس سنين. ومعنى «شيث»: هبة الله، وهو خَلَفٌ من «هابيل» ووصي آدمﷺ.

قال إبن عباس: كان معه توأم حين ولد لا بغير توأم.

ولما حضرت آدم الوفاة عهد إلى «شيث» وعلّمه ساعات الليل والنهار، وعبادة الخلوة في كل ساعة منها، وأعلمه بالطوفان، وصارت الرياسة بعد آدم إليه، وأنزل الله سبحانه عليه خمسين صحيفة، وإليه أنساب بني آدم كلهم اليوم.

*** انوش بن شيث:**

قال إبن عباس: ولد لشيث أنوش، وولد معه نفر كثير، ثم ولد لأنوش بن شيث إبنُهُ «قينان» من أخته نعمة بنت شيث، بعد مضي ٩٠ سنة من عمر «أنوش». وولد معه نفر كثير وإليه الوصية. وقام «أنوش بن شيث» بعد موت أبيه بسياسة الملك وتدبير مَن تحته من رعيته.

*** خنوخ:**

قيل: هو إدريس النبي الذي لم يمت، وإنما رفعه الله تعالى إليه لحكمةٍ، ومعجزة في الأحياء. وكان يخيط الثياب بتعليمٍ ووحي من الله سبحانه في كيفية التفصيل والصنع. والعلوم كلها إلهامات، وبلاؤها الإتجاه بها إمّا نحو الخير وإمّا نحو الشر.

وكانﷺ يأمر قومه بطاعة الله سبحانه وينهاهم عن معصيته بما يوحى إليه من أمرٍ ونهي، فإن للشيطان أتباع في كل قوم، وفي كل عصرٍ

ومصر. وهل يترك اللعين عباد الرحمان بخير وهو العدو اللدود لهم، والفَرِح بضلالتهم وحشرهم إلى جهنم معه؟

*** إسماعيلﷺ:**

وُلِدَ النبي إسماعيلﷺ من هاجر جارية والده النبي إبراهيمﷺ ووُلِدَ النبي إسحاقﷺ من سارة زوجة النبي إبراهيمﷺ وقد ولدته ـ كما يُروى ـ وهي عجوز في سن التسعين.

عاش إسماعيلﷺ في مكة مع أمه هاجر بعد أن فصل إبراهيمﷺ بين هاجر وسارة في المكان والمنزل. قيل: لشدة المشاحنة والغَيرة من سارة لهاجر وإنجاب سارة متأخرة جداً لإسحاقﷺ مع رغبتها وتمنيها لولد. وهذا وإن كان لا يخلو من طبيعة المرأة لكن مصلحة الله سبحانه وحكمته فوق كل الإعتبارات النفسية والشخصية، فمصلحة بناء البيت والكعبة الشريفة وظهور النبي محمدﷺ من سلالة إسماعيلﷺ ومجيئه بدين الإسلام والتوحيد في تلك المنطقة المباركة، مكة المكرَّمة هي المصلحة الأهم من كل شيء.

تزوج إسماعيلﷺ من قبيلة «جرهم» التي نزلت بجوار مكة التي كانت خالية من الماء والكلأ والبشر، وكانوا عُرْبَاً تعلم منهم إسماعيل العربية.

عاش إسماعيلﷺ أحضان الطفولة الوحيدة المُعْجز في مكة مع أمّه هاجر ثم تزوج فيها واستقر ـ وقيل: بدَّل زوجة بأخرى لسوء خُلقها، وأمْرِ أبيه إبراهيمﷺ له بذلك، فغيَّر عتبة داره ـ ومن ثَمَّ كان بناء البيت، الكعبة المشرَّفة يداً بيد، الإبن مع أبيه لتكون رمزاً للدين والعبادة والتوحيد، وتمهيداً لظهور وولادة بني الإسلام محمدﷺ.

وتوفيت سارة عليها السلام ولها مائة وسبع وعشرون سنة على ما قيل. وأنزل الله سبحانه على إبراهيم عليه السلام عشر صحائف، كانت كلها أمثالاً.

وهو أول مَن اختتن ليكون الإختتان بعد ذلك سُنَّة إبراهيمية، طاهرة حنيفية، يُقرُّها الإسلام ويمضيها لما فيها من الفوائد الصحية.

ومن وُلد إسماعيل عليه السلام نشر الله تعالى العرب، فقد ولدت له زوجته الثانية ـ على ما روي ـ إثني عشر ولداً، وبعثه ربُّ العالمين رسولاً إلى العماليق وقبائل اليمن.

* آزر:

لقد كان «آزر» الرجل الذي يخاطبه إبراهيم عليه السلام بقوله: «يا أبتِ». والذي يترجح من خلال الآيات القرآنية أن «آزر» كان عم إبراهيم المتكفل برعايته وليس والده الحقيقي.

فقد استعمل القرآن الكريم لفظة (الأب) للوالد والعم، وقد ترد للجد أيضاً مثل قوله تعالى حكاية عن النبي يعقوب عليه السلام: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ فإبراهيم جد يعقوب وإسماعيل عمه وأطلق على كل منهما لفظة «الأب» ومثل قوله تعالى عن يوسف ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾.

فإسحاق جد يوسف وإبراهيم جد أبيه وأطلق على كل منهما «الأب».

وقد نهى الله سبحانه وتعالى إبراهيمﷺ عن أن يستغفر لأبيه «آزر» بعد أن اختار طريق الضلال، وبعد ذلك يعود إبراهيمﷺ فيستغفر لوالديه في آخر حياته «ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقومُ الحسابُ».

ومعنى هذا أنهﷺ لم يستغفر لآزر الذي كان قد نُهي عن الإستغفار له من قبل، وإنما استغفر في دعائه الأخير لأبيه الحقيقي، وإلا كان عاصياً، وهذا غير ممكن.

ومن هذا يظهر أن لفظ الوالد يُستعمل للأب الحقيقي، وأن لفظ «الأب» يُستعمل للأب الحقيقي وغيره أيضاً. وفي الروايات: أن إسم والد إبراهيمﷺ «تارح» أو «تارخ».

ومبنى هذا التأويل كله هو ذهاب الإمامية الإثني عشرية إلى أن الأنبياء جميعهم لا يصح أن يكونوا من أرومة أو سلالة سُفاحٍ أو وثنية.

*** بيت المقدس:**

قيل: أصاب الناس زمن نبي الله داودﷺ طاعون جارف فخرج بهم إلى موضع بيت المقدس حيث كان يرى الملائكة تعرج منه إلى السماء، ولهذا قصدهﷺ ليدعو فيه.

فلمّا وقف موضع الصخرة دعا الله تعالى لكشف الطاعون عنهم فاستجاب له ورُفع الطاعون، واتخذوا بعد ذلك، ذلك المكان مكاناً للعبادة والخشوع وسُمي مسجداً.

وكان الشروع في هيكلية بنائه لإحدى عشرة سنة من ملكه ـ كما يذكر بعض المؤرخين ـ وتوفي قبل أن يتم بناؤه، وأوصى إلى إبنه

سليمان ﷺ بإتمامه، فبناه بالرخام، وزخرفه ورصَّعه بالجواهر، وقوي على ذلك البناء العظيم بالجن والشياطين الذين كانوا مسخَّرين له ﷺ.

وكان سليمان ﷺ يتجرد للعبادة في بيت المقدس السنة والسنتين، والشهر والشهرين، ومات وهو متكىء على عصاه.

وقصة داود وإبنه سليمان ﷺ مروية بشكلٍ أكثر وضوحاً وتفصيلاً في القرآن الكريم فلا نكرر.

* **ذو القرنين:**

قيل: هو الإسكندر المقدوني. وقيل: هو قورش الفارسي. وقيل غير ذلك، والكل غير ثابت، والله أعلم به.

ذكروا أن ملكه كان أربع عشرة سنة. ملك المشرق والمغرب، ودانت له كل البلاد إلى أن اتصل بديار يأجوج، وهم قوم من الترك ـ كما ذُكر ـ كانوا كثيرين، مفسدين في الأرض.

طلب قوم من البلاد التي وصل إليها ذو القرنين أن يبني ذو القرنين لهم سداً بين الجبلين اللذين يأتي منهما قوم يأجوج ومأجوج إليهم، لدرأ الخطر عنهم.

فلبَّى ذو القرنين لهم الأمر وبنى لهم سداً منيعاً ممتنعاً بالحديد الخالص الذي لا يمكن نقبه، فما استطاع بعد ذلك قوم يأجوج ومأجوج اجتيازه ولا اختراقه بأية آلة، ودُرأ الخطر عن أهل تلك البلاد.

وقيل في ذي القرنين أنه نبي، وقيل: أنه ملك مصلح.

والمهم أنه كان مصلحاً في الأرض، ملهماً بإقامة الحق والعدل، ومؤتياً القوة والعزم.

وعن السدّ قيل: أنه سدُّ الصين اليوم، ولكنه بعيد تاريخاً، مضافاً إلى أنه لا وجود للحديد فيه.

* عانى كثير من الأنبياء مع بني إسرائيل، وأكثرهم عناءً كان نبي الله موسى عليه السلام مع أخيه نبي الله هارون عليه السلام وقصتهما في القرآن الكريم بالتفصيل مقصوصة.

وذُكر أن موسى عليه السلام مات في حفرة خضراء حفرتها الملائكة نام فيها وتنفس ثم مات، وأمَّا هارون عليه السلام فمات على سريرٍ نام عليه ثم رُفع إلى السماء، وكان ذلك أثناء التيه لبني إسرائيل (الأربعون عاماً) الذي كُتب عليهم، والله العالم.

* بعد وفاة موسى وهارون عليهما السلام، ذُكر أنه بُعث يوشع بن نون الوصي والنبي، وفتح الله سبحانه على يده مدينة الجَبَّارين.

* قيل: إنَّ قارون صاحب كنوز الأرض كان إبن عم موسى عليه السلام جعل جعلاً لفاجرة كي تدعي على موسى فجره وزناه بها.

ولمَّا برَّأ سبحانه وتعالى ساحته، وأقرَّت أمام القوم بإغراء قارون لها بالمال لقاء اتهام موسى عليه السلام بتلك التهمة، دعا عليه موسى وعلى مَن شاركه وتبعه فخسف بهم الأرض.

* ذُكر في القرآن الكريم أنَّ بني إسرائيل عوقبوا مرتين لأجل استكبارهم في الأرض.

وقد كانت العقوبة الأولى لهم على يدٍ نبوخذ نصر وجنوده، ثم ردَّ الله تعالى لهم الكرَّة عليهم، وكان لهم القوة والبأس، والكثرة العددية والغلبة، لكنهم هُزموا مرَّة أخرى مع «جودرس» وجنوده، وكانت أعظم من الوقعة الأولى مع نبوخذ نصر، حيث كان فيها خراب بلادهم وسبي ذراريهم ونسائهم.

* ذُكر أن ولادة يحيى بن زكريا كانت قبل المسيح بثلاث سنين. وقيل: قبل بستة أشهر، وهو النبي يوحنا كما قيل. وقد أتاه الله سبحانه العلم والحكمة والفصل والحكم بين الناس، وهو لا يزال صبياً لم يبلغ الحُلُم أو سِن البلوغ. وهذا لا شك من المعاجز الإلهية.

* مات يحيى ﷺ قتلاً على يد بني إسرائيل، كعادتهم في قتل مَن يخالفهم من الأنبياء. وقالوا: أنه لمَّا سمع أبوه زكريا ﷺ ـ الذي كان يتمنى أن يُرزق بولدٍ وكان إتيانه إياه معجزة لعقم وكِبَر سن زوجته ـ بمقتله فرَّ هارباً من بني إسرائيل خوفاً من قتله أيضاً، ودخل بستاناً عند بيت المقدس، فلحقه بنو إسرائيل وتبعوه، ولمَّا سُدَّ في وجهه سبيل الهرب وأصبحوا خلفه، فُتحت له شجرة وشُقت نصفين، واختبأ بداخلها، لكن طرف ثوبه بقي ظاهراً، فعلم بنو إسرائيل باختبائه بداخلها بعد أن دلَّهم إبليس على مكانه، ونشروا الشجرة ونشروه معها ومات زكريا تلك الميتة الفظيعة.

وسواء صحَّت هذه القصة أم لم تصح فإن هذا الفعل من المارقين عن الدين ليس ببعيد.

*** أصحاب الأخدود:**

هم من أهل النصرانية الصحيحة بعد ظهور النبي عيسى المسيح ﷺ قتلهم ملك معروف بذي نواس، وهو ملك من ملوك حِميَر كان ينجران المسيحية، وإسمه يوسف بن شرحبيل. وأصحاب الأخدود المؤمنين بديانة المسيح الحقَّة، كانوا من أهل اليمن، قتلهم وأحرقهم بالنار لإيمانهم بالله وتوحيده، ورفضهم لديانة الملك الوثنية، وانحرافاته السلوكية.

فأمر بحفر أخدود (حفره في الأرض) وإضرامها ناراً، فلمَّا رفضوا الرجوع عن دينهم وإقراره على رأيه أمر بإلقائهم فيها أحياء، وماتوا حرقاً شهداء، سرايا إلى الله.

وقد قصَّ القرآن الكريم قصتهم بشيء من التفصيل في سورة البروج، بقوله تعالى: «قُتِل أصحاب الأخدود» «النار ذات الوقود» «وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود».

*** زكريا ﷺ:**

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾.

كان طلب زكريا ﷺ الآية من ربه لأجل الحصول على الطمأنينة بحقيقة الوحي، رحماني أم شيطاني لا لأجل أن يستدل على حمل امرأته ويعلم وقت الحمل.

فكانت الآية: اعتقال لسانه ثلاثة أيام لا يقدر على تكليم أحد،

ويعتقل لسانه إلا بذكر الله وتسبيحه. وهذه الآية لا يقدر عليها الشيطان لمكان العصمة.

ويؤيد هذا الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام. ففي تفسير العيَّاشي عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: إنَّ زكريا لما دعا ربَّه أن يهب له ولداً فنادته الملائكة بما نادته به، أحبَّ أن يعلم أن ذلك الصوت من الله، فأوحى إليه أن آية ذلك أن يُمْسَك لسانه عن الكلام ثلاثة أيام، فلما أُمسك لسانه ولم يتكلم علم أنه لا يقدر على ذلك إلا الله، وذلك قول الله: ﴿رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾.

وورد في إنجيل لوقا: أن جبرائيل قال لزكريا: «وها أنت تكون صامتاً ولا تقدر أن تتكلم إلى اليوم الذي يكون فيه هذا، لأنك لم تصدق كلامي الذي سيتم في وقته»(١).

وهذا مخالف لما عندنا لما فيه من تكذيب الأنبياء وعدم عصمتهم.

---

(١) لوقا: ١ ـ ٢٠.

الفصل الثاني

أسماء ما قبل الميلاد

*** يقتل اخاه:**

في عام ٤٠١ ثار قورش الأصغر على أخيه أرتخشتر الثاني، واستعان عليه باسبارطة وجنود من المرتزقة. والتقى الأخوان المتقاتلان في كونكسا بين دجلة والفرات. وهُزم قورش وقُتل وأُسر جيشه كله أو أُبيد عدا اثني عشر ألفاً من اليونانيين الذين استطاعوا الفرار إلى داخل بلاد بابل ومن ثم ـ بعد مطاردة قوات الملك لهم ـ إلى بلادهم اليونان بعد خمسة شهورٍ من السير على الأقدام عبر البلاد الوعرة والمعاناة القاسية الشديدة، وكان عددهم ٨,٦٠٠ شخص.

*** الإسكندر المقدوني:**

التقى «ديجين» أو «ديوجانس» الفيلسوف اليوناني صاحب الفلسفة التقشفية، الإسكندر المقدوني في كورنتة من بلاد اليونان بعد خضوعها له، وكان قائماً في الشمس، قال له الإسكندر: أنا الإسكندر الأكبر. وأجابه الفيلسوف: وأنا ديجين الكلب.

وقال له الإسكندر: اسألني: أي شيء تريد. فأجابه: ابتعد حتى لا تحجب عني الشمس.

* يروى أن الإسكندر المقدوني عرض على قواده في حفلٍ من احتفالاته أن يتباروا في شرب الخمر، وفي مأدبة من المآدب شرب خابية من الخمر تُقدَّر بغالون ونصف، وعلى إثرها أُصيب بالحمى والهذيان، وبقي محموماً إلى أن مات وكان في الثالثة والثلاثين من عمره.

هكذا كانت نهاية «الفاتح» العظيم.

أكان ـ يا ترى ـ يكافح من أجل ما في دمه من تراث الهمجية، وحب إراقة الدماء الغزيرة أم لجلب «الرقي والحضارة» إلى الشعوب الأخرى؟

لمَّا سأله قواده مرة لمن يترك ملكه من بعده أجابهم: إلى أعظمكم قوة.

من المعلوم أنه قد أحرز في حروبه انتصاراتٍ كثيرة إلا أنه انهزم أخيراً في «فتح» الهند التي فتح المسلمون قسماً كبيراً منها بالتوحيد فيما بعد.

* يعتبر أغسطس قيصر (٦٣ق.م) مؤسس الإمبراطورية الرومانية. فتح إسبانيا وسويسرا وكثيراً من بلدان العالم. وكان ديكتاتور روما بلا منازع.

* غوتاما بوذا (٥٦٣ ق.م ـ ٨٤٣ ق.م) إسمه الحقيقي هو الأمير «سيد هارثا» مؤسس الديانة البوذية إحدى الديانات العالمية.

وهو إبن ملك كان يحكم مدينة في شمال الهند قرب حدود نيبال. تزوج من إبنة عمٍ له وهو في السادسة عشرة. وكانت زوجته في نفس عمره وفرَّ الأمير «سيدهارثا» من قصرٍ كله رفاهية، ولكنه لم يكن راضياً عن وضعه المترف لأنه لاحظ أن معظم الناس هم من الفقراء الذين يقاسون مرارة العيش والعوز. وقد لاحظ أيضاً أن السعادة لم تكن من نصيب الأغنياء أيضاً، إذ كان الفشل يحوطهم، كما لاحظ أن المرض لا بد وأن يصيب الإنسان، ومن ثم لا بد لنا من الإستسلام صاغرين للموت، فآمن بأنه يجب أن يكون هناك في الحياة شيء آخر غير الملذات التي سرعان ما يمحوها الألم والموت، واخترع رياضة النفس وديانة البوذية.

* يعتبر الفيلسوف الصيني كنفوشيوس (٥٥١ق.م ـ ٤٧٩ق.م) مؤسس النظام الأخلاقي الذي يسيطر على الفكر العام للشعب الصيني. ذلك أن فلسفته مؤسسة على الأخلاقية الشخصية، وعلى مفهوم حكومةٍ تخدم الشعب وتسودها المثل الأخلاقية. هذه الفلسفة نفذت إلى صميم الحياة والثقافة الصينية وبقيت حوالي ألفي عام. وقد أثرت تأثيراً عظيماً على قسمٍ كبيرٍ من الدول المحيطة بالصين.

* «تشوبنغ» رجل صيني. بدأ نجمه يلمع في سماء الشعر حتى سما إلى مركزٍ عظيم في الدولة، ثم سرعان ما ألفى نفسه مطروداً من منصبه على حين غفلة، فاعتزل الناس ولجأ إلى الريف، وجلس على ضفاف غديرٍ هادىء يفكر في الحياة والموت، وتساءل هناك:

هل ينبغي لي أن أواصل السير في طريق الحق والوفاء، أو أسير في ركب جيلٍ فاسدٍ ضال؟

هل أعمل في الحقول بالفأس والمجرف، أو أسعى للرقي في حاشية عظيم من العظماء؟

هل أعرض نفسي للخطر بالصراحة التي أنطق بها أو أتذلل بالكلام الناعم الزائف للأثرياء والكبار؟

وهل أظلُّ قانعاً راضياً بنشر الفضيلة أو أمارس فن المصانعة والنفاق كي أنال النجاح؟

هل أكون نقي السريرة، طاهر اليد، صالحاً مستقيماً أو أكون معسول الكلام، مذبذباً، متزلفاً، منتهزاً للفرص؟

وتخلص هذا الرجل اللامع من هذه المشكلة بالإنتحار غرقاً.

ولا يزال الصينيون يحتفلون حتى اليوم بذكراه في كل عام في يوم عيد القارب الكبير، وهو اليوم الذي ظلوا يبحثون فيه عن جثته في كل مجرى من المجاري المائية.

* «ماشي هونغ ـ دي» الرجل الصيني الوحيد، والولد غير الشرعي لملكة مملكة تشين ـ إحدى الولايات الغربية ـ الذي استطاع بعد جلوسه على كرسي الإمارة، أن يوحِّد الصين التي كانت منقسمة على نفسها إلى دويلات، وبنى سور الصين العظيم الذي يدل على مجدها وعظيم صبرها. وكان الهدف من بنائه حماية البلاد من الأعداء المجاورين لحدودها الشمالية. احتاج تشييده إلى عشر سنين، وعددٍ كبيرٍ عظيم الإحصاء من البشر.

يبلغ طول السور ألف وخمسماية ميل، ويعتبر أضخم وأعظم بناء في جميع عصور التاريخ على الإطلاق.

*** السَّموراي أو السيَّافوان:**

جماعة قديمة في اليابان. اشتهروا بالعزم والإخلاص لأسيادهم وعزَّتهم، وإباء الهزيمة والقهر، مفضلين بقر بطونهم على الإستسلام، وهو القانون المسمَّى عندهم بـ «الهاراكيري». وحدث في حرب ١٩٠٥ مع الروس أن أزهق عدد كبير من الضباط والجنود اليابانيين أنفسهم ببقر بطونهم، مفضلين ذلك على الوقوع أسرى في أيدي الروس.

وكلمة «هاراكيري» كلمة سوقية يستعمل مكانها اليابانيون اليوم كلمة «سيبوكو» التي تعني شق الباطن أيضاً.

وتكاد تكون هذه الجماعة مختفية اليوم في اليابان، لكنَّ آثارها باقية: سيوفاً أثرية، وملابس، ومتاحف خاصة بها. والقِلَّة اليوم من اليابانيين الذين يقتفون بعض آثارها.

*** أرسطوطاليات:**

ينقل أرسطو جواب «سميندس» لزوجة «هيرن» إذ سألته أيهما أفضل الحكمة أو الغنى؟ فقال: «الغنى، لأنا نرى الحكماء يقضون أوقاتهم على أبواب الأغنياء».

وبالطبع! فإن هؤلاء ليسوا حكماء وإن كانوا فلاسفة، لأنه ليس كل فيلسوف حكيم. والحكمة تعلم التغلب على النفس، وصحة السلوك. والمال عند الحكيم وسيلة لا غاية، لذا فهو يأتيه وإن لم يأتِه.

* يرى أرسطو أن علم السياسة هو علم السعادة الجماعية، وأن وظيفة الدولة هي أن تقيم مجتمعاً يحقق أعظم سعادة لأكبر عدد ممكن. والدولة هي مجموعة من المواطنين، وهي نتاج طبيعي لأن «الإنسان بطبيعته حيوان سياسي».

* السعادة ـ في نظر أرسطو ـ هي في العمل، وأحسن حياة هي حياة الفكر، ذلك أن الفكر هو الدليل على ما انفرد به الإنسان من تفوق وامتياز، وأن العمل الخليق بالإنسان هو العمل بالإتفاق مع عقله.

«وأسعد الناس حظاً هو الذي يجمع بين قَدْرٍ من الرخاء وقَدْرٍ من العلم أو البحث أو التفكير، فهذا الرجل هو أقرب الناس إلى الله».

ويقول: إن الله فكر خالص، وروح عاقل، يتبدَّى في الصور السرمدية التي تكوِّن جوهر العالم والله في وقتٍ واحد.

* وعن المأساة يقول أرسطو: أنها تستثير أعمق عواطفنا ثم تهدئها بخاتمتها المسكنة. وتعرض علينا تعبيراً من العواطف لا ضرر فيه ولكنه ينفذ إلى أعماق النفس. ولولا هذا التعبير لتجمعت العواطف وصارت عُصاباً أو عنفاً. فهي تظهر آلاماً وأحزاناً وتعيدنا إلى بيوتنا مبرئين مطهرين.

الفصل الثالث

مسيحيات

نبـــــذة

* تنبأ موسى عن مجيء يسوع وحذَّر قائلاً: «لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً، ولا صورة ما مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن».

لهذا فإن بعض الطوائف المسيحية لا تؤمن بالصليب، ولا بتماثيل العذراء ولا تماثيل المسيح، وما شاكل.

* ولكن الكتاب المقدس، الذي يقبله العالم المسيحي بصفته مقدَّساً، لا يُعلِّم الثالوث، فالكتاب المقدس يعلم وحدانية الله. وهكذا ففي الكتاب المقدس العبراني نقرأ: «إسمع، يا إسرائيل: يهوه إلهنا، يهوه واحد» تثنيه (٦ : ٤).

وفي الأسفار المقدسة المسيحية نقرأ: «إله وآب واحد للكل الذي على الكل، وبالكل، وفي كلكم» أفسس ٤ : ٤ و٦.

ويعتبر الكتاب المقدس في الشرق مؤلفاً من ثلاث كتب مختلفة: التوراة، والزبور (المزامير) والإنجيل.

وتأتي الكلمة الإنكليزية «بايبل» (الكتاب المقدس) من الكلمة

اليونانية «بيبليا» التي تعني «كتباً صغيرة». وهناك ما مجموعه ٦٦ كتاباً صغيراً في الكتاب المقدس.

يُسمي البعض الكتب التسعة والثلاثين الأولى من الكتاب المقدس بـ «العهد القديم»، لأن كتابتها انتهت قبل ابتداء الجزء التالي بمئات السنين.

والكتب الصغيرة الـ٢٧ للأسفار اليونانية (الإنجيل) تتألف من خمس كتب تاريخية، وعدة رسائل كتبها أتباع يسوع. وكتاب واحد مؤلف كله تقريباً من نبؤات. وهذا الجزء يُسمى الإنجيل لأن الكتب الأربعة الأولى هي أناجيل الكلمة التي تعني «بشارة».

الوقت بين كتابة أول وآخر أسفار الكتاب المقدس يقرب من نحو ألف وستماية سنة. ربما سمع البعض كلمة «البارقليط» وتساءلوا أين ينطبق ذلك في الصورة. فقد أخبر يسوع في إحدى المناسبات أتباعه قائلاً: «ولكني أقول لكم الحق، من الأفضل لكم أن أذهب، لأنني إن كنت لا أذهب، لا يأتيكم المعين (البارقليط). ولكني إذا ذهبت أرسله إليكم»[1].

«إن الكلمة اليونانية التي تقابل «المعين» هي «البارقليط» ويقول البعض أنَّ ما قاله يسوع حقاً: هو «البريقلوط» ولكن لسبب سوء التلفظ حدث أن كتب «البارقليط» في الكتاب المقدس. و«البريقلوط» بحسب الذين يفكرون بهذه الطريقة، تعني «الممدوح أو المحمود». وهكذا يمكن اعتبار يسوع يتنبأ هنا عن مجيء شخصٍ آخر.

---

(١) يوحنا ١٦: ٧.

لقد شرح يسوع فعلاً ما هو «البارقليط» في آية أخرى، فقبيل موته قال: «وأمّا الروح القدس ـ المعين (البارقليط) الذي سيرسله الآب باسمي ـ فإنه يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم»[١].

«إن كنتم تحبوني فاعملوا بوصاياي، وسوف أطلب من الآب أن يعطيكم معيناً (بارقليطاً) آخر يبقى معكم إلى الأبد، وهو روح الحق»[٢].

* «يوحنا عمَّد بالماء وأما أنتم فستعمدون بالروح القدس، ليس بعد هذه الأيام بكثير»[٣].

*** قصة اللغة:**

«إقرأوا لنفسكم رواية ما حدث لهؤلاء الاتباع بعد نحو عشرة أيام. يخبرنا السجل: ولما حضر يوم الخميس كان الجميع معاً بنفس واحدة، وصدر بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة، وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين، وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم. وامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا»[٤].

---

(١) يوحنا ١٤: ٢٦.
(٢) يوحنا ١٤: ١٥ ـ ١٧.
(٣) أعمال ١: ٥.
(٤) أعمال ٢: ١ ـ ٤.

جرى هذا الحادث في السنة ٣٣ وفي ذلك الحين لم يكن أي من الأسفار اليونانية (الإنجيل) مكتوباً بعد.

يقولون: يتألف الله من ثلاثة أقانيم: الآب، والإبن، والروح القدس. وهؤلاء الثلاثة متساوون في الدرجة، ومتساوون في الأزلية.

ثلاثة أقانيم في إله واحد. ويعتبر لاهوتيُّو العالم المسيحي هذه العقيدة سراً. وسواءً أكانت سرّاً أم لا، فهل هذا ما يعلمه الكتاب المقدس؟ حاشاه، قال يسوع في إحدى المناسبات: «أبي أعظم مني»[(١)].

في الواقع، لا تظهر كلمة الثالوث أبداً في الكتاب المقدس.

*** الصليب:**

تأملوا في تعليم آخر للعالم المسيحي، فالتعليم البارز للعالم المسيحي هو بجري الإدّعاء أن الصليب رمز، إذ يجري التعليم على أن يسوع المسيح مات على الصليب. فهل هذا ما يعلمه الكتاب المقدس؟

بعض الآيات في الكتاب المقدس، تقول: إنَّ يسوع مات على شجرة. وتقول أخرى: إنه عُلّق على ما تسميه اللغة اليونانية الأصلية «ستافروس» فماذا تعني كلمة «ستافروس»؟

يستعمل هوميروس (شاعر يوناني قديم) كلمة «ستافروس»ليشير إلى عمود أو وتد عادي، أو إلى قطعة واحدة من خشب. وهذا هو معنى

(١) يوحنا ١٤: ٢٨.

الكلمة واستعمالها في كل العلوم اليونانية، وهي لا تعني أبداً قطعتين من خشب متقاطعتين بشكلٍ ما، بل دائماً قطعة واحدة فقط.

وحتى ولو مات يسوع على صليب، فهل طريقة استعماله من العالم المسيحي معقولة؟

فإذا طُعن إلى الموت شخص تحبونه كثيراً جداً هل تعبدون السكينة التي قتلته؟ ومع ذلك فقد جعل العالم المسيحي من الصليب صنماً!

*** قسطنطين والمسيحية:**

كان قسطنطين الكبير (٣٨٠ ـ ٣٣٧) أول إمبراطور مسيحي في روما. وباعتناقه الديانة المسيحية، وبتشجيعه لنموها لعب دوراً هاماً في تحويلها من فرقة دينية مضطهدة إلى دين مسيطر ومهيمن على أوروبا. ولد قسطنطين حوالي عام ٣٨٠ في مدينة «يتسوس» فيما يُسمَّى «يوغوسلافيا» سابقاً، واليوم «صربيا».

كان أول أعماله إصداره مرسوم ميلان الذي أصبحت المسيحية بموجبه ديناً شرعياً ومسموحاً به. وقرر أن يجعل يوم الأحد يوم عبادة.

ورافق مرسوم ميلان اتجاه آخر نحو اضطهاد اليهود الذي ظل ساري المفعول في أوروبا لعدة قرون تلت.

أنشأ مجمع نيقية لمعالجة الإنقسام الداخلي في الكنيسة، وقد عمل المجمع على إنشاء «عقيدة نيقية» التي أصبحت فيما بعد المذهب الأرثوذكسي للكنيسة. واختار ألا يُعَمَّد إلا وهو على فراش الموت.

ومع ذلك فقد كان قاسي القلب إلى حد كبير، ولأسباب لا تزال مجهولة فقد أعدم زوجته، وابنه الأكبر عام ٣٢٦.

* كان مجلس «لاتران» المنعقد برياسة نقولاس الثاني و«هلديراند» عام ١٠٥٩ قد حرَّم من حظيرة الدين كل قس يحتفظ بزوجة أو سريه، ونهى المسيحيين عن حضور القدّاس الذي يقيمه قس يعرفون أنه يحتفظ بامرأة في بيته.

فأعلن كثير من القساوسة أنهم يفضلون التخلي عن مناصبهم على التخلي عن أزواجهم، عدا عن أنها تفرض على الطبيعة البشرية قيوداً لا يقبلها العقل السليم، وحُرِمَ كثير من القساوسة الذين أبوا عن التخلي عن أزواجهم من مناصبهم، حتى إذا كان عام ١٢١٥ أصدر مجلس «لاتران» برياسة «إنوسنت» الثاني قراراً نهائياً بتحريم زواج القساوسة وأخذت هذه العادة (الزواج) تزول.

*** الحرب الصليبية:**

إنَّ أول سبب مباشر للحروب الصليبية هو زحف الأتراك السلاجقة نحو أوروبا. وكان الفاطميون حكام مصر قد حكموا فلسطين حكماً سمحاً رحيماً، استمتعت فيه الطوائف المسيحية بحرية واسعة في ممارسة شعائرها الدينية. ولكن الأتراك انتزعوا بيت المقدس من الفاطميين عام ١٠٧٠، وتحدث الحجاج المسيحيون عما يلاقونه فيه من ظلم وتحقير.

وكان السبب الثاني المباشر ضعف الإمبراطورية البيزنطية، وانفصالها عن الغرب عام ١٠٥٤، وكان البلغار، والبشناق،

والكومان، والروس يدقون أبوابها في أوروبا، والأتراك يقطعون أوصال ولاياتها الآسيوية.

واستولى السلاجقة على حمص وأنطاكية (١٠٨٥) وطرسوس، ونيقية، وأخذوا يتطلعون إلى القسطنطينية نفسها.

وثالث الأسباب المباشرة للحروب الصليبية رغبة المدن الإيطالية في توسيع سلطانها التجاري، فأخذت تعمل للقضاء على تفوق المسلمين في الجزء الشرقي من البحر المتوسط، وتفتح أسواق الشرق الأدنى لبضائع غربي أوروبا.

وصدر القرار النهائي من «أربان» نفسه، ودعا البابا «غربرت» العالم المسيحي لإنقاذ بيت المقدس، ونزلت حملة مخفقة في بلاد الشام حوالي (١٠٠١).

وسرت روح الحماسة في أوروبا كلها للحرب المقدسَّة. وكانت الحرب الصليبية الأولى (١٠٩٥ ـ ١٠٩٩).

* حَلَّت الكارثة الأخيرة بالمسيحيين حين نهب بعض المغامرين منهم قافلة للمسلمين في بلاد الشام، وشنقوا ١٩ من التجار المسلمين، فطلب صلاح الدين الفدية لهم فلم يجيبوه، فزحف بجيشٍ إلى عكا أقوى المعاقل الأمامية المسيحية في فلسطين، واستولى عليها بعد حصارٍ دام ٤٣ يوماً عام (١٢٩١).

وسرعان ما سقطت بعد ذلك مدائن صيدا وصور، وبيروت، أدركت أوروبا بعد ذلك، وبعد محاولات يائسة أن الحروب الصليبية قد انقضى أجلها.

*** نتائج الحروب الصليبية:**

كان من نتائج الحروب الصليبية: إضعاف العقيدة الدينية المسيحية، إذ قام المتشككون يقولون إن إخفاق الحروب الصليبية يدحض ما يدعيه البابا من أنه نائب أو ممثل الله على الأرض، وأن الدين الإسلامي هو الصحيح أو الأفضل أو الأعظم من الدين المسيحي، إذ لو كان الصليبيون على حقٍ لما انهزموا وعادوا إلى ديارهم خاسرين.

*** ريتشارد الأول الملقب بقلب الأسد:**

ورث عرش أبيه، حارب صلاح الدين وانهزم فعقد الصلح معه. وأقسم أن يعود ويهزمه لكنه لم يرجع. تنازع مع أحد أتباعه الإقطاعيين وهو أدهمار فيكونت مدينة «ليموج»، وكان قد وجد كنزاً من الذهب مخبأً في أرضه، وعرض على «ريتشارد» جزءاً منه، لكنه أبى إلا أن يأخذه كله، فحاصر «أدهمار» وأصاب «ريتشارد» سهم انطلق من قصر «أدهمار» فمات «قلب الأسد» وهو في سن الـ٤٣ لأجل ذلك.

* **إعلم** أن لا سبيل للسيطرة على الدوافع البشرية الوحشية، والمنحطة إلا بقانونٍ أخلاقي من ربٍّ يعلو على قوى البشرية، ويوازي المحن بالآمال، ويمحو ألم الفراق بعقيدة الخلود، ويُضفي على الكون، والخلق، والوجود، معنىً عظيماً ملهِمَاً، يُعظِم الخلق، ويُشرّف الوجود، وإن كان كله سيفنى لا محيص.

وأعظم ما تقدمه العقيدة الدينية للعلم: هو الثقة بأن الحق سيعلو آخر الأمر، وأن أيَّ نصْرٍ ظاهري للشر سوف لن يستمر.

*** فولتير وجماعة «الكويكرز» المسيحية:**

سأل فولتير جماعة الكويكرز الإنكليزية في «لندن» عندما وجد أن لا تنظيم كنسي لهم، ولا قساوسة، ولا أسرار، ولا قرابين مقدسة، فقال: سألت واحداً منهم: سيدي العزيز هل عمَّدوك؟

فأجاب: لا لم أُعمَّد لا أنا ولا أخوتي.

فصحت في وجهه؛ عجباً! كيف يكون هذا؟ إذن أنتم لستم مسيحيين!

فأجاب بصوتٍ هادىءٍ خفيض: يا بني! نحن مسيحيون، نحاول أن نكون صالحين، ولكننا لا نرى أن المسيحية مجرد صب ماءٍ باردٍ مع قليلٍ من الملح على الرأس.

وعارضته، يا إلهي! لا تتحدث بهذا الضلال، هل نسيت أن يوحنا عمَّد المسيح؟

فردَّ قائلاً: يا صاحبي! إنَّ يوحنا عمَّد المسيح ولكن المسيح لم يُعمِّد أحداً، ونحن أتباع المسيح لا أتباع يوحنا.

وسألني: هل أجروا لك عملية الختان؟

فأجبته: لم يكن لي شرف الختان.

فقال: حسناً أنت مسيحي دون ختان، وأنا مسيحي دون تعميد.

قال الكويكرز: إن التعميد مثل الختان من العادات السابقة على المسيحية، وقد أبطلها إنجيل المسيح الجديد.

*** الخَصِي:**

كان الخصيُ عادة اليهود والنصارى أساساً. وفي الصعيد بمصر

كان ديران قبطيان دخلهما الأساسي من الخِصاء. وكان يغطي تموين مصر كلها. وكان المخصيون ـ في الغالب ـ من السودان والصقالبة، والروم، والصينيين.

وفي الإسلام كان هذا حراماً قطعاً، وإن زاوله بعض الحكام المسلمين على عبيدهم، مضافاً إلى خفض الجواري.

*** الحركة الماسونية:**

الماسون أو البنَّاؤون الأحرار. أول ظهور الحركة لهم كان في فرنسا ١٧٣٤ لكن صعود هذه الجمعية السرية كان في انكلترا ١٧١٧، ومن ثمَّ انتشرت سريعاً في أوروبا البروتستانتية، وأيدها فريدريك الثاني في المانيا، وجستاف الثالث في السويد، وحظَّر البابا كلمنت الثاني عشر (١٧٣٨) على السلطات الكنسية أو العلمانية الإنضمام إليها.

وفي فرنسا ١٧٨٩ كان هناك ٦٢٩ محفلاً ماسونياً في باريس وحدها. وكان الماسون من الناحية النظرية يستبعدون من عضويتهم كلَّ «فاسق كافر» وكل «ملحدٍ غبي». وكان على كل عضوٍ أن يعلن إيمانه «بمهندس الكون الأعظم». ولم تشترط في العضو عقيدة دينية غير هذه، وبذلك قصر الماسون بوجه عام لاهوتهم على الربوبية.

وكان هدفهم المعلن أن يُنشأوا جماعة إخوان دولية سرية يترابطون فيها بالإجتماع والطقوس، ويتعهدون بتبادل العون، والتسامح الديني، والإصلاح السياسي، وفي عهد لويس السادس عشر دخلوا ميدان السياسة بنشاط...»[1].

---

(١) قصة الحضارة، مجلد : ٤١ ـ ٤٢، ص٤٥٦.

* كان لوثر يذكر نفسه بين الفينة والفينة بأننا لا نعلم شيئاً عن الله إلا أنه قوة مدركة كونية موجودة، وعندما سأله شاب لحوح من علماء اللاهوت: أين كان الله قبل خلق العالم؟ أجابه بإسلوبه الفظ: كان يبني جهنم لهذه الأرواح الفضولية القلقة، المغرورة من أمثالك.

وعندما وجهت زوجة «لوثر» اللوم إليه بقولها: أنت فظ للغاية يا زوجي العزيز! ـ ردَّ عليها: إنَّ الغصن يمكن قطعه بسكين الخبز أما شجرة البلوط فتستلزم الفأس. وإنَّ جواباً ليناً يمكن أن يُطفىء سُوْرَة الغضب، ولكنه لا يستطيع أن يقلب البابوية رأساً على عقب.

وقال شاكياً: إنَّ أعدائي يفحصون عن كثب كل ما أفعل، فإذا ضرطت في فيتنبرغ فإنهم يشمُّون ريح الضرطة في روما.

واستغرق في سنواته الأخيرة في نوبة غضبٍ جامح ضد السامية، وندَّد باليهود، ووصفهم بأنهم: أمة من أناسٍ غلاظ كفرةً، متكبرين، خبثاء، ممقوتين.

وقال: وأدعو كل من يقدر على أن يُلقي عليهم كبريتاً، وزفتاً. وإذا كان في وسع أحدٍ أن يقذفهم بوابلٍ من نار جهنم، فإنه يُحسن صنعاً لو فعل ذلك وهذا ما يجب فعله كرامة لربنا وللمسيحية، حتى يرى الله أننا مسيحيون حقاً.

*** في مصر:**

كان الخميس المقدَّس في مصر يسمى خميس العدس لأن عامة النصارى كانوا يأكلون العدس.

وكان **عيد الغطاس** بمصر عند النصارى، لأن كثيراً منهم كان يغطس في النيل.

* لا شك أن المسيح هو الذي نطق بالأفكار الأخلاقية السامية في الدين المسيحي فضلاً عن التي تتعلق بالسلوك البشري، ولكن علم اللاهوت المسيحي مدين للقديس بولس الذي سعى لتشكيله، فالمسيح قدَّم رسالة روحية، ولكن القديس بولس أضاف إليها قسماً كبيراً مما يؤلف العهد الجديد في الكتاب المقدس. وكان هو الداعية والقوة المؤثرة في نشر الدين المسيحي خلال القرن الأول الميلادي.

إنَّ معظم المعلومات التي نعرفها عن يسوع المسيح هي غير مؤكدة. وإنَّ سنة ميلاده أيضاً غير معروفة، وحتى سنة وفاته، التي كان من الواجب أن يعرفها أتباعه وتلاميذه، إنَّ هذه السنة ليست معروفة بشكلٍ محددٍ اليوم وذلك لأن المسيح لم يترك آثاراً كتابية. وإنَّ جميع معلوماتنا عن حياته تأتي من أوصافه في العهد الجديد. ولم يكن للمسيح أيُّ نفوذٍ أو تأثير على التطورات السياسية في عهده أو في القرن التالي، إلا أن أثره كلياً يبدو في الحياة الأخلاقية، والروحية المخلصة التي عاشها[١].

(١) د. مايكل هارت ـ المائة الأوائل.

إنجيل برنابا
قصة هذا الإنجيل

يقول الدكتور خليل سعادة مترجم هذا الإنجيل عن الانكليزية إلى العربية: أقدمت على ترجمة هذا الكتاب المسمى بإنجيل برنابا وأنا شاعر بخطورة المسؤولية التي ألقيتها على عاتقي. وإني لم أُقدم عليه إلا خدمة للتأريخ وغِيرة على لغةٍ هي أحق بنقله إليها من سواها. وهي المرة الأولى التي برز فيها هذا الإنجيل في ثوبٍ عربي، وهو إنجيل تضاربت فيه آراء الباحثين وتشعبت بخصوصه مذاهب المؤرخين، وخبطوا فيه بين ضلالةٍ وهديٍ وتلمسوا حقيقته بين رشادٍ وهوى، واستنطقوا الآثار والأسفار، واستفسروا الأعصر والأمصار فما ظفروا بعد كل ذلك بما يُشفي منهم عليلاً أو يُبرد لهم غليلاً.

والنسخة الوحيدة المعروفة الآن في العالم التي نُقل عنها هذا الإنجيل إنما هي نسخة إيطالية في مكتبة بلاط فيينا، وهي تُعد من أنفس الذخائر والآثار التاريخية فيها. تقع في مئتين وخمسٍ وعشرين صحيفة سميكة مجلدة، إلا أن البعض يذهب إلى أن التجليد المذكور برمته قد يكون من صنع المجلّدَين الباريزيين اللذَين استقدمهما الدوق دي

سافوى لتجليد النسخة المذكورة التي كانت ملكاً له على ما سيجيء بيانه فقد يكونان جلداها تقليداً للطراز العربي. ومما حملهم على هذا الظن هو أن المحفظة الخارجية للنسخة المذكورة هي صنع المجلِّدَين الباريزيين بلا مراء.

وأول من عثر على النسخة الإيطالية ممن لم يعف التاريخ أثرهم ولم تدرس الأيام ذكرهم هو «كريمر» أحد مستشاري ملك بروسيا. وكان مقيماً وقتئذٍ في أمستردام فأخذها سنة ١٧٠٩م من مكتبة أحد مشاهير ووجهاء المدينة المذكورة ولم يزد على تعريف صاحبها بغير هذه الألقاب المبهمة إلا أنه ذكر في عرض الكلام عنه: أن الوجيه المذكور كان يحسب النسخة المنوه عنها ثمينة جداً فأقرضها «كريمر» «طولند» ثم أهداها بعد ذلك بأربع سنين إلى البرنس «أيوجين سافوي»... ثم انتقلت النسخة المذكورة سنة ١٧٣٨ مع سائر مكتبة البرنس المنوه عنه إلى مكتبة البلاط الملكي في فيينا حيث لا تزال هناك حتى الآن.. بيد أنه وُجِد في أوائل القرن الثامن عشر نسخة أخرى أسبانية تقع في مئتين واثنين وعشرين فصلاً وأربع مئة وعشرين صفحة جرَّ عليها الدهر ذيل العفاء فطمست آثارها ودرست رسومها وكان قد أقرضها الدكتور «هلم» من «هدلي» (بلدة من أعمال همبشير) المستشرق الشهير «سايل» ثم تناولها بعد «سايل» الدكتور «منكبوس» أحد أعضاء كلية الملكة في أكسفورد فنقلها إلى الإنكليزية ثم دفع الترجمة مع الأصل سنة ١٧٨٤ إلى الدكتور «هويت» أحد مشاهير الأساتذة.

ولقد أشار الدكتور «هويت» المنوه عنه في إحدى الخطب التي كان

يلقيها على الطلبة إلى هذه النسخة حيث استشهد ببعض الشذرات منها ولقد طالعت هذه الشذرات وقابلتها بالترجمة الانكليزية المنقولة عن النسخة الإيطالية الموجودة الآن في مكتبة بلاط فيينا فوجدت الأسبانية ترجمة حرفية عن تلك ولم أرَ بينهما فرقاً يستحق الذكر إلا في أمرين: فإن النسخة الإيطالية تقول: أنه لما جاء يهوذا الخائن مع الجند الروماني ليسلم يسوع على أيديهم كان يسوع يصلي في البستان بجانب الغرفة التي كان تلاميذه فيها نياماً، فلما أحس بالجنود خاف فدخل الغرفة فلما رأى الله الخطر المحدق به أرسل ملائكته الأربعة فاحتملوه من النافذة إلى السماء الثالثة، فلما دخل يهوذا الخائن الغرفة غيَّر الله بآيةٍ منظرَه وصوته فصار نظير يسوع تماماً فلما استيقظ التلاميذ ورأوه لم يشكوا في أنه هو يسوع. فالرواية الأسبانية تنطبق حرفياً على الإيطالية إلا أن الأولى تقول: «إلا بطرس» أي: أنها استثنت بطرس عن عداد التلاميذ الذين لم يشكوا في أن يهوذا هو يسوع ثم ذكرت إسم أحد الملائكة الذين احتملوا يسوع من النافذة: عزرائيل «وهو في الإيطالية»: «أربل» وهناك بعض اختلافات أخرى طفيفة أضربنا عن ذكرها.

ويؤخذ مما علقه «سايل» على النسخة الأسبانية أنه مسطور في صدرها أنها مترجمة عن الإيطالية بقلم مسلمٍ أروغاني يسمى «مصطفى العرندي» ومصدَّرة بمقدمة يقص فيها مكتشف النسخة الإيطالية ـ وهو راهب لاتيني يسمى فرامرينو ـ كيفية عثوره عليها. ومن جملة ما قال بهذا الصدد: أنه عثر على رسائل لأرينايوس وفي عدادها رسالة يندّد فيها

بالقديس بولس الرسول، وأن «أرينايوس» أسند تنديده هذا إلى إنجيل القديس «برنابا» فأصبح من ذلك الحين الراهب «مرينو» ـ المشار إليه ـ شديد الشغف بالعثور على هذا الإنجيل. واتفق أنه أصبح حيناً من الدهر مقرباً من البابا «سكتس» الخامس. فحدث يوماً أنهما دخلا معاً مكتبة البابا «فران» الكبرى فأحب «مرينو» أن يقتل الوقت بالمطالعة إلى أن يفيق البابا فكان الكتاب الأول الذي وضع يده عليه هو هذا الإنجيل نفسه فكاد أن يطير فرحاً من هذا الاكتشاف فخبأ هذه الذخيرة الثمينة في أحد ردنيه ولبث إلى أن استفاق البابا فاستأذنه بالإنصراف حاملاً ذلك الكنز معه فلما خلا بنفسه طالعه بشوقٍ عظيمٍ فاعتنق على أثر ذلك الدين الإسلامي.

هذه هي رواية الراهب «فرامرينو» على ما هو مدوَّن في مقدمة النسخة الأسبانية كما رواها المستشرق «سايل» في مقدمةٍ له لترجمة القرآن. وهي مع ما تقدم الإلماع إليه من خطب الأستاذ «هويت» المصدر الوحيد الذي لنا الآن بخصوص النسخة الأسبانية التي لم أعثر على كيفية فقدانها سوى أنه عهد بترجمتها إلى الدكتور «منكبوس» فدفعها إلى الدكتور «هويت» ثم طُمس بعد ذلك خبرها وأُمحي أثرها.

ولما شاع خبر إنجيل برنابا في فجر القرن الثامن عشر أحدث دوياً عظيماً في أندية الدين والعلم ولا سيما في إنكلترا فكثر بشأنه الجدل واحتدمت بين العلماء مناقشات... وأول أمر توجهت إليه همم الباحثين الخوض في أمر النسخة الايطالية وفيما إذا كانت منقولة عن نسخة أخرى أو هي النسخة الأصلية التي كانت عند الراهب «فرامرينو»

وادَّعى اختلاسها من مكتبة البابا سكتس الخامس. . . إذا كان الأمر كذلك فما هو الأصل الذي أخذت عنه النسخة الإيطالية؟ على أن النسخة التي نقلت عنها ليست بعربية لأن من يجيد العربية إلى حد يتمكن معه من ترجمة هذا الإنجيل منها إلى لغة أخرى لا يرتكب مثل هذه الأغلاط السخيفة التي تراها في الهوامش ولا يقلب الكلام إلى حدّ تقديم المضاف إليه على المضاف إلى غير ذلك من التعابير التي هي أدل على أصلٍ لاتيني أو إيطالي قديم. وهو استنتاج ينطبق على ما قال به الثقات بعد التدقيق وإمعان النظر في نوع خط النسخة الإيطالية الموجودة الآن في مكتبة بلاط فيينا. فقد توصلوا إلى الجزم بأن ناسخها إنما هو من أهالي البندقية نسخها في القرن السادس عشر أو أوائل السابع عشر وأنه يرجح أنه أخذها عن نسخة طسكانية أو عن نسخة بلغة البندقية تطرقت إليها إصطلاحات طسكانية، وهي أقوال «لونسدال» و«لوراراغ» بعد أن أخذا في ذلك آراء أعظم الثقات الإيطاليين الذين يؤخذ قولهم حجة في هذه المباحث الأخصائية.

ويذهب الكاتبان المذكوران إلى أن النسخ حدث نحو سنة ١٥٧٥ وأن من المحتمل أن يكون ناسخ هذا الإنجيل الراهب «فرامرينو» الذي ورد ذكره في مقدمة النسخة الإيطالية على ما جاءت الإشارة إليه. . وكيف كان الحال فيمكننا الجزم بأن كتاب برنابا الإيطالي إنما هو كتاب إنشائي وسواء قام به كاهن أو علماني أو راهب أو أحد العامة فهو بقلم رجل له إلمام عجيب بالتوراة اللاتينية يقرب من إلمام «دنِت» وأنه نظير «دنِت» متضلع على نوعٍ خاص من «الزَّبور» وهو صنع رجل معرفته

للأسفار المسيحية تفوق كثيراً اطلاعه على الكتب الدينية الإسلامية فيرجح إذاً أنه مرتد عن النصرانية.

. . . إلا أن البعض يذهب إلى أن الوسط الذي ظهر فيه الإنجيل إنما هو إيطالي نحو أوائل القرون الوسطى، وأن كاتب هذا الإنجيل إيطالي من ذلك الزمن، بدليل أن مجمل روح الإنجيل وعبارته تدل على هذا الوسط. فقد ذَكَر في عرض الكلام عن الحصاد، وأناشيد المغنيين ما يصح أن يكون وصفاً حرفياً لما يحدث الآن في «طسكانيا»، و«تينو» من إيطاليا، وأن الإشارة إلى استخراج الحجارة من المقالع ونحتها، وبناء البيوت بالحجارة الصلدة أصبح على كاتبٍ من أمةٍ خبيرة بالبناء منه على كاتبٍ من العرب الذين يقيمون في الخيام. وقس عليه ما جاء عن حمل العبد خبزاً لفعلة سيده في الكروم، وعن دوس العنب بالأقدام في المعاصر إلى آخر ما هناك من مثل هذه الاشارات.

وسواء كان كاتب الإنجيل يهودي الأصل أو نصرانيه فمما لا شبهة فيه أنه كان مسلماً، ومما يبعث على الأسى فقدان النسخة الأسبانية التي مرَّ بيانها وخصوصاً لأن العلماء الذين وصلت تلك النسخة إلى أيديهم لم يبحثوا فيها بحثاً علمياً كما فعلوا في النسخة الإيطالية، وخصوصاً لأننا لا نعرف شيئاً عن مترجمها مصطفى العرندي، لأن ترجمة حياة مسلم نظيره أتقن اللغتين الإيطالية، والأسبانية ـ وهما اللغتان اللتان ظهر بهما إنجيل برنابا إلى الوجود ـ لا تخلو من أهمية وتبصرة.

ولقد علمت مما مرّ بك أن الثقات مجمعون على أن إنجيل برنابا كتب في القرون الوسطى. . . ويذكر التاريخ أمراً أصدره البابا «جلاسيوس» الأول الذي جلس على الأريكة البابوية سنة ٤٩٢ يعدّد فيه أسماء الكتب المنهي عن مطالعتها وفي عدادها كتاب يسمى (إنجيل برنابا) فإذا صح ذلك كان هذا الإنجيل موجوداً قبل ظهور نبي المسلمين بزمنٍ طويل. وهو دليل على أن هذا الإنجيل لم يكن حينئذٍ لابساً هذا الثوب القشيب الذي يرفل فيه الآن، لأن مجرد إصدار البابا المشار إليه نهياً عن مطالعته دليل على شيوعه أو على اشتهار أمره بين خاصة العلماء إن لم يكن بين العامة، فمن المستبعد أن لا يتصل خبره ولو سماعاً بنبي المسلمين، وفيه العبارات الصريحة المتكررة بل الفصول الضافية الذيول التي يذكر اسمه في عرضها ذكراً صريحاً لا يقبل شكاً أو تأويلاً ولاسيما بعد أن نهض تلك النهضة التي مادت لها الجبال الراسيات، ونفخ في قوة تلك الروح التي وقف لها العالم متهيباً ذاهلاً، وجرى ذكره على كل شفةٍ ولسان، وأتى من عظائم الأمور ما كان سمر القوم وحديث الركبان، وليس ذلك فقط بل لم يتصل أيضاً شيء من ذلك بخلفائه الذين أتوا من بعده حتى ولا بالعرب الذين دوّخوا الاندلس، وبسط ظل مجدهم عليه. ويذهب بعض العلماء المدققين إلى أن أمر البابا «جلاسيوس» المنوّه عنه إنما هو برمته تزوير، وهو قول موسوعات العلوم البريطانية أيضاً.

بيد أن هنالك إنجيلاً يسمى بالإنجيل الأغنسطي طمست رسومه وعفت آثاره يبتدىء بمقدمة تندد بالقديس بولس، وينتهي بخاتمة فيها

مثل ذلك التنديد. ويذكر أن ولادة المسيح كانت بدون ألم. ولما كان كل ذلك في إنجيل برنابا فمن المحتمل أن يكون ذلك الإنجيل الأغنسطي أباً لإنجيل برنابا هذا، وأن أحد معتنقي الإسلام من اليهود أو النصارى عثر على نسخة منه: اليونانية أو اللاتينية في القرن الرابع عشر أو الخامس عشر فصاغه في القالب الذي تراه فيه الآن فخفي بذلك أصله.

ويباين هذا الإنجيل الأناجيل الأربعة المشهورة في عدة أمور جوهرية (أولها): قوله أن يسوع أنكر ألوهيته وكونه ابن الله، وذلك على مرأىً ومسمعٍ من ست مئة ألف جندي، وسكان اليهودية من رجال ونساءٍ وأطفال. (والثاني): أن الإبن الذي عزم إبراهيم على تقديمه ذبيحة لله إنما هو إسماعيل لا إسحاق، وأن الموعد إنما كان بإسماعيل. (والثالث): أن مسيا المسيح المنتظر ليس هو يسوع بل محمد وقد ذكر محمداً باللفظ الصريح المتكرر في فصول ضافية الذيول، وقال أنه رسول الله، وأن آدم لما طُرد من الجنة رأى مسطوراً فوق بابها بأحرفٍ من نور: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» (والرابع): أن يسوع لم يُصلب بل حُمل إلى السماء، وأن الذي صُلب إنما كان يهوذا الخائن الذي شُبه به فجاء مطابقاً للقرآن ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾.

... ولا ريب في أن الكاتب كان على ما تقدم الإلماع إليه بارعاً جداً في أساليب التعبير، وإقامة الحجج والأدلة، ولكنه كان بارعاً أكثر من اللازم حتى ربما جاوز الغرض وما جاوز حده جاوز ضده. ولو

أشار إلى مجيء «الرسول» نبي المسلمين من طرفٍ خفي بإشارات تنطبق عليه دون التصريح باسمه الصريح تكراراً والشروح الضافية الذيول ودون أن يذكر شيئاً عن الشهادتين اللتين يقول: أن أبانا آدم رآهما مسطورتين بأحرفٍ من نورٍ فوق باب الجنة» لكان أصلح للغاية التي يرمي إليها. وبعد كل ما تقدم فإن هذا الانجيل قد أتى على آيات باهرة من الحكمة، وطرازاً راقٍ من الفلسفة الأدبية، وأساليب تسحر الألباب ببلاغتها السامية على ما فيها من البساطة في التعبير. وهي ترمي إلى ترقية العواطف البشرية إلى أفقٍ سام وتنزيهها عن الشهوات البهيمية آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، حاثاً على الفضائل، مقبحاً للرذائل داعياً الإنسان إلى تضحية نفسه في سبيل الإحسان إلى الناس حتى يزول منه كل أثر للأنانية ويحيا لنفع إخوانه.

ولا بد قبل الختام من الالماع إلى أنني آليت على نفسي ترجمة هذا الإنجيل بالحرف الواحد متوخياً أبسط الألفاظ، وأسهل الأساليب معرضاً في ذلك عن تنميق العبارات، وتوشية الكلام مفضلاً الأمانة في الترجمة، والبساطة في التعبير على الفصاحة والبلاغة متى كان فيهما أقل عدولٍ عن الأصل فهو مطابق من كل وجه للترجمة الإنكليزية المأخوذة من الأصل الإيطالي خلا الأعداد الموجودة فيه فإني وضعتها من عندي تسهيلاً للإشارة إلى الكلام عند الحاجة.

وإني أسدي في هذا الموقف أجمل الشكر وأطيب الثناء إلى حضرة العالم المحقق «لونسدال راغ» نائب مطران الكنيسة الانكليزية في «فنيس» وعلى حضرة العالمة الفاضلة المدققة «لوراراغ» عقيلته

اللذين أذنا لي بترجمة هذا الإنجيل إلى العربية عن ترجمتهما الإنكليزية التي أصدراها حديثاً مع الأصل الإيطالي فخدما بذلك التاريخ خدمة يذكرها لهما العلم معطرة الثناء لما عانياه في دقة الترجمة، والمحافظة على الأصل. وهو عمل شاق لا يقدر قدره إلا من يقوم بمثله. وأهدي مثل هذا الشكر إلى حضرة الفاضل أمين مطبعة «كلارندن» في أكسفورد التي التزمت طبع هذا الإنجيل، ووضعت بين أيدي القراء كتاباً نادراً فكان ذلك من أجل الخدمات العلمية المتعددة التي قامت بها هذه المطبعة الشهيرة.

ولا أرى مندوحة في الختام من التنبيه إلى أني قد التزمت في هذه المقدمة البحث في هذا الإنجيل من الوجهتين التاريخية والعلمية فقط لأني ترجمته كما جاء في صدر هذه المقدمة خدمة للتاريخ دون سواه، ولذلك قد أعرضت كل الأعراض عن المناقشات الدينية المحضة التي أتركها لمن هم أكثر كفاءة مني.

القاهرة في ١٥ مارس سنة ١٩٠٨. خليل سعادة

مقتطفات من إنجيل برنابا

الفصل الأول
(بشرى جبريل للعذراء مريم بولادة المسيح)

١ لقد بعث الله في هذه الأيام الأخيرة بالملاك جبريل إلى عذراء
تدعى مريم من نسل داود من سبط يهوذا ٢ بينما كانت هذه العذراء
العائشة بكل طهرٍ بدون أدنى ذنب المنزهة عن اللوم المثابرة على الصلاة
مع الصوم يوماً ما وحدها وإذا بالملاك جبريل قد دخل مخدعها وسلم
عليها قائلاً: «ليكن الله معك يا مريم» ٣ فارتاعت العذراء من ظهور
الملاك ٤ ولكن الملاك سكن روعها قائلاً لا تخافي يا مريم لأنك قد
نلت نعمة من لدن الله الذي اختارك لتكوني أم نبي يبعثه إلى شعب
إسرائيل ليسلكوا في شرائعه بإخلاص ٥ فأجابت العذراء وكيف ألد بنين
وأنا لا أعرف رجلاً ٦ فأجاب الملاك يا مريم إن الله الذي صنع الإنسان
من غير إنسانٍ لقادرٍ أن يخلق فيك إنساناً من غير أنسان لأنه لا محال
عنده ٧ فأجابت مريم إني لعالمة أن الله قدير فلتكن مشيئته ٨ فقال الملاك
كوني حاملاً بالنبي الذي ستدعينه يسوع ٩ فامنعيه الخمر والمسكر وكل
لحمٍ نجس لأن الطفل قدوس الله ١٠ فانحنت مريم بِضِعَةٍ قائلة: ها أنا ذا
أمة الله فليكن بحسب كلمتك ١١ فانصرف الملاك ١٢ أما العذراء

فمجدت الله قائلة: ١٣ «إعرفي يا نفس عظمة الله ١٤ وافخري يا روحي بالله مخلصي ١٥ لأنه رمق ضعة أمته ١٦ وستدعوني سائر الأمم مباركة ١٧ لأن القدير صيرني عظيمة ١٨ فليتبارك اسمه القدوس لأن رحمته تمتد من جيلٍ إلى جيل للذين يتقونه ١٩ ولقد جعل يده قوية فبدّد المتكبر المعجب بنفسه ٢٠ ولقد أنزل الأعزاء من عن كراسيهم ورفع المتضعين ٢١ أشبع الجائع بالطيبات وصرف الغنيّ صفر اليدين ٢٢ لأنه يذكر الوعود التي وعد بها إبراهيم وابنه إلى الأبد.

الفصل الثاني
(أنباء الملاك جبريل يوسف بحبل العذراء مريم)

١ أما مريم فإذ كانت عالمة مشيئة الله وموجسة خيفة أن يغضب الشعب عليها لأنها حبلى فيرجمها كأنها ارتكبت الزنا اتخذت لها عشيراً من عشيرتها قويم السيرة يدعى يوسف ٢ لأنه كان باراً متقياً لله يتقرب إليه بالصيام والصلوات ويرتزق بعمل يديه لأنه كان نجاراً ٣ ـ هذا هو الرجل الذي كانت تعرفه العذراء واتخذته عشيراً وكاشفته بالإلهام الإلهي ٤ ولما كان يوسف بارًّاً عزم إذا رأى مريم حبلى على إبعادها لأنه كان يتقي الله ٥ وبينا هو نائم إذا بملاك الله يوبخه قائلاً: « ٦ لماذا عزمت على إبعاد امرأتك ٧ فاعلم أن ما كوّن فيه إنما كوِّن بمشيئة الله فستلد العذراء ابناً ٨ وستدعونه يسوع ٩ وتمنع عنه الخمر والمسكر وكل لحمٍ نجس ١٠ لأنه قدوس الله من رحم أمه فإنه نبيّ من الله أُرسل إلى شعبٍ إسرائيل ليحول يهوذا إلى قلبه ١١ ويسلك إسرائيل في شريعة الرب كما هو مكتوب في ناموس موسى ١٢ وسيجيء بقوة عظيمة يمنحها له الله ١٣ وسيأتي بآياتٍ

عظيمة تفضي إلى خلاص كثيرين» ١٤ فلما استيقظ يوسف من النوم شكر الله وأقام مع مريم كل حياته خادماً لله بكل إخلاص.

الفصل الثالث

(ولادة المسيح العجيبة وظهور الملائكة ممجدين لله)

١ كان هيرودس في ذلك الوقت ملكاً على اليهودية بأمر قيصر أوغسطس ٢ وكان بيلاطس حاكماً في زمن الرياسة الكهنوتية لحنان وقيافا ٣ فعملا بأمر قيصر: اكتتب جميع العالم ٤ فذهب إذ ذاك كلٌّ إلى وطنه وقدموا نفوسهم بحسب أسباطهم لكي يكتتبوا فسافر يوسف من الناصرة إحدى مدن الجليل مع امرأته وهي حبلى ذاهباً إلى بيت لحم (لأنها كانت مدينته وهو من عشيرة داود) ليكتتب عملاً بأمر قيصر ٦ ولما بلغ بيت لحم لم يجد فيها مأوى إذ كانت المدينة صغيرة وحشد جماهير الغرباء كثيراً ٧ فنزل خارج المدينة في نزل جُعل مأوى للرعاة ٨ وبينما كان يوسف مقيماً هناك تمت أيام مريم لتلد ٩ فأحاط بالعذراء نور شديد التألق ١٠ وولدت ابنها بدون ألم ١١ وأخذته على ذراعيها ١٢ وبعد أن ربطته بأقمطة وضعته في المِذْوَد ١٣ إذ لم يوجد موضع في النزل ١٤ فجاء جوق غفير من الملائكة إلى النَّزل بطربٍ يسبحون الله ويذيعون بشرى السلام لخائفي الله ١٥ وحمدت مريم ويوسف الله على ولادة يسوع وقاما على تربيته بأعظم سرور.

الفصل الرابع

(الملائكة تبشر الرعاة بولادة يسوع وهؤلاء يبشرون به بعد رؤيتهم إياه)

١ كان الرعاة في ذلك الوقت يحرسون قطيعهم على عادتهم ٢ وإذا

بنور متألق قد أحاط بهم وخرج من خلاله ملاك سبح الله ٣ فارتاع الرعاة بسبب النور الفجائي وظهور الملاك ٤ فسكن روعهم ملاك الرب قائلاً ٥ «ها أنذا أبشركم بفرح عظيم ٦ لأنه قد ولد في مدينة داود طفل نبي للرب الذي سيحرز لبيت إسرائيل خلاصاً عظيماً ٧ وتجدون الطفل في المذود مع أمه التي تسبح الله ٨ وإذا قال هذا حضر جوق عظيم من الملائكة يسبحون الله ٩ ويبشرون الأخيار بسلام ١٠ ولما انصرفت الملائكة تكلم الرعاة فيما بينهم قائلين ١١ لنذهب إلى بيت لحم وننظر الكلمة التي كلمنا بها الله بواسطة ملاك ١٢ وجاء رعاة كثيرون إلى بيت لحم يطلبون الطفل المولود حديثاً ١٣ فوجدوا الطفل المولود مضطجعاً في المِذود خارج المدينة حسب كلمة الملاك ١٤ فسجدوا له وقدموا للأم ما كان معهم وأخبروها بما سمعوا وأبصروا ١٥ فأسرَّت من هذه الأمور في قلبها ويوسف أيضاً شاكرين لله ١٦ فعاد الرعاة إلى قطيعهم يقولون لكل أحدٍ ما أعظم ما رأوا ١٧ فارتعات جبال اليهودية كلها ١٨ ووضع كل رجلٍ الكلمة في قلبه قائلاً: «ما سيكون هذا الطفل يا ترى».

الفصل الخامس
(ختان يسوع)

١ فلما تمت الأيام الثمانية حسب شريعة الرب كما هو مكتوب في كتاب موسى أخذا الطفل واحتملاه إلى الهيكل ليختناه ٢ فختنا الطفل وسمياه يسوع كما قال الملاك قبل أن حُبل به في الرحم ٣ فعلمت مريم ويوسف أن الطفل سيكون لخلاص وهلاك كثيرين ٤ لذلك اتقيا الله وحفظا الطفل ورbياه على خوف الله.

الفصل العاشر

(يسوع وهو ابن ثلاثين يتلقى على جبل الزيتون الإنجيل من الملاك جبريل)

١ ولما بلغ يسوع ثلاثين سنة من العمر كما أخبرني بذلك نفسه
صعد إلى جبل الزيتون مع أمه ليجني زيتوناً؟ وبينما كان يصلي في
الظهيرة وبلغ هذه الكلمات «يا رب برحمة. . .» وإذا بنورٍ باهرٍ قد
أحاط به وجوق لا يحصى من الملائكة كانوا يقولون: «ليتمجد الله» ٣
فقدم له الملاك جبريل كتاباً كأنه مرآة براقة ٤ فنزل إلى قلب يسوع الذي
عرف به ما فعل الله وما قال الله وما يريد الله حتى أن كل شيء كان
عرياناً ومكشوفاً له ٥ ولقد قال لي: «صَدِّق يا برنابا أني أعرف كل نبي
وكل نبوة وكل ما أقوله إنما قد جاء من ذلك الكتاب».

٦ ولما تجلت هذه الرؤيا ليسوع وعلم أنه نبيٌّ مرسل إلى بيت
إسرائيل كاشف مريم أمه بكل ذلك قائلاً لها: إنه يترتب عليه احتمال
اضطهادٍ عظيمٍ لمجد الله، وأنه لا يقدر فيما بعد أن يقيم معها ويخدمها
٧ فلما سمعت مريم هذا أجابت: «يا بني إني نُبئت بكل ذلك قبل أن
تولد فليتمجد اسم الله القدوس» ٨ ومن ذلك اليوم انصرف يسوع عن
أُمه ليمارس وظيفته النبوية.

الفصل الحادي عشر

(يسوع يشفي الأبرص ويذهب الى أورشليم)

١ ولما نزل يسوع من الجبل ليذهب إلى أورشليم التقى بأبرص
علم بإلهامٍ إلهي أن يسوع نبي ٢ فتضرع إليه باكياً قائلاً: «يا يسوع بن
داود ارحمني» فأجاب يسوع: «ماذا تريد أيها الأخ أن أفعل لك».

٤ فأجاب الأبرص: يا سيدي «أعطني صحة» ٥ فوبخه يسوع قائلاً «إنك لغبي إضرع إلى الله الذي خلقك وهو يعطيك صحة لأنني رجل نظيرك». ٦ فأجاب الأبرص: «أعلم يا سيدي أنك إنسان ولكنك قدوس الرب» فاضرع إذاً إلى الله وهو يعطيني صحة» ٧ فتنهد يسوع وقال «أيها الرب الإله القدير لأجل محبة أنبيائك الأطهار أبرىء هذا العليل» ٨ ولما قال ذلك لمس العليل بيديه وقال «بسم الله أيها الأخ إبرأ» ٩ ولما قال ذلك برىء من برصه حتى أن جسده الأبرص أصبح كجسد طفل ١٠فلما رأى الأبرص ذلك وعلم أنه قد برىء صرخ بصوت عال «تعال إلى هنا يا إسرائيل وتقبل النبي الذي بعثه الله إليك» ١١ فرجاه يسوع قائلاً: «أيها الأخ أُصمت ولا تقل شيئاً» ١٢ فلم يزده الرجاء إلا صراخاً قائلاً: «ها هو ذا النبي ها هو ذا قدوس الله» ١٣ فلما سمع هذه الكلمات كثيرون من الذين كانوا ذاهبين إلى أورشليم رجعوا مسرعين ١٤ ودخلوا أورشليم مع يسوع وقصوا ما صنع الله للأبرص بواسطة يسوع.

الفصل الثاني عشر
(الموعظة الأولى التي ألقاها يسوع على الشعب وغرائبها)
«من حيث ما يتعلق منها بإسم الله»

١ فاضطربت المدينة كلها لهذه الكلمات ٢ وأسرع الجميع إلى الهيكل ليروا يسوع الذي دخل إليه ليصلي حتى ضاق بهم المكان ٣ فتقدم الكهنة إلى يسوع قائلين: «إن هذا الشعب يجب أن يراك ويسمعك فارتق إذاً الدكة وإذا أعطاك الله كلمة فتكلم بها باسم الرب» ٤ فارتقى يسوع الموضع الذي اعتاد الكتبة التكلم فيه ٥ وإذ أشار بيده

إيماءً للصمت فتح فاه قائلاً : ٦ «تبارك اسم الله القدوس الذي من وجوده ورحمته أراد فخلق خلائقه ليمجدوه ١٧ «ولكن أيها الأخوة ماذا نفعل اليوم لكي لا نجازى على خطايانا»؟.

١٨ وحينئذٍ وبَّخ يسوع الشعب بأشد عنف لأنهم نسوا كلمة الله وأسلموا أنفسهم للغرور فقط ١٩ ووبخ الكهنة لإهمالهم خدمة الله ولجشعهم ٢٠ ووبخ الكتبة لأنهم علموا تعاليم فاسدة وتركوا شريعة الله ٢١ ووبخ العلماء لأنهم ابطلوا شريعة الله بواسطة تقاليدهم ٢٢ وأثر كلام يسوع في الشعب حتى أنهم بكوا جميعهم من صغيرهم إلى كبيرهم يستصرخون رحمته ويضرعون إلى يسوع لكي يصلي لأجلهم ٢٣ ما خلا كهنتهم ورؤساءهم الذين أضمروا في ذلك اليوم العداء ليسوع لأنه تكلم هكذا ضد الكهنة والكتبة والعلماء فصمموا على قتله ٢٤ ولكنهم لم ينبسوا بكلمة خوفاً من الشعب الذي قبله نبياً من الله.

٢٥ ورفع يسوع يديه إلى الرب الإله وصلى ٢٦ فبكى الشعب وقالوا «ليكن كذلك يا رب ليكن كذلك» ٢٧ ولما انتهت الصلاة نزل يسوع من الهيكل وسافر ذلك اليوم من أورشليم مع كثيرين من الذين تبعوه ٢٨ وتكلم الكهنة فيما بينهم بالسوء في يسوع.

الفصل الرابع عشر
(المسيح ينتخب اثني عشر تلميذاً بعد صيام اربعين يوماً)

١ ونزل يسوعُ من الجبل وعبر وحده ليلاً إلى الجانب الأقصى من عبر الأردن ٢ وصام أربعين يوماً وأربعين ليلة لم يأكل شيئاً ليلاً ولا نهاراً ضارعاً دوماً إلى الرب لخلاص شعبه الذي أرسله الله إليه ٣ فلما

انقضت الأربعون يوماً جاع ٤ فظهر له حينئذٍ الشيطان وجربه بكلمات كثيرة ٥ ولكن يسوع طرده بقوة كلمات الله ٦ فلما انصرف الشيطان جاءت الملائكة وقدمت ليسوع كل ما يحتاج.

٧ أما يسوع فعاد إلى نواحي أورشليم ووجده الشعب مرة أخرى بفرح عظيم ٨ ورجاه أن يمكث معهم لأن كلماته لم تكن ككلمات الكتبة بل كانت قوية لأنها أثرت في القلب.

٩ فلما رأى يسوع أن الجمهور الذي عاد إلى نفسه ليسلك في شريعة الله جمهور غفير صعد الجبل ومكث كل الليل بالصلاة ١٠ فلما طلع النهار نزل من الجبل وانتخب اثني عشر سماهم رسلاً منهم يهوذا الذي صُلب ١١ أما اسماؤهم فهي: ١٢ أندراوس وأخوه بطرس الصياد ١٣ وبرنابا الذي كتب هذا مع متى العشار الذي كان يجلس للجباية ١٤ يوحنا ويعقوب إبنا زبدي ١٥ تدّاوس ويهوذا ١٦ برتولوماوس وفيلبس ١٧ يعقوب ويهوذا الإسخريوطي الخائن ١٨ فهؤلاء كاشفهم على الدوام بالأسرار الإلهية ١٩ أما يهوذا الإسخريوطي فأقامه وكيلاً على ما كان يعطي للصدقات فكان يختلس العشر من كل شيء.

الفصل الخامس عشر
(الآية التي فعلها المسيح في العرس حيث حَوَّل الماء خمراً)

١ ولما اقترب عيد المظال دعا غني يسوع وتلاميذه وأمه إلى العرس ٢ فذهب يسوع ٣ وبينما هم في الوليمة فرغت الخمر ٤ فكلمت أم يسوع إياه قائلة: «ليس لهم خمر» ٥ فأجاب يسوع «ما شأني في ذلك

يا أماه؟» ٦ فأوصت أمه الخدمة أن يطيعوا يسوع المسيح في كل ما يأمرهم به ٧ وكانت هناك ستة أجران للماء حسب عادة إسرائيل ليطهروا أنفسهم للصلاة ٨ فقال يسوع: املأوا هذه الأجران ماء ٩ ففعل الخَدَمَةُ هكذا ١٠ فقال لهم يسوع: «باسم الله اسقوا المدعوين» ١١ فقدم الخدمة إلى مدير الحفلة الذي وبَّخ الأتباع قائلاً ١٢ «أيها الخدمة الأخساء لماذا أبقيتم الخمر الجيدة حتى الآن»؟ لأنه لم يعرف شيئاً مما فعل يسوع.

١٣ فأجاب الخَدَمَةُ: «يوجد هنا رجل قدوس الله لأنه جعل من الماء خمراً» ١٤ غير أن مدبر الحفلة ظن أن الخدمة سكارى ١٥ أما الذين كانوا جالسين بجانب يسوع فلما رأوا الحقيقة نهضوا عن المائدة واحتفوا به قائلين «حقاً أنك قدوس الله ونبي صادق مرسل إلينا من الله».

١٦ حينئذٍ آمن به تلاميذه ١٧ وعاد كثيرون إلى أنفسهم قائلين ١٨ «الحمد لله الذي أظهر رحمة لإسرائيل وافتقد بيت يهوذا بمحبته تبارك اسمه الأقدس».

الفصل السابع عشر
(عدم إيمان التلاميذ ودين «مامن» الصحيح)

١ ولما قال يسوع ذلك أجاب فيلبس إننا لراغبون في خدمة الله ولكننا نرغب أيضاً أن نعرف الله لأن أشعيا النبي قال: ٢ «حقاً إنك لإله محتجب ٣ وقال الله لموسى عبده «أنا الذي هو أنا».

٤ أجاب يسوع يا فيلبس إن الله صلاح بدونه لا صلاح ٥ إن الله موجود بدونه لا وجود ٦ إن الله حياة بدونها لا أحياء ٧ هو عظيم حتى

أنه يملأ الجميع وهو في كل مكان ٨ هو وحده لا نِدَّ له ٩ لا بداية ولا نهاية له ولكنه جعل لكل شيء بداية، وسيجعل لكل شيء نهاية ١٠ لا أب ولا أم له ١١ لا أبناء ولا إخوة ولا عشراء له ١٢ ولما كان ليس لله جسم فهو لا يأكل ولا ينام ولا يموت ولا يمشي ولا يتحرك ١٣ ولكنه يدوم إلى الأبد بدون شبيه بشري ١٤ لأنه غير ذي جسم وغير مركب وغير مادي وأبسط البسائط ١٥ وهو جواد لا يحب إلا الجود ١٦ وهو مقسِط حتى إذا هو قاصَّ أو صفح فلا مردَّ له ١٧ وبالإختصار أقول لك يا فيلبس: أنه لا يمكنك أن تراه وتعرفه على الأرض تمام المعرفة ١٨ ولكنك ستراه في مملكته إلى الأبد حيث يكون قوام سعادتنا ومجدنا ١٩ أجاب فيلبس: ماذا تقول يا سيّد حقاً لقد كُتب في «أشعيا»: أن الله أبونا، فكيف لا يكون له بنون؟ ٢٠ أجاب يسوع: إنه في الأنبياء مكتوب أمثال كثيرة لا يجب أن تأخذها بالحرف بل بالمعنى ٢٢ ولكن سيأتي بعدُ بهاء كل الأنبياء والأطهار فيشرق نوراً على ظلمات سائر ما قال الأنبياء ٢٣ لأنه رسول الله.

من الفصل الثالث والأربعون

١٣ «الحق أقول لكم إن كل نبي متى جاء فإنه إنما يحمل لأمة واحدة فقط علامة رحمة الله ١٤ ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذي أُرسلوا إليه ١٥ ولكن رسول الله متى جاء يعطيه الله ما هو بمثابة خاتم يده ١٦ فيحمل خلاصاً ورحمة لأمم الأرض الذين يقبلون تعليمه ١٧ وسيأتي بقوة على الظالمين ١٨ ويبيد عبادة الأصنام بحيث يخزي الشيطان ١٩ لأنه هكذا وعد الله إبراهيم قائلاً: «أنظر فإني بنسلك أبارك كل قبائل الأرض وكما حطمت يا إبراهيم الأصنام تحطيماً هكذا

سيفعل نسلك». ٢٠ أجاب يعقوب: «يا معلم قل لنا بمَن صُنع هذا العهد؟ ٢١ فإن اليهود يقولون: «بإسحاق» ٢٢ والإسماعيليون يقولون: «بإسماعيل». ٢٣ أجاب يسوع: «إبن مَن كان داود ومن أي ذرية»؟

٢٤ أجاب يعقوب: «من إسحاق لأن إسحاق كان أبا يعقوب ويعقوب كان أبا يهوذا الذي من ذريته داود». ٢٥ فحينئذٍ قال يسوع: «ومتى جاء رسول الله فمن نسل من يكون»؟

٢٦ أجاب التلاميذ: «من داود». ٢٧ فأجاب يسوع: «لا تغشوا أنفسكم ٢٨ لأن داود يدعوه في الروح رباً قائلاً هكذا: «قال الله لربي أجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك ٢٩ يرسل الرب قضيبك الذي سيكون ذا سلطان في وسط أعدائك. ٣٠ فإذا كان رسول الله الذي تسمونه مسيا ابن داود فكيف يسميه داود رباً ٣١ **صدقوني لأني أقول لكم الحق أن العهد صُنع بإسماعيل لا بإسحاق.**

من الفصل الرابع والأربعون

١٤ فأجاب حينئذٍ يسوع: «الحق أقول لكم إن الشيطان يحاول دائماً إبطال شريعة الله ١٥ فلذلك قد نجس هو وأتباعه والمراؤون وصانعو الشر كل شيء اليوم ١٦ الأولون بالتعليم الكاذب والآخرون بمعيشة الخلاعة ١٧ حتى لا يكاد يوجد الحق تقريباً ١٨ ويل للمرائين لأن مدح هذا العالم سينقلب عليهم إهانة وعذاباً في الجحيم.

١٩ «**لذلك أقول لكم إن رسول الله بهاءٌ** يُسر كل ما صنع الله تقريباً ٢٠ لأنه مزدان بروح الفهم والمشورة ٢١ روح الحكمة والقوة ٢٢ روح الخوف والمحبة ٢٣ روح التبصر والاعتدال ٢٤ مزدان بروح المحبة

والرحمة ٢٥ روح العدل والتقوى ٢٦ روح اللطف والصبر التي أخذ منها من الله ثلاثة أضعاف ما أعطى لسائر خلقه ٢٧ ما أسعد الزمن الذي سيأتي فيه إلى العالم ٢٨ صدقوني إني رأيته وقدمت له الاحترام كما رآه كل نبي ٢٩ لأن الله يعطيهم روحه نبوة ٣٠ ولما رأيته امتلأت عزاء قائلاً: «يا محمد ليكن الله معك وليجعلني أهلاً أن أحل سَيْرَ[1] حذائك ٣١ لأني إذا نلت هذا صرت نبياً عظيماً وقدوس الله».

٣٢ ولما قال يسوع هذا شكر الله.

الفصل السادس والأربعون

١ وتكلم يسوع أيضاً قائلاً: «اضرب لكم مثلاً ٢ غرس ربُّ بيتٍ كرماً وجعل له سياجاً لكي لا تدوسه الحيوانات ٣ وبنى في وسطه معصرة للخمر ٤ وآجره للكرامين ٥ ولما حان الوقت ليجمع الخمر أرسل عبيده ٦ فلما رآهم الكرامون رجموا بعضاً وأحرقوا بعضاً، وبقروا الآخرين بمدية ٧ وفعلوا هذا مراراً عديدة ٨ فقولوا لي ماذا يفعل صاحب الكرم بالكرامين؟»

٩ فأجاب كل واحد: «إنه ليهلكنهم شر هلكة، ويسلم الكرم لكرامين آخرين».

١٠ لذلك قال يسوع: «ألا تعلمون أن الكرم هو بيت إسرائيل والكرامين شعب يهوذا وأورشليم؟ ١١ ويل لكم لأن الله غاضب عليكم ١٢ لأنكم بقرتم كثيرين من أنبياء الله حتى أنه لم يوجد في زمن

(١) السَّيْرُ: ما يُقَدُّ أو يُقطع من الجلد، وما قُدَّ منه طولاً أيضاً. والمراد: حلُّ رباط الحذاء المصنوع من الجلد ـ والجمع: السّيور.

«أخاب» واحد يدفن قديسي الله». ١٣ ولما قال هذا أراد رؤساء الكهنة أن يمسكوه ولكنهم خافوا العامة الذين عظموه.

الفصل السبعون

١ وانصرف يسوع من أورشليم بعد الفصح ودخل حدود قيصرية فيلبس ٢ فسأل تلاميذه بعد أن أنذره الملاك جبريل بالشغب الذي نجم بين العامة قائلاً: «ماذا يقول الناس عني؟».

٣ أجابوا: «يقول البعض إنك إيليا، وآخرون أرميا، وآخرون أحد الأنبياء». ٤ أجاب يسوع: «وما قولكم أنتم في؟». ٥ أجاب بطرس «إنك المسيح ابن الله». ٦ فغضب حينئذٍ يسوع وانتهره بغضب قائلاً: «إذهب وانصرف عني لأنك أنت الشيطان وتحاول أن تسيء إلي». ٧ ثم هدد الأحد عشر قائلاً: «ويل لكم إذا صدقتم هذا لأني ظفرت بلعنة كبيرة من الله على كل من يصدق هذا».

٨ وأراد أن يطرد بطرس ٩ فتضرع حينئذٍ الأحد عشر إلى يسوع لأجله فلم يطرده ١٠ ولكنه انتهره أيضاً قائلاً: «حذارِ أن تقول مثل هذا الكلام مرة أخرى لأن الله يلعنك».

١١ فبكى بطرس وقال: «يا سيد لقد تكلمت بغباوة فاضرع إلى الله أن يغفر لي». ١٢ ثم قال يسوع: «إذا كان إلهنا لم يرد أن يظهر نفسه لموسى عبده، ولا لإيليا الذي أحبه كثيراً، ولا لنبي ما أتظنون أن الله يُظهر نفسه لهذا الجيل الفاقد الإيمان ١٣ بل ألا تعلمون أن الله قد خلق بكلمة واحدة كل شيء من العدم، وأن منشأ البشر جميعهم من كتلة طين؟ ١٤ فكيف إذاً يكون الله شبيهاً بالإنسان؟ ١٥ ويل للذين يدعون الشيطان

يخدعهم». ١٦ ولما قال يسوع هذا ضرع إلى الله لأجل بطرس، والأحد عشر وبطرس يبكون ويقولون: «ليكن كذلك أيها الرب المبارك إلهنا».

١٧ وانصرف يسوع بعد هذا وذهب إلى الجليل إخماداً لهذا الرأي الباطل الذي ابتدأ أن يعلق بالعامة في شأنه.

من الفصل الثاني والسبعون

٥ فاقترب الذي يكتب هذا إلى يسوع بدموع قائلاً: «يا معلم قل لي من هو الذي يُسلمك؟».

٦ أجاب يسوع قائلاً: «يا برنابا ليست هذه الساعة هي التي تعرفه فيها ولكن يعلن الشرير نفسه قريباً لأني سأنصرف عن العالم».

٧ فبكى حينئذٍ الرسل قائلين: «يا معلم لماذا تتركنا لأن الأحرى بنا أن نموت من أن تتركنا».

٨ أجاب يسوع: «لا تضطرب قلوبكم ولا تخافوا ٩ لأني لست أنا الذي خلقكم بل الله الذي خلقكم يحميكم ١٠ **أمَّا من خصوصي فإني قد أتيت لأهيىء الطريق لرسول الله الذي سيأتي بخلاص للعالم** ١١ ولكن احذروا أن تغشوا لأنه سيأتي أنبياء كذبة كثيرون يأخذون كلامي وينجسون إنجيلي. ١٢ حينئذٍ قال أندراوس: «يا معلم إذكر لنا علامة لنعرفه».

١٣ أجاب يسوع: «إنه لا يأتي في زمنكم بل يأتي بعدكم بعدة سنين حينما يبطل إنجيلي ولا يكاد يوجد ثلاثون مؤمناً ١٤ في ذلك الوقت يرحم الله العالم فيرسل رسوله الذي تستقر على رأسه غمامة بيضاء يعرفه أحد مختاري الله وهو سيظهره للعالم ١٥ **وسيأتي بقوة عظيمة على الفجار، ويبيد عبادة الأصنام من العالم** ١٦ **وإني أُسَرُّ بذلك**

لأنه بواسطته سيعلن ويمجد الله ويظهر صدقي ١٧ وسينتقم من الذين سيقولون إني أكبر من إنسان ١٨ .

الفصل الثاني والثمانون

١ حينئذٍ تنهد يسوع وبكى قائلاً: ٢ «ويل لك يا بلاد اليهودية لأنك تفخرين قائلة: «هيكل الرب هيكل الرب» وتعيشين كأنه لا إله منغمسة في الملذات ومكاسب العالم ٣ فإن هذه المرأة تحكم عليك بالجحيم في يوم الدين ٤ لأن هذه المرأة تطلب أن تعرف كيف تجد نعمة ورحمة عند الله».

٥ ثم التفت إلى المرأة وقال: «أيتها المرأة إنكم أنتم السامريون تسجدون لما لا تعرفون أما نحن العبرانيين فنسجد لمن نعرف ٦ الحق أقول لك إن الله روح وحق ويجب أن يسجد له بالروح والحق ٧ لأن عهد الله إنما أخذ في أورشليم في هيكل سليمان لا في موضع آخر ٨ ولكن صدقيني أنه يأتي وقت يعطي الله فيه رحمته في مدينة أخرى ويمكن السجود له في كل مكان بالحق ويقبل الله الصلاة الحقيقية في كل مكان رحمته».

٩ أجابت المرأة: «إننا ننتظر مِسيّاً فمتى جاء يعلمنا».

١٠ أجاب يسوع: «أتعلمين أيتها المرأة أن مُسيًا لا بد أن يأتي؟».

١١ أجابت: «نعم يا سيد».

١٢ حينئذٍ تهلل يسوع وقال: «يلوح لي أيتها المرأة أنك مؤمنة ١٣ فاعلمي إذاً أنه بالإيمان بمسيًا[1] سيخلص كل مختاري الله ١٤ إذاً وجب أن تعرفي مجيء مسيّا». ١٥ قالت المرأة: «لعلك أنت مسيًا أيها السيدة».

---

(١) الرسول الآتي.

١٦ **أجاب يسوع: «إني حقاً أُرسلت إلى بيت إسرائيل نبي خلاص**
١٧ **ولكن سيأتي بعدي مسيًّا المرسل من الله لكل العالم الذي لأجله خلق الله العالم** ١٨ وحينئذٍ يسجد الله في كل العالم وتنال الرحمة حتى أن سنة اليوبيل التي تجيء الآن كل مئة سنة سيجعلها مِسيًّا كل سنة في كل مكان». ١٩ حينئذٍ تركت المرأة جرتها وأسرعت إلى المدينة لتخبر بكل ما سمعت من يسوع.

الفصل السادس والتسعون

١ ولما انتهت الصلاة قال الكاهن بصوتٍ عالٍ: «قف يا يسوع لأنه يجب علينا أن نعرف من أنت تسكيناً لأمتنا».

٢ أجاب يسوع: «أنا يسوع بن مريم من نسل داود بشر مائت ويخاف الله وأطلب أن لا يُعطى الإكرام والمجد إلا لله».

٣ أجاب الكاهن: «إنه مكتوب في كتاب موسى أن إلهنا سيرسل لنا مسيًّا الذي سيأتي ليخبرنا بما يريد الله وسيأتي للعالم برحمة الله ٤ لذلك أرجوك أن تقول لنا الحق **هل أنت مِسيًّا الله الذي ننتظره؟**».

٥ **أجاب يسوع: «حقاً إن الله وعد هكذا ولكني لست هو لأنه خُلق قبلي وسيأتي بعدي**. ٦ أجاب الكاهن: «إننا نعتقد من كلامك وآياتك على كل حال أنك نبي وقدوس الله ٧ لذلك أرجوك باسم اليهودية كلها وإسرائيل أن تفيدنا حباً في الله بأية كيفية سيأتي مُسيًّاً»؟

٨ أجاب يسوع: «لعمر الله الذي تقف بحضرته نفسي إني لست **مسيًّا الذي تنتظره كل قبائل الأرض** كما وعد الله أبانا إبراهيم قائلاً: بنسلك أبارك كل قبائل الأرض: ٩ **ولكن عندما يأخذني الله من العالم**

سيثير الشيطان مرة أخرى هذه الفتنة الملعونة بأن يحمل عادم التقوى على الاعتقاد بأني الله وابن الله ١٠ فيتنجس بسبب هذا كلامي وتعليمي حتى لا يكاد يبقى ثلاثون مؤمناً ١١ حينئذٍ يرحم الله العالم ويرسل رسوله الذي خلق كل الأشياء لأجله ١٢ الذي سيأتي من الجنوب بقوة وسيبيد الأصنام وعبدة الأصنام ١٣ وسينتزع من الشيطان سلطته على البشر ١٤ وسيأتي برحمة الله لخلاص الذين يؤمنون به ١٥ وسيكون من يؤمن بكلامه مباركاً.

الفصل السابع والتسعون

١ «ومع أني لست مستحقاً أن أحل سير حذائه قد نلت نعمة ورحمة من الله لأراه».

٢ فأجاب حينئذٍ الكاهن مع الوالي والملك قائلين لا تزعج نفسك يا يسوع قدوس الله لأن هذه الفتنة لا تحدث في زمننا مرة أخرى ٣ لأننا سنكتب إلى مجلس الشيوخ الروماني المقدس بإصدار أمرٍ ملكي أن لا أحد يدعوك فيما بعد الله أو ابن الله».

٤ فقال حينئذٍ يسوع: «إن كلامكم لا يعزيني لأنه يأتي ظلام حيث ترجون النور ٥ ولكن تعزيتي هي في مجيء الرسول الذي سيبيد كل رأي كاذب فيَّ وسيمتد دينه، ويعم العالم بأسره لأنه هكذا وعد الله أبانا إبراهيم ٦ وأن ما يعزيني هو أن لا نهاية لدينه لأن الله سيحفظه صحيحاً».

٧ أجاب الكاهن: «أيأتي رسل آخرون بعد مجيء رسول الله؟»

٨ فأجاب يسوع: «لا يأتي بعده أنبياء صادقون مرسلون من الله ٩

ولكن يأتي عدد غفير من الأنبياء الكذبة وهو ما يحزنني ١٠ لأن الشيطان سيثيرهم بحكم الله العادل فيتسترون بدعوى إنجيلي».

١١ أجاب هيرودس: «كيف أن مجيء هؤلاء الكافرين يكون بحكم الله العادل؟».

١٢ أجاب يسوع: «من العدل أن من لا يؤمن بالحق لخلاصه يؤمن بالكذب للعنته لذلك أقول لكم إن العالم كان يمتهن الأنبياء الصادقين دائماً، وأحبَّ الكاذبين كما يشاهد في أيام ميشع وأرميا لأن الشبيه يحب شبيهه».

١٣ فقال حينئذٍ الكاهن: «**ماذا يسمى مسيًّا وما هي العلامة التي تعلن مجيئه؟**»

١٤ أجاب يسوع: «**إن إسم مسيًّا عجيب لأن الله نفسه سماه لما خلق نفسه ووضعها في بهاء سماوي ١٥ قال الله: «إصبر يا محمد لأني لأجلك أريد أن أخلق الجنة والعالم وجماً غفيراً من الخلائق التي أهبها لك حتى أن من يباركك يكون مباركاً ومن يلعنك يكون ملعوناً ١٦ ومتى أرسلتك إلى العالم أجعلك رسولي للخلاص وتكون كلمتك صادقة حتى أن السماء والأرض تهنان ولكن إيمانك لا يهن أبداً» ١٧ إنَّ اسمه المبارك محمد**» ١٨ حينئذٍ رفع الجمهور أصواتهم قائلين: «يا الله أرسل لنا رسولك يا محمد تعال سريعاً لخلاص العالم!».

الفصل الثاني عشر بعد المائة

٣ فانصرف التلاميذ والرسل كلهم أربعة أربعة وستة ستة وانطلقوا في الطريق حسب كلمة يسوع ٤ وبقي مع يسوع الذي يكتب ٥ فقال

يسوع باكياً: يا برنابا يجب أن أكاشفك بأسرارٍ عظيمة يجب عليك مكاشفة العالم بها بعد انصرافي منه».

٦ فأجاب الكاتب باكياً وقال: «إسمح لي بالبكاء يا معلم ولغيري أيضاً لأننا خطاة ٧ وأنت يا من هو طاهر ونبي الله لا يحسن بك أن تكثر من البكاء».

٨ أجاب يسوع: صدقني يا برنابا أنني لا أقدر أن أبكي قدر ما يجب عليَّ ٩ لأنه لو لم يدعني الناس إلهاً لكنت عاينت هنا الله كما يعاين في الجنة ولكنت أمنت خشية يوم الدين ١٠ بيد أن الله يعلم إني بريء لأنه لم يخطر لي في بال أن أحسب أكثر من عبدٍ فقير ١١ بل أقول لك إنني لو لم أدع إلهاً لكنت حُملت إلى الجنة عندما انصرف من العالم أما الآن فلا أذهب إلى هناك حتى الدينونة ١٢ فترى إذاً إذا كان يحق لي البكاء ١٣ فاعلم يا برنابا إنه لأجل هذا يجب عليَّ التحفظ وسيبيعني أحد تلاميذي بثلاثين قطعة من نقود ١٤ وعليه **فإني على يقين من أن من يبيعني يُقتل بإسمي ١٥ لأن الله سيصعدني من الأرض وسيغير منظر الخائن حتى يظنه كل أحد إياي ١٦ ومع ذلك فإنه لما يموت شر ميتة أمكث في ذلك العار زمناً طويلاً في العالم ١٧ ولكن متى جاء محمد رسول الله المقدس تُزال عني هذه الوصمة ١٨ وسيفعل الله هذا لأني اعترفت بحقيقة مسيًّا الذي سيعطيني هذا الجزاء**، أي: أن أعرف أني حي وأني بريء من وصمة تلك الميتة».

الفصل التاسع والثلاثون بعد المائة

١ أما يسوع فوجده الذي يكتب ويعقوب ويوحنا ٢ فقالوا وهم باكون: «يا معلم لماذا هربت منا؟ ٣ فلقد طلبناك ونحن حزانى بل إن

التلاميذ كلهم طلبوك باكين ٤ فأجاب يسوع: «إنما هربت لأني علمت
أن جيشاً من الشياطين يهيىء لي ما سترونه بعد برهة وجيزة ٥ فسيقوم
عليّ رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب وسيطلبون أمراً من الحاكم الروماني
بقتلي ٦ لأنهم يخافون أن أغتصب ملك اسرائيل ٧ وعلاوة على هذا
فإن واحداً من تلاميذي يبيعني ويسلمني كما بيع يوسف إلى مصر ٨
ولكن الله العادل سيوثقه كما يقول النبي داود: «من نصب فخاً لأخيه
وقع فيه» ٩ ولكن الله سيخلصني من أيديهم وسينقلني من العالم».

١٠ فخاف التلاميذ الثلاثة ١١ ولكن يسوع عزاهم قائلاً: «لا
تخافوا لأنه لا يسلمني أحد منكم» فكان لهم بهذا شيء من العزاء.

١٢ وجاء في اليوم التالي ستة وثلاثون تلميذاً من تلاميذ يسوع مثنى
مثنى ١٣ ومكث في دمشق ينتظر الباقين ١٤ وحزن كل منهم لأنهم
عرفوا أن يسوع سينصرف من العالم ١٥ لذلك فتح فاه، وقال: «إنَّ من
يسير دون أن يعلم إلى أين يذهب لهو تعيس ١٦ وأتعس منه من هو قادر
ويعرف كيف يبلغ نزلاً حسناً ومع ذلك يريد أن يمكث في الطريق
القذرة، والمطر، وخطر اللصوص.

١٩ أجاب التلاميذ: «إنَّ ذلك لصحيح».

٢٠ حينئذٍ بكى يسوع وقال: «إن عشاق العالم إنما هم لكذلك ٢١
لأنهم لو عاشوا بحسب العقل الذي اتخذ موضعاً متوسطاً في الإنسان
لاتبعوا شريعة الله وخلصوا من الموت الأبدي ٢٢ ولكنهم جنوا
وأصبحوا أعداء عتاة لأنفسهم لأنهم يتبعون الجسد والعالم مجتهدين
في أن يعيش كل منهم أشدَّ غطرسة وفجوراً من الآخر».

الفصل الثاني والأربعون بعد المائة

١ لما رأى يهوذا الخائن أن يسوع قد هرب يئس من أن يصير عظيماً في العالم ٢ لأنه كان يحمل كيس يسوع حيث كان يحفظ فيه كل ما كان يعطى له حباً في الله ٣ فهو قد رجا أن يصير يسوع ملكاً على إسرائيل وأنه هو نفسه يصبح رجلاً عزيزاً ٤ فلما فقد هذا الرجاء قال في نفسه: «لو كان هذا الرجل نبياً لعرف أني اختلس نقوده ولكان حنق وطردني من خدمته إذ يعلم أني لا أومن به ٥ ولو كان حكيماً لما هرب من المجد الذي يريد الله أن يعطيه إياه ٦ فالأجدر بي إذاً أن أتفق مع رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيين ونرى كيف أسلمه إلى أيديهم فبهذا أتمكن من تحصيل شيء من النفع ٧ فبعد أن عقد النية أخبر الكتبة والفريسيين عما حدث في نايين ٨ فتشاوروا مع رئيس الكهنة قائلين: «ماذا نفعل لو صار هذا الرجل ملكاً؟ ٩ حقاً إن ذلك يكون وبالاً علينا فإنه يريد أن يصلح عبادة الله على حسب السنة القديمة لأنه لا يقدر أن يبطل تقاليدنا ١١ فكيف يكون مصيرنا تحت سلطان رجلٍ هكذا؟

١٢ حقاً أننا نهلك نحن وأولادنا ١٣ لأننا إذا طردنا من وظيفتنا اضطررنا أن نُستعطى خبزنا.

١٣ «أما الآن فالحمد لله لنا ملك ووالٍ أجنبيان عن شريعتنا ولا يباليان بشريعتنا كما لا نبالي نحن بشريعتهم ١٤ ولذلك نقدر أن نفعل كل ما نريد ١٥ فإن أخطأنا فإن إلهنا رحيم يمكن استرضاؤه بالضحية والصوم ١٦ ولكن إذا صار هذا الرجل ملكاً فلن يُسترضى إلا إذا رأى

عبادة الله كما كتب موسى ١٧ وأنكى من ذلك أنه **يقول أن مِسيّاً[١] لا يأتي من نسل داود (كما قال لنا أحد تلاميذ الأخصاء) بل يقول إنه يأتي من نسل إسماعيل ١٨ وأن الموعد صُنع بإسماعيل لا بإسحاق.**

١٩ «فماذا يكون الثمر إذا تركنا هذا الإنسان يعيش؟ ٢٠ من المؤكد أن الإسماعيليين يصيرون ذوي وجاهة عند الرومانيين فيعطونهم بلادنا ملكاً ٢١ وهكذا يصير إسرائيل عرضة للعبودية كما كان قديماً» ٢٢ فلما سمع رئيس الكهنة هذا الرأي أجاب أنه يجب أن يتفق مع هيرودس والوالي ٢٣ لأنَّ الشعب كثير الميل إليه حتى أنه لا يمكننا إجراء شيء بدون الجند ٢٤ وإن شاء الله نتمكن بواسطة الجند من القيام بهذا العمل».

٢٥ فبعد أن تشاوروا فيما بينهم ائتمروا على إمساكه ليلاً متى رضي الوالي وهيرودس بذلك.

الفصل الثالث والأربعون بعد المائة

١ وجاء حينئذٍ بمشيئة الله كل التلاميذ إلى دمشق ٢ وتظاهر في ذلك اليوم يهوذا الخائن أكثر من غيره بمكابدة الحزن على غياب يسوع ٣ لذلك قال يسوع: «ليحذر كل أحد من يحاول بدون سبب أن يقيم لك دلائل الحب». ٤ وأخذ الله بصيرتنا حتى لا تعلم لأي غرضٍ قال هذا.

٥ وبعد مجيء كل التلاميذ قال يسوع: «لنرجع إلى الجليل لأن

---

(١) تقدم أن معنى «مِسيًا»: هو رسول حسب ترجمة الدكتور سعادة على الهامش من ترجمته لانجيل «برنابا».

ملاك الله لي أنه يجب علي أن أذهب إلى هناك» ٦ وعليه جاء يسوع إلى الناصرة في صباح يوم سبت ٧ فلما تبين الأهالي أنه يسوع أحب كل أحد أن يراه ٨ حتى أن عشاراً اسمه «زكَّا» كان قصير القامة بحيث لا يقدر أن يرى يسوع مع كثرة الجمع فتسلق جميزة حتى رأسها ٩ وتربص هناك حتى يمر يسوع في ذلك المكان وهو ذاهب إلى المجمع.

١٠ فلما بلغ يسوع ذلك الموضع رفع عينيه، وقال: إنزل يا «زكَّا» لأني سأقيم في بيتك». ١١ فنزل الرجل وقَبَّلَه بفرح وصنع وليمة عظيمة.

١٢ فتذمر الفريسيون قائلين لتلاميذ يسوع: «لماذا ذهب معلمكم ليأكل مع عشارين وخطأة؟»

١٣ أجاب يسوع «لأي سببٍ يذهب الطبيب إلى بيت المريض؟ ١٤ قولوا لي أقل لكم لماذا ذهبت إلى هناك».

الفصل الثالث والستون بعد المائة

١ وذهب يسوع مع تلاميذه إلى البرية وراء الأردن ٢ فلما انقضت صلاة الظهيرة جلس بجانب نخلة وجلس تلاميذه تحت ظل النخلة.

٣ حينئذٍ قال يسوع: «أيها الاخوة إن سبق الاصطفاء لسر عظيم حتى أني أقول لكم الحق إنه لا يعلمه جلياً إلا انسان واحد فقط ٤ وهو الذي تتطلع إليه الأمم الذي تتجلى له أسرار الله تجلياً فطوبى للذين سيصيخون السمع إلى كلامه متى جاء إلى العالم ٥ لأن الله سيظللهم

كما تظللنا هذه النخلة ٦ بلى إنه كما تقينا هذه الشجرة حرارة الشمس المتلظية هكذا تقي رحمة الله المؤمنين بذلك الاسم من الشيطان.

٧ أجاب التلاميذ: **يا معلم مَنْ عسى أن يكون ذلك الرجل الذي تتكلم عنه الذي سيأتي إلى العالم؟»**

٨ أجاب يسوع بابتهاج قلب: «إنه محمد رسول الله ٩ ومتى جاء إلى العالم فسيكون ذريعة للأعمال الصالحة بين البشر بالرحمة الغزيرة التي يأتي بها ١٠ كما يجعل المطر الأرض تعطي ثمراً بعد انقطاع المطر زمناً طويلاً ١١ **فهو غمامة بيضاء ملأى برحمة الله وهي رحمة ينثرها الله رذاذاً على المؤمنين كالغيث».**

الفصل الثالث والتسعون بعد المائة

١ ولبث يسوع يومين في بيت نيقوديموس ٢ ومضى في اليوم الثالث إلى بيت عنيا ٣ ولما قرب من المدينة أرسل أمامه اثنين من تلاميذه ليخبروا مريم بقدومه ٤ فخرجت مسرعة من المدينة ٥ ولما وجدت يسوع قالت باكية: «لقد قلت يا سيد إن أخي لا يموت وقد صار له الآن أربعة أيام وهو دفين ٦ ياليتك جئت قبل أن أدعوك لأنك لو فعلت لما مات» ٧ وأجاب يسوع: «إن أخاك ليس بميت بل هو راقد لذلك جئت لأوقظه» ٨ أجابت مريم باكية: «يا سيد إنه يستيقظ من هذا الرقاد يوم الدينونة متى نفخ ملاك الله ببوقه».

٩ أجاب يسوع: «صدقيني يا مريم إنه سيقوم قبل ذلك لأن الله قد أعطاني قوة على رقاده ١٠ والحق أقول لكِ إنه ليس بميت فإن الميت إنما هو من يموت دون أن يجد رحمة من الله».

١١ فرجعت مريم مسرعة لتخبر أختها «مرتا» بمجيء يسوع.

١٢ وكان قد اجتمع عند موت إلعازر جم غفير من اليهود من أورشليم وكثيرون من الكتبة والفريسيين ١٣ فلما سمعت «مرتا» من أختها مريم عن مجيء يسوع قامت على عجلٍ وأسرعت إلى الخارج ١٤ فتبعها جمهور من اليهود والكتبة والفريسيين ليعزوها لأنهم حسبوا أنها ذاهبة إلى القبر لتبكي أخاها ١٥ فلما بلغت «مرتا» المكان الذي كان قد كلم فيه يسوع مريم قالت باكية: يا سيد ليتك كنت هنا لأنك لو كنت لم يمت أخي»

١٦ ثم وصلت مريم باكية ١٧ فسكب من ثم يسوع العبرات وقال متهنداً: «أين وضعتموه؟» ١٨ أجابوا: «تعال وانظر» ١٩ فقال الفريسيون فيما بينهم: «لماذا سمح هذا الرجل الذي أحيا الأرملة في نايين أن يموت هذا الرجل بعد أن قال أنه لا يموت؟»

٢٠ ولمَّا وصل يسوع القبر حيث كان كلٌّ واحدٍ يبكي قال: «لا تبكو الآن إلعازر راقد وقد أتيت لأوقظه».

٢١ فقال الفريسيون فيما بينهم: «ليتك ترقد أنت هذا الرقاد!»

٢٢ حينئذٍ قال يسوع إن ساعتي لمَّا تأتِ ٢٣ ولكن متى جاءت أرقد كذلك ثم أوقظ سريعاً ٢٤ ثم قال يسوع أيضاً: «إرفعوا الحجر عن القبر».

٢٥ قالت «مرتا»: «يا سيد لقد أنتن لأن له أربعة أيام وهو ميت».

٢٦ قال يسوع: «إذاً لماذا جئت إلى هنا يا «مرتا» ألا تؤمنين بأني

أوقظه؟» ٢٧ قالت «مرتا» أعلم أنك قدوس الله الذي أرسلك إلى هذا العالم».

٢٨ ثم رفع يسوع يديه إلى السماء وقال: «أيها الرب إله إبراهيم وإله إسماعيل وإسحق وإله آبائنا إرحم مصاب هاتين المرأتين واعطِ مجداً لإسمك المقدس» ٢٩ ولما أجاب كل واحدٍ: «آمين» قال يسوع بصوت عال: ٣٠ «إلعازر هلمَّ خارجاً».

٣١ فقام على إثرها ذلك الميت ٣٢ وقال يسوع لتلاميذه: «حُلُّوه» ٣٣ لأنه كان مربوطاً بثياب القبر مع منديلٍ على وجهه كما اعتاد آباؤنا أن يدفنوا (موتاهم).

٣٤ فآمن بيسوع جم غفير من اليهود وبعض الفريسيين لأن الآية كانت عظيمة ٣٥ وانصرف الذين لبثوا بدون إيمان وذهبوا إلى أورشليم وأخبروا رئيس الكهنة بقيامة إلعازر وأن كثيرين صاروا ناصريين.

الفصل الخامس بعد المئتين

١ وبينما كان يسوع على العشاء مع تلاميذه في بيت سمعان الأبرص إذا بمريم أخت إلعازر قد دخلت البيت ٢ ثم كسرت إناء وسكبت الطيب على رأس يسوع وثوبه ٣ فلما رأى هذا يهوذا الخائن أراد أن يمنع مريم عن القيام بعمل كهذا قائلاً: «إذهبي وبيعي الطيب وأحضري النقود لكي أعطيها للفقراء».

٤ قال يسوع: «لماذا تمنعها؟ ٥ دعها فإن الفقراء معكم دائماً أما أنا فلست معكم دائماً» ٦ أجاب يهوذا: «يا معلم كان يمكن أن يباع

هذا الطيب بثلاث مئة قطعة من النقود ٧ فانظر إذاً كم من فقيرٍ يمكن مساعدته به».

٨ أجاب يسوع: «يا يهوذا اني لعارف قلبك فاصبر أعطكِ الكل».

٩ فأكل كل واحدٍ بخوف ١٠ وحزن التلاميذ لأنهم عرفوا أن يسوع سينصرف عنهم قريباً ١١ ولكن يهوذا حنق لأنه علم أنه خاسر ثلاثين قطعة من النقود لأجل الطيب الذي لم يبع ١٢ لأنه كان يختلس العشر من كل ما كان يعطي ليسوع.

١٣ فذهب ليرى رئيس الكهنة الذي كان مجتمعاً في مجلس مشورة من الكهنة والكتبة والفريسيين ١٤ فكلمهم يهوذا قائلاً: «ماذا تعطوني وأنا أسلم إلى أيديكم يسوع الذي يريد أن يجعل نفسه ملكاً على إسرائيل؟» ١٥ أجابوا: «ألا كيف تسلمه إلى يدنا» ١٦ أجاب يهوذا: «متى علمت أنه يذهب إلى خارج المدينة ليصلي أخبركم وأدلكم على الموضع الذي يوجد فيه ١٧ لأنه لا يمكن القبض عليه في المدينة بدون فتنة» ١٨ أجاب رئيس الكهنة: «إذا سلمته ليدنا نعطيك ثلاثين قطعة من الذهب وسترى كيف أعاملك بالحسنى».

الفصل السادس بعد المئتين

١ ـ ولما جاء النهار صعد يسوع إلى الهيكل مع جمّ غفير من الشعب ٢ فاقترب منه رئيس الكهنة قائلاً: «قل لي يا يسوع أنسيت كل ما كنت قد اعترفت به من إنك لست الله ولا ابن الله ولا مِسِّيا؟».

٣ أجاب يسوع: «لا البتة لم أنس ٤ لأن هذا هو الاعتراف الذي

أشهد به أمام كرسيّ دينونة الله في يوم الدينونة ٥ لأن كل ما كتب في كتاب موسى صحيح كل الصحة فإن الله خالقنا أحد وأنا عبد الله وأرغب في خدمة رسول الله الذي تسمونه مِسيًّا».

٦ قال رئيس الكهنة «فما المراد إذاً من المجيء إلى الهيكل بهذا الجم الغفير؟ ٧ لعلك تريد أن تجعل نفسك ملكاً على إسرائيل؟ ٨ إحذر من أن يحل بك خطر» ٩ أجاب يسوع: «لو طلبت مجدي ورغبت في نصيبي في هذا العالم لما هربت لمَّا أراد أهل نايين أن يجعلوني ملكاً ١٠ حقاً صدقني أني لست أطلب شيئاً في هذه العالم».

١١ حينئذٍ قال رئيس الكهنة: «نحب أن نعرف شيئاً عن مِسيًّا» ١٢ حينئذٍ اجتمع الكهنة والكَتَبَة والفريسيون نطاقاً حول يسوع.

١٣ أجاب يسوع: «ما هو ذلك الشيء الذي تريدون أن تعرفوه عن مِسيًّا؟ ١٣ لعله الكذب؟ ١٤ حقاً إني لا أقول لك الكذب ١٥ لأني لو كنت قلت الكذبة لعبدتني أنت والكتبة والفريسيون مع كل إسرائيل ١٦ ولكن تبغضونني وتطلبون أن تقتلوني لأني أقول لكم الحق.

١٧ قال رئيس الكهنة: «نعلم الآن أن وراء ظهرك شيطانا ١٨ لأنك سامريٌّ ولا تحترم كاهن الله».

الفصل السابع بعد المئتين

١ أجاب يسوع: «العمر الله ليس وراء ظهري شيطان ولكن أطلب أن أُخرج الشيطان ٢ فلهذا السبب يثير الشيطان عليَّ العالم ٣ لأني لست من هذا العالم ٤ بل أطلب أن يُمجد الله الذي أرسلني إلى العالم

٥ فأصيخوا السمع لي أخبركم بمن وراء ظهره الشيطان ٦ لعمر الله الذي تقف نفسي في حضرته أن من يعمل بحسب إرادة الشيطان فالشيطان وراء ظهره وقد وضع عليه لجام إرادته ويديره أنى شاء حاملاً إياه على الإسراع إلى كل إثم.

٧ كما أن إسم الثوب يختلف باختلاف صاحبه وهو هو الثوب نفسه. هكذا البشر يختلفون على كونهم من مادة واحدة بسبب أعمال الذي يعمل في الإنسان ٨ إذا كنت قد أخطأت (كما أعلم ذلك) فلماذا لم توبخوني كأخٍ بدلاً من أن تبغضوني كعدو؟ ٩ حقاً إن أعضاء الجسد تتعاون متى كانت متحدة بالرأس وأن ما انفصل منها عن الرأس فلا يغيثه ١٠ لأن يَدَي الجسد لا تشعران بألم رِجْلَي جسدٍ آخر بل برِجْلَي الجسد الذي هي متحدة به ١١ لعمر الله الذي تقف نفسي في حضرته أن من يخاف ويحب الله خالقه يرحم من يرحمه الله الذي هو رأسه ١٢ ولما كان الله لا يريد موت الخاطىء بل يمهل كل أحدٍ للتوبة فلو كنتم من ذلك الجسد الذي أنا متحدٍ فيه لكنتم لعمر الله تساعدونني لأعمل بحسب (مشيئة) رأسي.

الفصل الثامن بعد المئتين

١ «إذا كنت أفعل الإثم ويُخُوني يحببكم الله لأنكم تكونون عاملين بحسب إرادته ٢ ولكن إذا لم يقدر أحد أن يوبخني على خطيئة فذلك دليل على أنكم لستم أبناء إبراهيم كما تدعون أنفسكم ٣ ولا أنتم متحدون بذلك الرأس الذي كان إبراهيم متحداً به ٤ لعمر الله إن إبراهيم

أحب الله بحيث أنه لم يكتف بتحطيم الأصنام الباطلة تحطيماً ولا بهجر أبيه وأمه ولكنه كان يريد أن يذبح ابنه طاعة لله».

٥ ـ أجاب رئيس الكهنة: «إنما أسألك هذا ولا أطلب قتلك فقل لنا: مَنْ كان ابن إبراهيم هذا؟»

أجاب يسوع: «إن غيرة شرفك يا الله تؤججني ولا أقدر أن أسكت
٧ الحق أقول: **إن ابن إبراهيم هو إسماعيل الذي يجب أن يأتي من سلالته مِسيًّا الموعود به إبراهيم أن به تتبارك كل قبائل الأرض.**

٨ فلما سمع هذا رئيس الكهنة حنق وصرخ: «لنرجم هذا الفاجر لأنه إسماعيلي وقد جدف على موسى وعلى شريعة الله».

٩ فأخذ من ثم كل من الكتبة والفريسين مع شيوخ الشعب حجارة ليرجموا يسوع فاختفى عن أعينهم وخرج من الهيكل ١٠ ثم إنهم بسبب شدة رغبتهم في قتل يسوع أعماهم الحنق والبغضاء فضرب بعضهم بعضاً حتى مات ألف رجل ودنسوا الهيكل المقدس ١١ أما التلاميذ والمؤمنون الذين رأوا يسوع خارجاً من الهيكل (لأنه لم يكن محتجباً عنهم) فتبعوه إلى بيت سمعان.

١٢ فجاء من ثم نيقوديموس إلى هناك وأشار على يسوع أن يخرج من أورشليم إلى ما وراء جدول قدرون قائلاً: «يا سيد إن لي بستاناً وبيتاً وراء جدول قدرون ١٣ فأضرع إليك إذاً أن تذهب إلى هناك مع بعض تلاميذك ١٤ وأن تبقى هناك إلى أن يزول حقد الكهنة ١٥ لأني أقدم لك كل ما يلزم ١٦ وأنتم يا جمهور التلاميذ امكثوا هنا في بيت سمعان وفي بيتي لأن الله يعول الجميع».

١٧ ففعل يسوع هكذا ورغب في أن يكون معه الذين دعوا أولاً رسلاً فقط.

الفصل العاشر بعد المئتين

١ ولما هدأ الاضطراب في الهيكل بانصراف يسوع صعد رئيس الكهنة ٢ وبعد أن أومأ بيديه للصمت قال: «ماذا نفعل أيها الأخوة؟ ٣ ترون أنه قد أضل العالم كله بعمله الشيطاني؟ ٤ فإذا لم يكن ساحراً فكيف اختفى الآن ٥ فحقاً أنه لو كان طاهراً ونبياً لما جدف على الله وعلى موسى خادمه وعلى مِسيًّا الذي هو أمل اسرائيل ٦ وماذا أقول؟ ٧ فلقد جدف على طغمة كهنتنا برمتها ٨ فالحق أقول لكم: أنه إذا لم يزل من العالم تدنس إسرائيل ودفعنا الله إلى الأمم ٩ انظروا الآن كيف قد تدنس هذا الهيكل المقدس بسببه».

١٠ وتكلم رئيس الكهنة بطريقة أعرض لأجلها كثيرون عن يسوع ١١ فتحول بذلك الاضطهاد السري إلى اضطهاد علني ١٢ حتى أن رئيس الكهنة ذهب بنفسه إلى هيرودس وإلى الوالي الروماني متَّهماً يسوع بأنه رغب في أن يجعل نفسه ملكاً على إسرائيل ١٣ وكان عندهم على هذا شهود زور. ١٤ فالتأم من ثم مجلس عام ضد يسوع لأن أمر الرومانيين أخافهم ١٥ ذلك أن مجلس الشيوخ الروماني أرسل أمرين بشأن يسوع. ١٦ يتوعد في أحدهما بالموت من يدعو يسوع الناصري نبي اليهود الله ١٧ ويتوعد في الآخر بالموت من يشاغب في شأن يسوع الناصري نبي اليهود ١٨ فلهذا السبب وقع الشقاق فيما بينهم ١٩ فرغب بعضهم في أن يعودوا فيكتبوا إلى رومية يشكون يسوع ٢٠ وقال آخرون

أنه يجب أن يتركوا يسوع وشأنه غاضين النظر عما قال كأنه معتوه ٢١ وأورد آخرون الآيات العظيمة التي فعلها ٢٢ فأمر رئيس الكهنة بأن لا يتفوه أحد بكلمة دفاع عن يسوع وإلا كان تحت طائلة الحَرْم ٢٣ ثم كلَّم هيرودس والوالي قائلاً: «كيفما كانت الحال فإن بين أيدينا معضلة ٢٤ لأننا إذا قتلنا هذا الخاطىء خالفنا أمر قيصر ٢٥ وإن تركناه حياً وجعل نفسه ملكاً فكيف يكون المآل؟» ٢٦ فوقف حينئذٍ هيرودس وهدد الوالي قائلاً: «إحذر من أن يكون عطفك على ذلك الرجل باعثاً على ثورة هذه البلاد. ٢٧ لأني أتهمك بالعصيان أمام قيصر» ٢٨ حينئذٍ خاف الوالي مجلس الشيوخ وصالح هيرودس وكانا قبل هذا قد أبغض أحدهما الآخر إلى الموت.

٢٩ واتحدا معاً على قتل يسوع وقال لرئيس الكهنة: «متى علمت أين الاثيم فأرسل إلينا نعطك جنوداً» ٣٠ وقد عمل هذا لتتم نبوة داود الذي أنبأ بيسوع نبي إسرائيل قائلاً: «اتحد أمراء الأرض وملوكها على قدوس إسرائيل لأنه نادى بخلاص العالم»٣, وعليه فقد حدث تفتيش عام في ذلك اليوم على يسوع في أورشليم كلها.

الفصل الحادي عشر بعد المئتين

١ ولما كان يسوع في بيت نيقوديموس وراء جدول قدرون عزَّى تلاميذه قائلاً: «لقد دنت الساعة التي أنطلق فيها من هذا العالم ٢ تعزوا ولا تحزنوا لأنني حيث أمضي لا أشعر بمحنة.

٣ «أتكونون أخلائي لو حزنتم لحسن حالي؟ لا البتة بل الحري أعداء ٤ إذا سُرَّ العالم فاحزنوا ٥ لأن مسرة العالم تنقلب بكاءً ٦ أما

حزنكم فسيتحول فرحاً ٧ ولن ينزع فرحكم منكم أحد ٨ لأن العالم بأسره لا يقدر أن ينزع الفرح الذي يشعر به القلب بالله خالقه ٩ وانظروا أن لا تنسوا الكلام الذي كلمكم الله به على لساني ١٠ كونوا شهودي على كل من يفسد الشهادة التي قد شهدتها بإنجيلي على العالم وعلى عشاق العالم».

الفصل الثاني عشر بعد المئتين

١ ـ ثم رفع يديه إلى الرب وصلى قائلاً: «أيها الرب إلهنا إله إبراهيم وإله إسماعيل وإسحاق إله آبائنا إرحم من أعطيتني وخلصهم من العالم ٢ لا أقول خذهم من العالم لأنه من الضروري أن يشهدوا على الذين يفسدون إنجيلي ٣ ولكن أضرع إليك أن تحفظهم من الشرير ٤ حتى يحضروا معي يوم الدينونة يشهدوا على العالم وعلى بيت إسرائيل الذي أفسد عهدك ٥ **أيها الرب الإله القدير الغيور** الذي ينتقم في عبادة الأصنام من أبناء الآباء عبدة الأصنام حتى الجيل الرابع: **إلعن إلى الأبد كلّ من يفسد إنجيلي الذي أعطيتني عندما يكتبون أني ابنك** ٦ **لأني أنا الطين والتراب خادم خدمك ولم أحسب نفسي قط خادماً صالحاً لك** ٧ لأني لا أقدر أن أكافئك على ما أعطيتني لأن كل الأشياء لك ٨ أيها الرب الإله الرحيم الذي تظهر رحمة إلى الف جيل للذين يخافونك إرحم الذين يؤمنون بالكلام الذي أعطيتني إياه ٩ لأن كلمتك التي تكلمتها هي حقيقة كما **أنك أنت الإله الحقيقي لأنها كلمتك أنت** ١٠ **فإني كنت أتكلم دائماً كمن يقرأ ولا يقدر أن يقرأ إلا ما هو مكتوب في الكتاب الذي يقرأهُ** ١١ هكذا قلت ما قد أعطيتني إياه.

١٢ «أيها الرب الإله المخلص خلّص من قد أعطيتني لكيلا يقدر الشيطان أن يفعل شيئاً ضدهم ١٣ ولا تخلصهم هم فقط بل كل من يؤمن لهم.

١٤ «أيها الرب الجواد والغني في الرحمة إمنح خادمك أن يكون بين أمة رسولك يوم الدين ١٥ وليس أنا فقط بل كل من قد أعطيتني مع سائر الذين سيؤمنون بي بواسطة بشيرهم ١٦ وافعل هذا يا رب لأجل ذاتك حتى لا يفاخرك الشيطان يا رب.

١٧ «أيها الرب الإله الذي بعنايتك تقدم كل الضروريات لشعبك إسرائيل أذكر قبائل الأرض كلها التي قد وعدت أن تباركها برسولك الذي لأجله خلقت العالم ١٨ إرحم العالم وعجّل بإرسال رسولك لكي لا يسلب الشيطان عدوك مملكته».١٩ وبعد أن فرغ يسوع من هذا قال ثلاث مرار: «ليكن هكذا أيها الرب العظيم الرحيم».

٢٠ فأجابوا كلهم باكين: «ليكن هكذا ليكن هكذا» خلا يهوذا لأنه لم يؤمن بشيء.

الفصل الثالث عشر بعد المئتين
(قصة الصلب)

ولمّا جاء يوم أكل الحمل أرسل نيقوديموس الحمل سراً إلى البستان ليسوع وتلاميذه ٢٥ مخبراً بكل ما أمر به هيرودس والوالي ورئيس الكهنة.

٣ فتهلل من ثم يسوع بالروح قائلاً: «تبارك إسمك القدوس يا رب لأنك لم تفرزني من عدد خدمتك الذين اضطهدهم وقتلهم العالم ٤

أشكرك يا إلهي لأنك قد أتممت عملك ٥ ثم التفت إلى يهوذا وقال له: «يا صديق لماذا تتأخر؟ ٦ إن وقتي قد دنا فاذهب وافعل ما يجب أن تفعله».

٧ فظن التلاميذ أن يسوع أرسل يهوذا يشتري شيئاً ليوم الفصح ٨ ولكن يسوع عرف أن يهوذا كان على وشك تسليمه ٩ ولذلك قال هكذا لأنه كان يحب الإنصراف من العالم.

١٠ أجاب يهوذا: «تمهل عليَّ يا سيد حتى آكل ثم أذهب».

١١ فقال يسوع: «لنأكل لأني اشتهيت جداً أن آكل هذا الحمل قبل أن أنصرف عنكم» ١٢ ثم قام وأخذ منشفة ومنطق حقويه ١٣ ثم وضع ماء في طست وضرع يغسل أرجل تلاميذه ١٤ فابتدأ يسوع بيهوذا وانتهى ببطرس ١٥ فقال بطرس: «يا سيد أتغسل رجليَّ؟».

١٦ أجاب يسوع: «إنَّ ما أفعله لا تفهمه الآن ولكن ستعلمه فيما بعد» ١٧ أجاب بطرس: «لن تغسل رجلي أبداً».

١٨ حينئذٍ نهض يسوع وقال: «وأنت لا تأتي بصحبتي في يوم الدينونة». ١٩ أجاب بطرس: «لا تغسل رجلي فقط بل يدي ورأسي».

٢٠ فبعد غسل التلاميذ وجلوسهم على المائدة ليأكلوا قال يسوع: «لقد غسلتكم ولكن مع ذلك لستم كلكم طاهرين ٢١ لأن ماء البحر لا يطهر من لا يصدقني».

٢٢ قال هذا يسوع لأنه علم من سيسلمه ٢٣ فحزن التلاميذ لهذه الكلمات ٢٤ فقال يسوع أيضاً: «الحق أقول لكم إنَّ واحداً منكم

سيسلمني فأُباع كخروف ٢٥ ولكن ويل له لأنه سيتم كل ما قال داود أبونا عنه إنه «سيسقط في الهوة التي أعدها للآخرين».

٢٦ فنظر من ثم التلاميذ بعضهم إلى بعض قائلين بحزن: «من سيكون الخائن؟» ٢٧ فقال حينئذٍ يهوذا «أأنا هو يا معلم؟»

٢٨ أجاب يسوع: «لقد قلت لي من هو الذي سيسلمني» ٢٩ أما الأحد عشر رسولاً فلم يسمعوه.

٣٠ فلما أكل من الحمل ركب الشيطان ظهر يهوذا فخرج من البيت ويسوع يقول أيضاً: «أسرع بفعل ما أنت فاعل».

الفصل الرابع عشر بعد المئتين

١ وخرج يسوع من البيت ومال إلى البستان ليصلي فجثا على ركبتيه مائة مرة معفراً وجهه كعادته في الصلاة ٢ ولما كان يهوذا يعرف الموضع الذي كان فيه يسوع مع تلاميذه ذهب إلى رئيس الكهنة ٣ وقال: «إذا أعطيتني ما وعدت به أسلم هذه الليلة ليدك يسوع الذي تطلبونه ٤ لأنه منفرد مع أحد عشر رفيقاً».

٥ أجاب رئيس الكهنة: «كم تطلب؟» ٦ قال يهوذا: «ثلاثين قطعة من الذهب».

٧ فحينئذٍ عَدَّ له رئيس الكهنة النقود فوراً ٨ وأرسل فريسياً إلى الوالي وهيرودس ليحضر جنوداً ٩ فأعطياه كتيبة منها لأنهما خافا الشعب ١٠ فأخذوا من ثم أسلحتهم وخرجوا من أورشليم بالمشاعل والمصابيح على العصي.

الفصل الخامس عشر بعد المئتين

١ ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع سمع يسوع دنو جَمٍّ غفير ٢ فلذلك انسحب إلى البيت خائفاً ٣ وكان الأحد عشر نياماً ٤ فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل، وميخائيل، ورفائيل، وأوريل سفراه أن يأخذوا يسوع من العالم.

٥ فجاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب ٨ فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة في صحبة الملائكة التي تسبح الله إلى الأبد.

الفصل السادس عشر بعد المئتين

١ ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي أصعد منها يسوع ٢ وكان التلاميذ كلهم نياماً ٣ فأتى الله العجيب بأمر عجيب ٤ فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه فصار شبهاً بيسوع حتى أننا اعتقدنا أنه يسوع ٥ أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم ٦ لذلك تعجبنا وأجبنا «أنت يا سيد هو معلمنا ٧ أنسيتنا الآن؟».

أما هو فقال متبسماً: «هل أنتم أغبياء حتى لا تعرفون يهوذا الإسخريوطي» ٩ وبينما كان يقول هذا دخلت الجنود وألقوا أيديهم على يهوذا لأنه كان شبيهاً بيسوع من كل وجه. ١٠ أما نحن فلما سمعنا قول يهوذا ورأينا جمهور الجنود هربنا كالمجانين. ١١ ويوحنا الذي كان ملتفاً بملحفة من الكتان استيقظ وهرب ١٢ ولما أمسكه جندي بملحفة الكتان ترك ملحفة الكتان وهرب عرياناً ١٣ لأن الله سمع دعاء يسوع وخلَّص الأحد عشر من الشر.

الفصل السابع عشر بعد المئتين

١ فأخذ الجنود يهوذا وأوثقوه ساخرين منه ٢ لأنه أنكر وهو صادق
أنه هو يسوع ٣ فقال الجنود مستهزئين به: «يا سيدي لا تخف لأننا قد
أتينا لنجعلك ملكاً على إسرائيل ٤ وإنما أوثقناك لأننا نعلم أنك ترفض
المملكة» ٥ أجاب يهوذا: «العلكم جننتم ٦ إنكم أتيتم بسلاح ومصابيح
لتأخذوا يسوع الناصري كأنه لص أفتوثقونني أنا الذي أرشدتكم
لتجعلوني ملكاً!». ٧ حينئذٍ خان الجنود صبرهم وشرعوا يمتهنون يهوذا
بضرباتٍ ورفساتٍ وقادوه بحنق إلى أورشليم.

٨ وتبع يوحنا وبطرس الجنود عن بعد ٩ وأكدا للذي يكتب أنهما
شاهدا كل التحري الذي تحرياه بشأن يهوذا ورئيس الكهنة ومجلس
الفريسيين الذين اجتمعوا ليقتلوا يسوع ٩ فتكلم من ثمَّ يهوذا كلمات
جنون كثيرة ١٠ حتى أن كل واحدٍ أغرب في الضحك معتقداً أنه
بالحقيقة يسوع وأنه يتظاهر بالجنون خوفاً من الموت ١١ لذلك عصب
الكتبة عينيه بعصابة ١٢ وقالوا له مستهزئين: «يا يسوع نبي الناصريين
(فإنهم هكذا كانوا يدعون المؤمنين بيسوع) قل لنا من ضربك؟» ١٣
ولطموه وبصقوا في وجهه.

١٤ ولما أصبح الصباح التأم المجلس الكبير للكتبة وشيوخ الشعب
١٥ وطلب رئيس الكهنة مع الفريسيين شاهد زور على يهوذا معتقدين
أنه يسوع فلم يجدوا مطلبهم ١٦ ولماذا أقول أن رؤساء الكهنة اعتقدوا
أن يهوذا يسوع؟ ١٧ بل إن التلاميذ كلهم مع الذي يكتب اعتقدوا ذلك
١٨ بل أكثر من ذلك أن أم يسوع العذراء المسكينة مع أقاربه وأصدقائه

اعتقدوا ذلك ١٩ حتى أن حزن كل واحدٍ كان يفوق التصديق ٢٠ لعمر الله إن الذي يكتب نسي كل ما قاله يسوع: من أنه يُرفع من العالم وأن شخصاً آخر سيعذب بإسمه، وأنه لا يموت إلا وشك نهاية العالم ٢١ لذلك ذهب (الذي يكتب) مع أم يسوع ومع يوحنا إلى الصليب.

٢٢ فأمر رئيس الكهنة أن يؤتى بيسوع موثقاً أمامه ٢٣ وسأله عن تلاميذه وعن تعليمه ٢٤ فلم يجب يهوذا بشيء في الموضوع كأنه جن ٢٥ حينئذٍ استحلفه رئيس الكهنة بإله إسرائيل الحي أن يقول له الحق.

٢٦ أجاب يهوذا: «لقد قلت لكم إني يهوذا الإسخريوطى الذي وعد أن يسلم إلى أيديكم يسوع الناصري ٢٧ أما أنتم فلا أدري بأي حيلة قد جننتم ٢٨ لأنكم تريدون بكلِ وسيلة أن أكون أنا يسوع».

٢٩ أجاب رئيس الكهنة: «أيها الضال المضل لقد ضللت كل إسرائيل بتعليمك وآياتك الكاذبة مبتدئاً من الجليل حتى أورشليم هنا ٣٠ أفيخيل لك الآن أن تنجو من العقاب الذي تستحقه والذي أنت أهل له بالتظاهر بالجنون؟ ٣١ لعمر الله إنك لا تنجو منه» ٣٢ وبعد أن قال هذا، أمر خدمه أن يوسعوه لطماً ورفساً لكي يعود عقله إلى رأسه ٣٣ ولقد أصابه من الإستهزاء على يد خدم رئيس الكهنة ما يفوق التصديق ٣٤ لأنهم اخترعوا أساليب جديدة بغيرة ليفكهوا المجلس ٣٥ فألبسوه لباس مشعوذٍ وأوسعوه ضرباً بأيديهم وأرجلهم حتى أن الكنعانيين أنفسهم لو رأوا ذلك المنظر لتحننوا عليه ٣٦ ولكن قست قلوب رؤساء الكهنة والفريسيين وشيوخ الشعب على يسوع إلى حدٍ

سرُّوا معه أن يروه معاملاً هذه المعاملة معتقدين أن يهوذا هو بالحقيقة يسوع.

٣٧ قادوه بعد ذلك موثقاً إلى الوالي الذي كان يحب يسوع سراً ٣٨ ولما كان يظن أن يهوذا هو يسوع أدخله غرفته وكلمه سائلاً إياه لأي سببٍ قد سلمه رؤساء الكهنة والشعب إلى يديه.

٣٩ أجاب يهوذا: «لو قلت لك الحق لما صدقتني لأنك قد تكون مخدوعاً كما خدع الكهنة والفريسيون».

٤٠ أجاب الوالي (ظاناً أنه أراد أن يتكلم عن الشريعة): «ألا تعلم أني لست يهودياً؟ ٤١ ولكن الكهنة وشيوخ الشعب قد سلموك ليدي ٤٢ فقل لنا الحق لكي أفعل ما هو عدل ٤٣ لأن لي سلطاناً أن أطلقك وأن آمر بقتلك.

٤٤ ـ أجاب يهوذا: «صدقني يا سيد إنك إذا أمرت بقتلي ترتكب ظلماً كبيراً لأنك تقتل بريئاً ٤٥ لأني أنا يهوذا الاسخريوطي لا يسوع الذي هو ساحر فحولني هكذا بسحره».

٤٦ فلما سمع الوالي هذا تعجب كثيراً حتى أنه طلب أن يطلق سراحه ٤٧ لذلك خرج الوالي وقال متبسماً: «من جهة واحدة على الأقل لا يستحق هذا الإنسان الموت بل الشفقة» ٤٨ ثم قال الوالي: «إن هذا الإنسان يقول: إنه ليس يسوع بل يهوذا الذي قاد الجنود ليأخذوا يسوع ٤٩ ويقول: إن يسوع الجليلي قد حوله هكذا بسحره ٥٠ فإذا كان هذا صدقاً يكون قتله ظلماً كبيراً لأنه يكون بريئاً ٥١ ولكن إذا

كان هو يسوع وينكر أنه هو فمن المؤكد أنه قد فقد عقله ويكون من الظلم قتل مجنون».

٥٢ حينئذٍ صرخ رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب مع الكتبة والفريسين بصخبٍ قائلين: «إنه يسوع الناصري فإننا نعرفه ٥٣ لأنه لو لم يكن هو المجرم لما أسلمناه ليديك ٥٤ وليس هو بمجنون بل بالجزم خبيث لأنه بحيلته هذه يطلب أن ينجو من أيدينا ٥٥ وإذا نجا تكون الفتنة التي يثيرها شراً من الأولى».

٥٦ أمّا بيلاطس (وهو إسم الوالي) فلكي يتخلص من هذه الدعوى قال: «إنه جليلي وهيرودس هو ملك الجليل ٥٧ فليس من حقي الحكم في هذه الدعوى ٥٨ فخذوه إلى هيرودس».

٥٩ فقادوا يهوذا إلى هيرودس الذي طالما تمنى أن يذهب يسوع إلى بيته ٦٠ ولكن يسوع لم يرد قط أن يذهب إلى بيته ٦١ لأن هيرودس كان من الأمم وعبد الآلهة الباطلة الكاذبة عائشاً بحسب عوائد الأمم النجسة ٦٢ فلما قِيد يهوذا إلى هناك سأله هيرودس عن أشياء كثيرة لم يحسن يهوذا الإجابة عنها منكراً أنه هو يسوع.

٦٣ حينئذٍ سخر به هيرودس مع بلاطه كله، وأمر أن يُلبس ثوباً أبيض كما يلبس الحمقى ٦٤ ورده إلى بيلاطس قائلاً له: «لا تقصر في إعطاء العدل بيت إسرائيل».

٦٥ وكتب هيرودس هذا لأن رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيين أعطوه مبلغاً كبيراً من النقود ٦٦ فلما علم الوالي من أحد خدم هيرودس أن الأمر هكذا تظاهر بأنه يريد أن يطلق سراح يهوذا طمعاً في

نيل شيء من النقود ٦٧ فأمر عبيده الذين دفع لهم الكتبة (نقوداً) ليقتلوه أن يجلدوه ولكن الله الذي قدَّر العواقب أبقى يهوذا للصليب ليكابد ذلك الموت الهائل الذي كان أُسلم إليه آخر ٦٨ فلم يسمح بموت يهوذا تحت الجلد مع أن الجنود جلدوه بشدة سال معها جسمه دماً ٦٩ ولذلك ألبسوه ثوباً قديماً من الأرجوان تهكماً قائلين: «يليق بملكنا الجديد أن يلبس حلة ويُتوج.

٧٠ فجمعوا شوكاً وصنعوا إكليلاً شبيهاً بأكاليل الذهب والحجارة الكريمة التي يضعها الملوك على رؤوسهم ٧١ ووضعوا إكليل الشوك على رأس يهوذا ٧٢ ووضعوا في يده قصبة كصولجان وأجلسوه في مكانٍ عال ٧٣ ومر من أمامه الجنود حانين رؤوسهم تهكماً مؤدين له السلام كأن ملك اليهود ٧٤ وبسطوا أيديهم لينالوا الهبات التي اعتاد اعطاءها الملوك الجدد ٧٥ فلما لم ينالوا شيئاً ضربوا يهوذا قائلين: كيف تكون إذاً متوجاً أيها الملك إذا كنت لا تهب الجنود والخدم؟»

٧٦ فلما رأى رؤساء الكهنة مع الكتبة والفريسيين أن يهوذا لم يمت من الجلد ولما كانوا يخافون أن يطلق بيلاطس سراحه أعطوا هبة من النقود للوالي فتناولها وأسلم يهوذا للكتبة والفريسيين كأنه مجرم يستحق الموت ٧٧ وحكموا بالصلب على لصين معه.

٧٨ فقادوه إلى جبل الجمجمة حيث اعتادوا شنق المجرمين وهناك صلبوه عرياناً مبالغة في تحقيره. ٧٩ ولم يفعل يهوذا شيئاً سوى الصراخ: «يا الله لماذا تركتني فإن المجرم قد نجا أما أنا فأموت ظلماً».

٨٠ الحق أقول: إن صوت يهوذا ووجهه وشخصه بلغ من الشبه بيسوع أن اعتقد تلاميذه والمؤمنون به كافة أنه هو يسوع ٨١ لذلك خرج بعضهم من تعليم يسوع معتقدين أن يسوع كان نبياً كاذباً وأنه إنما فعل الآيات التي فعلها بصناعة السحر ٨٢ لأن يسوع قال: إنه لا يموت إلى وشك انقضاء العالم ٨٣ لأنه سيؤخذ في ذلك الوقت من العالم.

٨٤ فالذين ثبتوا راسخين في تعليم يسوع حاق بهم الحزن إذ رأوا من يموت شبيهاً بيسوع كل الشبه حتى أنهم لم يذكروا ما قاله يسوع ٨٥ وهكذا ذهبوا في صحبة أم يسوع إلى جبل الجمجمة ٨٦ ولم يقتصروا على حضور موت يهوذا باكين على الدوام بل حصلوا بواسطة نيقوديموس، ويوسف الأباريمانيائي من الوالي على جسد يهوذا ليدفنوه ٨٧ فأنزلوه من ثم عن الصليب ببكاءٍ لا يصدقه أحد ٨٨ ودفنوه في القبر الجديد ليوسف بعد أن ضمخوه بمائة رطلٍ من الطيوب.

الفصل الثامن عشر بعد المائتين

١ ورجع كل إلى بيته ٢ ومضى الذي يكتب ويوحنا ويعقوب أخوه مع أم يسوع إلى الناصرة.

٣ أما التلاميذ الذين لم يخافوا الله فذهبوا ليلاً وسرقوا جسد يهوذا وخبأوه وأشاعوا أن يسوع قام ٤ فحدث بسبب هذا اضطراب ٥ فأمر رئيس الكهنة أن لا يتكلم أحد عن يسوع الناصري وإلا كان تحت عقوبة الرجم ٦ فحصل اضطهاد عظيم فرجم وضُرب ونُفي من البلاد كثيرون لأنهم لم يلازموا الصمت في هذا الأمر.

٧ وبلغ الخبر الناصرة كيف أن يسوع أحد أهالي مدينتهم قام بعد

أن مات على الصليب ٨ فضرع الذي يكتب إلى أم يسوع أن ترضى فتكف عن البكاء لأن ابنها قام فلما سمعت العذراء مريم هذا قالت باكية: لنذهب إلى أورشليم لننشد ابني ٩ فإني إذا رأيته مت قريرة العين.

الفصل التاسع عشر بعد المئتين

١ فعادت العذراء إلى أورشليم مع الذي يكتب ويعقوب ويوحنا في اليوم الذي صدر فيه أمر رئيس الكهنة.

٢ ثم إن العذراء التي كانت تخاف الله أوصت الساكنين معها أن ينسوا ابنها مع أنها عرفت أن أمر رئيس الكهنة ظلم ٣ وما كان أشد انفعال كل واحد! ٤ والله الذي يبلو قلوب البشر يعلم أننا فنينا بين الأسى على موت يهوذا الذي كنا نحسبه يسوع معلمنا وبين الشوق إلى رؤيته قائماً.

٥ وصعد الملائكة الذين كانوا حراساً على مريم إلى السماء الثالثة حيث كان يسوع في صحبة الملائكة وقصُّوا عليه كل شيء.

٦ لذلك ضرع يسوع إلى الله أن يأذن له بأن يرى أمه وتلاميذه ٧ فأمر حينئذٍ الرحمن ملائكته الأربعة المقربين الذين هم جبريل وميخائيل ورافائيل وأوريل أن يحملوا يسوع إلى بيت أمه ٨ وأن يحرسوه هناك مدة ثلاثة أيام متوالية ٩ وأن لا يسمحوا لأحدٍ أن يراه خلا الذين آمنوا بتعليمه.

١٠ فجاء يسوع محفوفاً بالسناء إلى الغرفة التي أقامت فيها مريم

العذراء مع أختيها ومرثا، ومريم المجدلية، وإلعازر والذي يكتب، ويوحنا، ويعقوب وبطرس ١١ فخروا من الهلع كأنهم أموات ١٢ فأنهض يسوع أمه والآخرين عن الأرض قائلاً: «لا تخافوا لأني أنا يسوع ١٣ ولا تبكوا فإني حيٌّ لا ميت ١٤.

الفصل العشرون بعد المئتين

١ أجاب يسوع معانقاً أمه: «صدقيني يا أماه لأني أقول لك بالحق أني لم أمت قط ٢ لأن الله قد حفظني إلى قرب انقضاء العالم ٣ ولما قال هذا رغب إلى الملائكة الأربعة أن يظهروا ويشهدوا كيف كان الأمر.

٤ فظهر من ثم الملائكة كأربع شموس متألقة حتى أن كل واحدٍ خرّ من الهلع ثانية كأنه ميت ٥ فأعطى حينئذٍ يسوع الملائكة أربع ملاءٍ من كتانٍ ليستروا بها أنفسهم لتتمكن أمه ورفاقها من رؤيتهم وسماعهم يتكلمون ٦ وبعد أن أنهض كل واحدٍ منهم عزَّاهم قائلاً: «إنَّ هؤلاء هم سفراء الله: ٧ جبريل الذي يعلن أسرار الله ٨ وميخائيل الذي يحارب أعداء الله ٩ ورافائيل الذي يقبض أرواح الميتين ١٠ وأوريل الذي ينادي إلى دينونة الله في اليوم الآخر».

١١ ثم قص الملائكة الأربعة على العذراء كيف أن الله أرسل إلى يسوع وغيَّر (صورة) يهوذا ليكابد العذاب الذي باع له آخر.

١٢ حينئذٍ قال الذي يكتب «يا معلم أيجوز لي أن أسألك الآن كما كان يجوز عندما كنت مقيماً معنا؟»

١٣ أجاب يسوع: «سل ما شئت يا برنابا أُجبك».

١٤ فقال حينئذٍ الذي يكتب: «يا معلم إذا كان الله رحيماً فلماذا عذبنا بهذا المقدار بما جعلنا نعتقد أنك كنت ميتاً؟ ١٥ ولقد بكتك أمك حتى أشرفت على الموت ١٦ وسمح الله أن يقع عليك عار القتل بين اللصوص على جبل الجمجمة وأنت قدوس الله».

١٧ أجاب يسوع: «صدقني يا برنابا إن الله يعاقب على كل خطيئة مهما كانت طفيفة عقاباً عظيماً لأن الله يغضب من الخطيئة ١٨ فلذلك لما كانت أمي وتلاميذي الأمناء الذين كانوا معي أحبوني حباً عالمياً أراد الله البر أن يعاقب على هذا الحب بالحزن الحاضر حتى لا يعاقب عليه بلهب الجحيم ١٩ **فلما كان الناس قد دعوني الله وابن الله على أني كنت بريئاً في العالم أراد الله أن يهزأ الناس بي في هذا العالم بموت يهوذا معتقدين أنني أنا الذي مت على الصليب لكيلا تهزأ الشياطين بي في يوم الدينونة ٢٠ وسيبقى هذا إلى أن يأتي محمد رسول الله الذي متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله.**

٢١ وبعد أن تكلم يسوع بهذا قال: «إنك لعادل أيها الرب إلهنا لأن لك وحدك الإكرام والمجد بدون نهاية».

الفصل الحادي والعشرون بعد المئتين

١ والتفت يسوع إلى الذي يكتب وقال: «يا برنابا عليك أن تكتب إنجيلي حتماً وما حدث في شأني مدة وجودي في العالم ٢ واكتب أيضاً ما حل بيهوذا ليزول انخداع المؤمنين ويصدق كل واحدٍ الحق».

٣ حينئذٍ أجاب الذي يكتب: إني لفاعل ذلك إن شاء الله يا معلم ٤
ولكن لا أعلم ما حدث ليهوذا لأني لم أرَ كل شيء».

٥ أجاب يسوع: «ههنا يوحنا وبطرس اللذان قد عاينا كلَّ شيء
فهما يخبرانك بكل ما حدث».

٦ ثم أوصانا يسوع أن ندعو تلاميذه المخلصين ليروه فجمع حينئذٍ
يعقوب ويوحنا التلاميذ السبعة مع نيقوديموس ويوسف، وكثيرين
آخرين من الإثنين والسبعين وأكلوا مع يسوع.

٨ وفي اليوم الثالث قال يسوع: «إذهبوا مع أمي إلى جبل الزيتون
٩ لأنني أصعد من هناك أيضاً إلى السماء ١٠ وسترون من يحملني».

١١ فذهب الجميع خلا خمسة وعشرين من التلاميذ الإثنين
والسبعين الذين كانوا قد هربوا إلى دمشق من الخوف ١٢ وبينما كان
الجميع وقوفاً للصلاة جاء يسوع وقت الظهيرة مع جمٍ غفيرٍ من
الملائكة الذين كانوا يسبحون الله ١٣ فطاروا فرقاً من سناء وجهه
فخروا على وجوههم إلى الأرض ١٤ ولكن يسوع أنهضهم وعزَّاهم
قائلاً: «لا تخافوا أنا معلمكم».

١٥ ووبخ كثيرين من الذين اعتقدوا أنه مات وقام قائلاً:
«أتحسبونني أنا والله كاذِبَين؟ ١٦ لأن الله وهبني أن أعيش حتى قبيل
انقضاء العالم كما قد قلت لكم ١٧ الحق أقول لكم إني لم أمت بل
يهوذا الخائن ١٨ أحذروا لأن الشيطان سيحاول جهده أن يخدعكم ١٩
ولكن كونوا شهودي في كل اسرائيل وفي العالم كله لكل الأشياء التي
رأيتموها وسمعتموها».

٢٠ وبعد أن قال هذا صلى لله لأجل خلاص المؤمنين وتجديف الخطأة ٢١ فلما انتهت الصلاة عانق أمه قائلاً: «سلام لكِ يا أمي ٢٢ توكلي على الله الذي خلقك وخلقني» ٢٣ وبعد أن قال هذا التفت إلى تلاميذه قائلاً: «لتكن نعمة الله ورحمته معكم».

٢٤ ثم حملته الملائكة الأربعة أمام أعينهم إلى السماء.

الفصل الثاني والعشرون بعد المئتين

١ وبعد أن انطلق يسوع تفرقت التلاميذ في أنحاء إسرائيل والعالم المختلفة ٢ أما الحق المكروه من الشيطان فقد اضطهده الباطل كما هي الحال دائماً ٣ فإن فريقاً من الأشرار المدعين أنهم تلاميذ بشروا بأن يسوع مات ولم يقم، وآخرون بشروا بأنه مات بالحقيقة ثم قام، وآخرون بشروا ولا يزالون يبشرون بأن يسوع هو ابن الله وقد خدع في عدادهم بولس ٦ أما نحن فإنما نبشر بما كتبت للذين يخافون الله ليخلصوا في اليوم الأخير لدينونة الله. آمين.

نقول: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ۝٥٤﴾[1].

تآمروا وكذبوا، ومكر الله بدحض تآمرهم، وإظهار الحقيقة على لسان النبي محمد ﷺ فصدع بما أُمر، وأظهر الحق كبَهَقِ النهار وضوئه.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٤.

الفصل الرابع

في أحوال النبي ﷺ

كانت الجاهلية تغمر جزيرة العرب بعاداتها وتقاليدها وإن امتازت ببعضها حُسناً كالكرم والشجاعة، والنُّبل، وحِلف الفضول الذي اجتمعت عليه بعض القبائل لنصرة المظلوم، وكان وراءه بنو هاشم.

وبفضل الإسلام تغيَّرت كثير من العادات السيئة، وحلَّ محلها مكارم الأخلاق لنبي الإسلام القدوة محمدﷺ ودستور وتعاليم القرآن الكريم.

كانت ولادة النبي الأكرمﷺ في عام الفيل (٥٧٠م). بُعث في سن الأربعين، وكانت حرب داحس والغبراء[١]، وحرب الفجار[٢] منتشرة بين القبائل، كان من الصعب لها جداً لها أن تنتهي وتهدأ، عدا عن وأد البنات وهنَّ أحياء عند ولادتهن، خوف العار إن خطفن عند غزو القبائل لبعضها البعض. كل هذا وغيره انتهى بظهور وبعث النبي محمدﷺ نبي الرحمة والعدالة إلى كل العالمين.

(١) إسمان لفرسين سُرقتا كانت بسببهما حرب طويلة بين عرب الجاهلية.
(٢) كانت بين الأوس والخزرج بسبب قتل غِلمانٍ تابعين للخزرج.

كم من المسلمين يبلغ عددهم اليوم في سائر أقطار الأرض بفضل هذا النبي الكريم، وبفضل الهداية واللطف المنوطَين برب العالمين.

* تزوج النبي محمدﷺ أول ما تزوج بخديجةؓ ولم يتزوج على خديجة حال حياتها أحداً من النساء، وكان موتها قبل الهجرة بثلاث سنين.

* أولادهﷺ: القاسم والطاهر أو الطيب وعبد الله، وإبراهيم الذي كان من ماريا القبطية. وجميعهم ماتوا حال حياتهﷺ. أمَّا من الإناث فكانت: زينب، ورقيَّة، وأُم كلثوم، وفاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، الحوراء الإنسية المطهرة، وجميعهن عِشْنَ، وبلغن، وتزوجْن.

* تزوجﷺ بعائشة إبنة ست ودخل بها إبنة تسع في رواياتٍ هي الأشهر، وفي روايات أنها كانت إبنة ١٢ سنة.

وتعليقاً على مَن يعلق على مثل هذا الزواج، نقول: إنَّ أبا بكر (رض) هو الذي عرض تزويج ابنته على النبيﷺ وبموافقته ورضاه، ومحبة منه في ذلك، ولم يعترض على هذا أحد من المسلمين وغير المسلمين لأن التزويج بالصغيرة لم يكن عند العرب بالتزويج الغريب ولا الممقوت. هذا أولاً.

وثانيا: إنَّ التزويج والدخول بذلك السن لا يشكل أذية للبنت كما هو معلوم إلا مع التعنيف والوحشية، وهذا (الإذية) يحصل حتى للبنت الكبيرة إذا وقع التعنيف والقسوة دخولاً.

وثالثاً: إنَّ ما يحصل اليوم في عصورنا «المتحضرة» من ممارسات

جنسية مع بناتٍ دون التسع أو فوقها بقليل، ومن خلال أفلامٍ تدربن عليها من أمهاتٍ ونساءٍ نحساتٍ فاسقات لمما تشيب له الرؤوس، وتخجل منه النفوس، وتُقلع منه العيون.

وليفكر كل أبٍ بستر وتزويج ابنته في سن مبكر على الأقل إذا خشي عليها من هذا الفساد الذي يحصد البشر، ولم يستطع صونها من وحوش وفسقة المجتمع.

ماذا يعرف هؤلاء المعترضين على سُنَّة شريفة اختيارية، عن عبدة شياطين في أوروبا «أم الحضارة» يقدِّمون بناتٍ صغاراً قرابين للشيطان يُغتصبن من قِبل الآباء والأقارب وغيرهم في المعابد الشيطانية؟!

* دخل أبو سفيان على ابنته أم حبيبة ـ وكانت زوجة لرسول الله ﷺ آمنت به ﷺ وصدَّقت برسالته وتزوجته ـ فلمَّا أراد الجلوس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه، فقال: يا بنية ما أدري! أرغبتِ بي عن هذا الفراش أم رغبتِ به عني؟

قالت: بل هو فراش رسول الله وأنت رجل مشرك، نجس، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ.

قال: والله! لقد أصابكِ يا بُنية بعدي شر.

* وقعت الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة نتيجة الإضطهاد والعذاب للمسلمين في شهر ربيع الأول. واتخذ المسلمون شهر محرَّم أول السنة الهجرية لأن الشهر المحرَّم كان بدءَ السنة عند العرب في الجاهلية، ولأنه أول شهرٍ يأتي بعد منصرف الناس من حجهم، وختام مواسم أسواقهم.

أقام ﷺ في مكة ١٣ سنة، وفي المدينة ١٠ سنوات.

* «بدر» إسم بئر. وسميت المنطقة التي وقعت فيها المعركة بإسم البئر الذي حفره رجل من قبيلة غفار إسمه بدر.

وقعت المعركة بعد الهجرة من مكة إلى المدينة بين قوى المشركين الذين كان يبلغ عددهم حوالي الألف رجل مجهزين بكامل العتاد والسلاح، وبين المسلمين الذين كان يبلغ عددهم حوالي ٣١٣ رجلاً لا يملكون سوى بعض البعير يتناقلونها فيما بينهم، وفرساً واحداً، والباقون مشاة.

التقى الجمعان عند بئر بدر، وكان النصر في هذه المعركة للمسلمين بنصر الله تعالى لهم لأن الملائكة دعمتهم حيث كانوا ـ فيما يروى ـ يرون رجالاً على أحصنة معممين بعمائم بيضاء لا يعرفونهم، يقاتلون معهم.

وقد تحدثت الآيات الكريمة مفصَّلاً عن هذه المعركة لأهميتها وكونها شكّلت منعطفاً تاريخياً نحو سلوك طريق الدعوة والجهاد، وعدم الخوف من أية قوة مهما بلغت.

* خسر المسلمون في معركة أُحُد لاغترارهم بكثرتهم، وطمعهم بالغنائم فخسروا، وربحوا في «حُنين» بعد أن كادوا يخسرون. وفي معركة الأحزاب أو الخندق كانت النهاية الحسم للمشركين والإنسحاب والقهر لليهود.

* كانت الولاية على الكعبة لإسماعيل ثم لوُلْدِه من بعده حتى تغلَّب عليهم «جُرهم» فأمسكوا بولايتها ثم ملكتها العماليق، وهم طائفة من بني كركر بعد حروبٍ وقعت بينهم، ثم كانت الدائرة لجُرهم على العماليق فتولوها نحواً من ٣٠٠ سنة. ولمَّا نشأ وُلد إسماعيل وكثروا وصاروا ذوي قوة ومِنعة حاربوا «جرهم» وغلبوهم وأخرجوهم من

مكة، وكان يومئذٍ «عمرو بن لُحي» من أول الإسماعيليين وكبير خزاعة، الذين تولوا أمر الكعبة. وهو الذي وضع فيها أول صنم وهو «هُبَل» حمله معه من الشام ثم أتبعه بغيره حتى كثرت الأصنام وشاعت بين العرب، وهُجرت الحنيفية الإبراهيمية التي كان منها الخِتان والطهارة.

ثم انتقلت الولاية بعدها إلى قريش، وكان الأمر على ذلك حتى فتح النبي ﷺ مكة وطهَّرها من الأصنام.

* قيل: إن العمالقة لما اتخذوا من مكة سكناً لهم أول أمرهم أطلقوا عليها إسم «بكَّة» وهي كلمة بابلية معناها البيت.

*** الإكراه في الدين:**

جاء الإسلام لتحرير الإنسان من عبودية الأصنام على أساس التوحيد، ولا يعتبرعقيدة التوحيد مسألة سلوك شخصي كما ترى الحضارات الغربية، بل هي القاعدة الأساسية لكيانه الحضاري كله، فكما لا يمكن للحضارات الغربية أو للديمقراطية الغربية ـ مهما آمنت بالحرية الشخصية ـ أن تسمح للأفراد بمناوأة فكرة الحرية نفسها، وتبنّي أفكار عنصرية أو دكتاتورية، كذلك لا يمكن للإسلام أن يقرّ أي تمرد على قاعدته الرئيسة. وإنما يهدف ـ حين ينفي الإكراه في الدين ـ إلى أن الرشد قد تبين من الغي، والحق من الباطل. فلا حاجة إلى إكراه، ما دام المنار واضحاً، والفرق بين الظلام والنور لائحاً.

* **عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس**: أُسر يوم بدر، وقُتل وصُلب سنة ٢هـ، وهو أول مصلوب في الإسلام.

* **النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف**: من بني عبد الدار،

صاحب لواء المشركين يوم بدر، آذى رسول الله ﷺ أسره المسلمون، وقتلوه بالأثيل قرب المدينة بعد انصرافهم من وقعة بدر سنة (٢هـ).

* **عمرو بن عبد الله بن عثمان الجمحي**: شاعر جاهلي من مكة، أُسر يوم بدر ثم أُطلق سراحه، ثم نظم شعراً يحرِّض به على قتال المسلمين، فلما كانت وقعة أُحُد، قتله عاصم بن ثابت سنة (٣هـ).

* **ممرضات مسلمات:**

في معتبر سماعة عن أحدهما، قال: «إن رسول الله ﷺ خرج بالنساء في الحرب يداوين الجرحى ولم يُقسِم ﷺ لهن من الفيء شيئاً، ولكنه نفلهن». أي: أعطاهن هبة، وأجرهن عند الله سبحانه أكبر.

* **في أُحُد:**

قاتل «قزمان» مع المسلمين في أُحُد قتالاً شديداً، وقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين، وجُرح واحتُمل إلى دار بني ظفر، وقال له رجل من المسلمين: والله لقد أبليت اليوم يا قزمان فأبشر.

قال: بماذا أبشر؟ فوالله إن قاتلت إلا عن أحساب قومي... فلمّا اشتدت عليه جراحته أخذ سهماً من كنانته وقتل به نفسه[1].

* **عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري:**

أُصيب يوم أُحُد فمنعت الزنابير الكفار منه لمّا قتله المشركون، وأرادوا التمثيل به، فارتدعوا عنه وأخذه المسلمون ودفنوه. والقصة ـ كما يذكر ـ في سرية الرجيع الآتية.

---

(١) سيرة إبن هشام ـ ج٢، ص٨٢.

*** سرية الرجيع:**

بعث كفار قريش إلى النبي ﷺ وهو بالمدينة، طلباً بإرسال نفرٍ لتعليمهم أحكام الإسلام. فبعث ﷺ إليهم: خُبيب بن عُدي، ومرثداً الغنوي، وخالد بن بكير، وعبد الله بن طارق، وزيد بن الدَّثِنة، وعاصم بن ثابت، فساروا ونزلوا عند الرجيع ـ ماء لهُذيل قرب الهداة بين عسفان ومكة ـ ومعهم تمر فأكلوا منه، فمرت عجوز فرأت النوى، فعلمت بوجود قوم قد وُجدوا في هذه الطريق، فأخبرت قومها بسلوك أهل يثرب هذه الطريق التي هم فيها، فركب سبعون رجلاً منهم حتى أحاطوا بهم. فحاربوهم، وقُتل: مرثد، وخالد، وابن طارق، وعاصم، وأرادوا حزَّ رأس عاصم ليبيعوه من سُلافة بنت سعد، وكان قتل بعض أهلها، ونذرت لئن قدرت على رأسه لتشربن في قحفة الخمر، فأرسل الله تعالى رَجْلاً (كثيراً) من الزنابير (الدُّبر) فحمته، فلم يقدروا عليه، وفي اليوم التالي جاءت سحابة فأمطرت، واحتمله الوادي وذهب به، وصلبوا خُبيباً بعد أن تركوه يصلي ركعتين وهو حيٌّ، وقتلوه مصلوباً، وبلغ النبي ﷺ الخبر، وبعث بالزُّبير والمقداد للإتيان به، وأتيا إلى المكان والقوم حول الخشبة نيام فاستيقظوا، وكادا يقتتلون معهم، إلا أنهم انصرفوا بعد ذلك، وقدما على رسول الله ﷺ به، وكان قد بقي مصلوباً على الخشبة أربعين يوماً لم يتغير فيه شيء وهو رطب. وقيل ابتلعته الأرض بعد أن رماه الزبير من على فرسه لقتال القوم الذين لحقوا به بعد أن أخذه من على الخشبة.

*** مَسجد ضرار:**

في مجمع البيان وغيره: أن بني عمر بن عوف بنوا مسجد «قبا»

وطلبوا من النبي أن يصلي فيه، وصلّى وأصبح مركزاً للإجتماع والإنطلاق الإسلامي.

فحسدهم جماعة من المنافقين من بني غنم بن عوف، وعزموا على بناء مسجد مقابله كي لا يحضر جماعة المسلمين إلى هناك، فلما أتموا بناء المسجد طلبوا من النبيﷺ أن يصلي فيه فاعتذر لأنه كان يتجهز لغزو تبوك ووعدهم بذلك بعد عودتهﷺ وبعد رجوعه كان الوحي قد نزل عليه.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1].

*** انطلاق الدعوة من الحجاز إلى خارجها:**

بعد أن اطمأنَّ رسول اللهﷺ للدعوة وانتشارها في الجزيرة العربية، بعث برسائل إلى ما وراءها يدعو فيها إلى الإسلام، إلى:

١ ـ هِرَقل ملك الروم.

٢ ـ كسرى ملك فارس.

٣ ـ المقوقس في مصر.

---

(١) سورة التوبة، الآيات: ١٠٧ ـ ١٠٩.

٤ ـ النجاشي في الحبشة.

٥ ـ حُكّام اليمامة، وعُمان.

*** من وراء الحجرات:**

نادى رسول الله ﷺ بصوتٍ وأسلوب جلف، من وراء حُجرات وغُرف رسول الله ﷺ بنو العنبر، فَخْذٌ من بني تميم احتجاجاً على فعل عيينة بن حصن وأسْرِهِ خمسين ما بين رجل وامرأة وطفلٍ من قومهم بعد إرسال النبي ﷺ له مع خمسين فارساً لطردهم جابي الزكاة لرسول الله، وحاولوا المفاخرة، فانتدب إليهم رسول الله ﷺ ثابت بن قيس ليرد عليهم، وعلى شاعرهم حسّان بن ثابت إلا أنهم سرعان ما انسحبوا، وعفا رسول الله ﷺ عن قومهم وردَّهم عليهم، واعتنقوا الإسلام كلهم بعد ذلك. ونزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤﴾.

* روى الشيخ الحرّ عن الحسن بن الفضل الطبرسي في مكارم الأخلاق عن النبي ﷺ: أنه كان لا يأكل الحار حتى يبرد، ويقول: إنَّ الله لم يطعمنا ناراً، إنَّ الطعام الحار غير ذي بركة فأبردوه. وكان إذا سمَّى يأكل بثلاث أصابع ومما يليه، ولا يتناول من بين يدي غيره، ويؤتى بالطعام فيشرع قبل القوم ثم يشرعون. وكان يأكل بأصابعه الثلاث الإبهام والتي تليها والوسطى، وربما استعان بالرابعة. وكان يأكل بكفه كلها ولم يأكل بإصبعين، ويقول: إنَّ الأكل بإصبعين هو أكل الشيطان. ولقد جاء أصحابه يوماً بفالوذج فأكل منه، وقال: ممَّ هذا؟ فقالوا: نجعل السمن والعسل ينضج فيأتي كما ترى؛ فقال: إنَّ هذا

طعام طيب. وكان يأكل خبز الشعير غير منخول، وما أكل خبز برّ (قمح) قط، ولا شبع من خبز الشعير قط، ولا أكل على خوانٍ (مائدة) حتى مات. وكان يأكل البطيخ والعنب، ويأكل الرطب، ويطعم الشاة النّوى. وكان لا يأكل الثوم ولا البصل، ولا الكراث ولا العسل الذي فيه المغافير(١). وما ذمَّ طعاماً قط. وكان إذا أعجبه أكله وإذا كرهه تركه، ولا يحرمه على غيره.

وكان يلحس القصعة، ويقول: آخر الصَّحفة أعظم الطعام بركة. وكان إذا فرغ لعق أصابعه الثلاث التي أكل بها، واحدة واحدة. وكان يغسل يده من الطعام حتى ينقيها. وكان لا يأكل وحده.

* استمرت خلافة أبي بكر الصديق(رض) بعد النبي ﷺ سنتين و٣ أشهر وبضعة أيام.

* واستمرت خلافة عمر بن الخطاب(رض) بعد أبي بكر عشر سنين وبضعة أشهر وأيام.

* واستمرت خلافة عثمان بن عفان(رض) بعده اثنتا عشرة سنة إلا أياماً.

* واستمرت خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام خمس سنين إلا ثلاثة أشهر.

لم يتزوج ﷺ على الزهراء عليها السلام حال حياتها، وأنجب منها:

---

(١) ما يبقى من الشجر في بطون النحل فيلقيه في العسل ويُبقي له ريح في الفم.

الحسن والحسين عليهما السلام، وزينب، وأم كلثوم الكبرى، رضوان الله تعالى عليهما.

وأنجب من غيرها عليها السلام بعد وفاتها أولاداً عِدَّة استشهد كثير منهم في كربلاء مع أخيهم من أبيهم الحسين عليه السلام.

* شَعْر رسول الله صلى الله عليه وآله

روى الشيخ الحُرِ عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن حمَّاد، عن أيوب بن هارون، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أكان رسول الله صلى الله عليه وآله يفرق شعره؟ قال: لا، إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا طال شعره كان إلى شحمة أذنه[1].

* الأظافر:

وروى أيضاً محمد ين يعقوب، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله للرجال: قصُّوا أظافيركم، وللنساء اتركن من أظفاركن فإنه أزين لكُنَّ[2].

* العانة:

وروى أيضاً محمد بن يعقوب، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَن

---

(١) الوسائل: ج١٦، ص٤١٨.

(٢) الوسائل، ج١٦، ص٤٣٥.

كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يترك عانته فوق أربعين يوماً، ولا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تدع ذلك منها فوق عشرين يوماً[1].

* مكارم الأخلاق:

الأخلاق أصولها في الطبع، ومادتها في المعرفة والعلم التربوي. والأخلاق لها سلطانٌ على النفس، فمن تخلَّق بالخُلُق الحسن، تواضع ونال مواقع العزّ والشرف، وساح في فسحة الحق ولم يكن مسرفاً ولا مضيّعاً لحق. ومَن تخلَّق بغير ذلك تاه وصار ظالماً، مجاوزاً للحد ممتنعاً عن آداء الحق.

* روي عن علي عليه السلام أنه قال: لمَّا أتانا سبايا طي تكلَّمَتْ فيه جارية جميلة نسيتُ جمالها لمَا رأيت من فصاحتها، فقالت: يا محمد، إنْ رأيتَ أن تُخلّي عني، ولا تشمت بي أحياء العرب، فإني إبنة سرّة قومي. كان أبي يفكُّ العاني، ويحمي الذمار، ويقري الضيف، ويشبع الجائع، ويفرِّج عن المكروب، ويُطعم الطعام، ويُفشي السلام، ولم يردَّ طالب حاجةٍ قط، وأنا إبنة حاتم الطَّائي. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جارية! هذه صفة المؤمن حقاً، لو كان أبوكِ مسلماً لترحمنا عليه، خلُّوا عنها؛ فإنَّ أباها كان يحب مكارم الأخلاق، والله يحب مكارم الأخلاق. فقام أبو بردة: فقال: يا رسول الله! الله يحب مكارم! فقال صلى الله عليه وآله: «يا أبا بُرْدَة، لا يدخل الجنَّة أحد إلا بحسن الخلق»[2].

---

(١) الوسائل: ج١٦، ص٤٣٨.

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، ص٣٤١، وابن عساكر في تاريخه ج٣، ص٤٥٤، وابن كثير في البداية والنهاية: ج٢، ص٢١٣.

الفصل الخامس

في أحوال علي عليه السلام

* **انقلاع الشجرة:**

«. . . ولقد كنت معه ﷺ لما أتاه الملأ من قريش، فقالوا له: يا محمد إنك ادَّعيت عظيماً لم يدَّعه آباؤك، ولا أحدٌ من بيتك، ونحن نسألك أمراً إن أنت أجبتنا إليه وأريتناه، علمنا أنك نبي ورسول، وإن لم تفعل علمنا أنك ساحر كذَّاب، فقال ﷺ: وما تسألون؟ قالوا: تدعوا لنا هذه الشجرة، حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك، فقال ﷺ: إن الله على كل شير قدير. فإن فعل الله لكم ذلك، أتؤمنون وتشهدون بالحق؟ قالوا: نعم. . . ثم قال ﷺ: يا أيتها الشجرة إن كنتِ تؤمنين بالله واليوم الآخر، وتعلمين أني رسول الله، فانقلعي بعروقك حتى تقفي بين يدي بإذن الله، والذي بعثه بالحق لانقلعت بعروقها، وجاءت ولها دويٌّ شديد، وقصف كقصف أجنحة الطير حتى وقفتْ بين يدي رسول الله ﷺ مرفرفة وألقت بغصنها الأعلى على رسول الله ﷺ وببعض أغصانها على منكبي، وكنت على يمينه ﷺ.

فلما نظر القوم إلى ذلك، قالوا عُلواً واستكباراً، فمُرها فليأتك نصفها، ويبقى نصفها، فأمرها فاقبل إليه نصفها كأعجب إقبالٍ وأشد

دويّاً، فكادت تلتف برسول الله ﷺ، فقالوا كفراً وعُتُواً، فمُرْ هذا النصف فليرجع إلى نصفه كما كان، فأمره ﷺ فرجع. . . فقال القومُ كلُّهم: بل ساحر كذاب، عجيب السحر خفيف فيه، وهل يصدقك في أمرك إلا مثل هذا! يعنوني، وإني لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم، سيماهم سيماء الصديقين، وكلامهم كلامُ الأبرار، عُمار الليل، ومنار النهار، متمسكون بحبل القرآن، يُحيون سُنَّة الله وسننَ رسوله، لا يستكبرون ولا يعلُون، ولا يَغُلّونَ ولا يُفسدون، قلوبُهم في الجنان وأجسادهم في العمل. . .».

«قلوبهم في الجنان وأجسادهم في العمل»: أي: قلوبهم ملتذة بمعرفة الله تعالى وأجسادهم نصبة بالعبادة.

* لمَّا انتهت إليه أنباء السقيفة، قال عليه السلام: ما قالت الأنصار؟ قالوا: قالت منا أمير ومنكم أمير. قال عليه السلام: فهلَّا احتججتم عليهم بأنَّ رسول الله ﷺ وصَّى بأن يُحْسَنَ إلى محسِنِهم، ويُتجاوز عن مسيئهم؟ قالوا: وما في هذا من الحجة عليهم؟

فقال عليه السلام: لو كانت الإمامة فيهم لم تكن الوصية بهم.

ثم قال عليه السلام: فماذا قالت قريش؟ قالوا: احتجَّت بأنها شجرة الرسول ﷺ. فقال عليه السلام: احتجُّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة.

* إنها كفٌّ يهودية:

أُسر مروان بن الحكم يوم الجمل فاستشفع الحسنان عليهما السلام له، فقالا له: يبايعك يا أمير المؤمنين. قال عليه السلام:

أولم يبايعني بعد قتل عثمان! لا حاجة لي في بيعته، إنها كفٌّ

يهودية، لو بايعني بيده لغدر بِسُبَّته. أما إنَّ له إمرةً كلعقةِ الكلب أنفه، وهو أبو الأكبُشِ الأربعة، وستلقَى الأمَّةُ منه ومن ولده يوماً أحْمرَ(١).

*** السبّ:**

«. . . أما السبُّ فسُبُّوني، فإنه لي زكاة ولكم نجاة، وأما البراءة، فلا تتبرأوا مني، فإني ولدت على الفطرة، وسبقت إلى الإيمان والهجرة».

ولدعليه السلام على الفطرة، فيها تفاسير:

١ ـ لم يولد في الجاهلية، لأنهعليه السلام ولد لثلاثين عاماً مضت من عام الفيل، والنبيصلى الله عليه وآله أرسل لأربعين سنة مضت من عام الفيل، وكانعليه السلام يرى النور ويسمع الصوت.

٢ ـ وُلد مُهيأ العقل للتوحيد والعدل دونما مانع.

٣ ـ ولد معصوماً. ومذ ولد لم يفعل قبيحاً.

* مرَّعليه السلام بالشبَّاميين قادماً من صفين، فسمع بكاء النساء على قتلى «صِفِّين» وخرج إليه «حرب بن شرحبيل الشبَّامي» وكان من وجوه قومه، فقال له: أيغلبكم نساؤكم على ما أسمع ألا تنهَونَهنَّ عن هذا الرنين. وأقبل «حربُ» يمشي معه وهوعليه السلام راكب. فقال له: إرجع فإنَّ مشي مثلِك مع مثلي فتنة للوالي ومذلَّة للمؤمن.

---

(١) إنها كفٌّ يهودية: أي غادرة. بسبته: السَّبتَ: الإست وهو ما يحرص الإنسان على إخفائه، وكني به عن الغدر الخفي، واختارعليه السلام لفظه لتحقيره.
كعلقة الكلب أنفه: يريدعليه السلام قصر المدة. وكذلك كانت مدة خلافة مروان، فإنه ولي تسعة أشهر.
والأكبش الأربعة: إشارة إلى تولي الخلافة من بني أميَّة من الأربعة أخوة هؤلاء.

* وقيل له عليه السلام لو سُدَّ على رجلٍ بابُ بيتٍ، وتُرك فيه، مَن أين كان يأتيه رزقه؟ فقال عليه السلام: من حيث يأتيه أجله.

* وعزَّى عليه السلام قوماً عن ميتٍ مات لهم؛ فقال عليه السلام: إنَّ هذا الأمر ليس بكم بدأ، ولا إليكم انتهى، أكان صاحبكم هذا يسافر؟ فقالوا: نعم، قال: فعُدُّوه في بعض سفراته، فإن قدم عليكم وإلا قدمتم عليه.

* قال عليه السلام لبعضٍ في علة أعتلَّها:

جعل الله ما كان منك من شكواك حَطًّاً لسيئاتك، فإن المرض لا أجر فيه، ولكنَّه يحط السيئات، ويحتُّها حتَّ الأوراق، وإنما الأجر في القول باللسان، والعمل بالأيدي والأقدام، وإنَّ الله سبحانه يُدخل بصدق النيّة والسَّريرة الصالحة من يشاء من عباده الجنَّة.

* وقال عليه السلام وقد سمع رجلاً يقول: «إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون».

فقال: إنَّ قولنا «إنَّا لله» إقرار على أنفسنا بالملك. وقولنا: «وإنا إليه راجعون» إقرار على أنفسنا بالهُلك.

* وقال عليه السلام: أحلفوا الظالم إذا أردتم يمينه بأنه بريء من حول الله وقوته، فإنه إذا حلف بها كاذباً عوجل، وإذا حلف بالله الذي لا إله إلا هو لم يُعاجَل، لأنه قد وحَّد الله سبحانه وتعالى.

* روى أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في خبر يحيى بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ـ لمَّا أمَّنَهُ الرشيد بعد خروجه بالديلم؛ وإبلاغه في إكرامه وبرِّه، وسعاية عبد الله بن مصعب الزبيري به إلى الرشيد، ودعواه انقلاب يحيى عليه، وتدبير مؤامرة ضده. ـ: أنه بعد وقوفهما بين يدي الرشيد، وإنكار يحيى الخروج وشق العصا عليه،

أنشد يحيى شعراً كان قد قاله مصعب الزبيري ابن عبد الله بن الزبير عندما كان قد خرج مع أخي يحيى محمد، على أبي الرشيد المنصور أبي جعفر، فتغير وجه الرشيد عند سماع الشعر وأنكر ذلك عبد الله، فطالبه يحيى بحلف يمين البراءة، وقال له: قل: برئت من حول الله وقوته، واعتصمت بحولي وقوتي، وتقلّدت الحول والقوة من دون الله، استكباراً على الله واستعلاءً عليه، واستغناءً عنه إن كنت قلت هذا الشعر! فامتنع عبد الله من الحلف بذلك، فغضب الرشيد، فوكزه الفضل بن الربيع برجله، وقال له: ويحك! إحلف، فجعل يحلف بهذه اليمين، وتغير وجهه وهو يُرعد، فضرب يحيى بين كتفي عبد الله، وقال له: يا ابن مصعب قد قطعت عمرك، لا تفلح بعدها أبداً.

قالوا: فما برح من موضعه حتى عرض له أعراض الجذام، واستدارت عيناه، وتفقأ وجهه، وذهب إلى بيته، وتشقق لحمه، وانتثر شعره، ومات بعد ثلاثة أيام. فلمّا جُعل في القبر انخسف اللحد به حتى خرجت منه غبرة شديدة، وجعل الفضل يقول: التراب، التراب، فطرح التراب وهو يهوي، فلم يستطيعوا سدَّهُ حتى سُقف بخشبٍ، وطُمَّ عليه.

* رووا: أنه قَدِمَ على علي عليه السلام قبل يوم الجمل، عثمان بن حُنَيف، وقد نتف طلحة، والزبير شعر رأسه ولحيته وحاجبيه حين أرسله إليهم رسولاً حقناً للدماء، وقد كانا يريدان أمر الخلافة شراكة مع علي عليه السلام وقد رفض، فقال عثمان: يا أمير المؤمنين بعثتني ذا لحية، وجئتك أمرداً، فقال عليه السلام: أصبتَ خيراً وأجراً...».

* وجاءه عليه السلام شخص يوم الجمَل يسأله عن الحق هل هو مع جيشه أم مع ذلك الجيش؛ فقال له عليه السلام: إعرف الحق تعرف أهله.

لم يُجبه الإمام عليه السلام صراحةً حتى لا يعتبر السائل حربَ الإمام حرباً شخصية ثأرية، أو لهدفٍ رئاسي رخيص، فترك تشخيص الحق إلى الشخص نفسه.

* لمَّا عزم علي عليه السلام على الخروج من الكوفة إلى الحَرُورية (النهروان) كان في أصحابه منجِّم؛ فقال له: لا تسِر في هذه الساعة، وسِر بعد ثلاث ساعات وإلا أصابك أذىً شديداً.

فقال له علي عليه السلام: أتدري ما في بطن فرسي هذه؟ أذكر هو أم أنثى؟ فقال: إن حسبت علمت. قال عليه السلام: مَن صدَّقك بهذا فقد كذب بالقرآن. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾.

* في أمسية يوم من أماسي شعبان سنة ٤، ٧، ٣، للهجرة، وَلدت فاطمة عليها السلام حسيناً عليه السلام فأخذه النبي صلى الله عليه وآله وأذَّن في أُذنه وعقَّ عنه كِبْشاً أملحاً (سميناً) كما فعل مع أخيه الحسن عليه السلام.

وفي رواية: كبشين أملحين للإثنين.

ورُوي عن الإمام الصادق عليه السلام أن فاطمة عليها السلام حلقت حسناً وحسيناً يوم سبعهما ووزنت شعرهما وتصدَّقت بوزنه فضة.

وولد الحسن عليه السلام للنصف من شهر رمضان سنة ٣ للهجرة، وسمَّاهُ رسول الله صلى الله عليه وآله حَسَناً حجَّ خمس عشرة حجة ماشياً، وخرج من ماله مرتين، وقاسم الله عز وجل ثلاث مرات من ماله ـ رواه محمد بن حبيب في أماليه.

قال أبو الحسن المدائني: دسَّ إليه معاوية سُمَّاً في العسل على يد جعدةِ بنت الأشعث بن قيس، زوجة الحسن عليه السلام، وكان مرضه أربعين

يوماً وكانت وفاته عن سبعٍ وأربعين سنة وقيل ٤٨ وقيل ٤٦ سنة كما عن الصادق عليه السلام وكان معاوية قد وعدها بمائة ألف وتزويجها من يزيد ابنه، فلما مات وفى لها بالمال ولم يزوجها من يزيد. قال: أخشى أن تصنع بابني كما صنعت بابن رسول الله صلى الله عليه وآله.

وروى المدائني أيضاً عن يحيى بن زكريا عن هشام بن عروة، قال: قال الحسن عند وفاته: ادفنوني عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أن تخافوا أن يكون في ذلك شر، فلما أرادوا دفنه، قال مروان بن الحكم: يُدفن عثمان في حشّ كوكب (موضع عند بقيع الغرقد) ويُدفن الحسن هاهنا. فاجتمع بنو هاشم وبنو أُمية وجاءوا بالسلاح.

فقال أبو هريرة لمروان: أتمنع الحسن أن يدفن في هذا الموضع، وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة». قال مروان: دعنا منك لقد ضاع حديث رسول الله إذا كان لا يحفظه غيرك وغير أبي سعيد الخدري، وإنما أسلمت أيام خيبر. قال أبو هريرة: صدقت لكنني لزمت رسول الله، وكنت أسأله حتى علمت مَن أحبَّ ومَن أبغض ومَن قرَّب ومَن أبعد، ومَن لعن ومَن دعا له.

فلما رأت عائشة السلاح والرجال، قالت: البيت بيتي، ولا آذن لأحد أن يُدفن فيه. ودفنوه في البقيع.

وما وفى معاوية للحسن عليه السلام بشيء من اتفاقه معه، قتل حُجْراً، وأصحاب حُجرٍ وبايع لإبنه يزيد[1].

* كان الفيلسوف هوبس (الإنكليزي) يُعلل ما فيه من خُلق الجبن،

---

(١) رواه إبن أبي الحديد في شرح النهج عن المدائني.

بما لاقته أمّه من الأهوال أثناء حملها به، حينما كانت السفينة العمارة الإسبانية المسماة بـ«الأرماد» الشهيرة تهدد إنكلترا وتطوف حول سواحلها، وكان ما يتحمله أهلها من صورة إغارة الأعداء عليهم يلقي الرعب في القلوب.

وروى أحد العلماء في التربية الأخلاقية، أبادير حكيم:

أنَّ والدة «فلاكسمان» النقَّاش المشهور، كانت مولعة بالنقوش الجميلة والتصوير. وكانت فترة الحمل تُكثر من مشاهدة الرسوم والنقوش للفنانين، فلما رُزقت ولدها «فلاكسمان» كان من أبدع النقاشين وأعظمهم.

فالحسين كان إذن غنياً ـ بلا شك ـ بما تراكب في دمه من الوراثات الدينية المتصلة على طول حبل النسل الممدود في أعماق الماضي.

والمربى النبوي أخرج اثنين فقط، كان أحدهما مثالاً لكلمة الحق الهادئة، والآخر كان مثالاً لكلمة الحق الثائرة.

كذا قال بعضهم.

ونقول: إن الإثنين ـ الحسن والحسين عليهما السلام كانا مثالين لكلمة الحق الثائرة، لكن الظروف ـ أحياناً ـ هي التي تحكم على الشخص بالتصرف بما يراه مناسباً.

وهذه حقيقة تفرض نفسها على الزمن في محطاته ومفترقاته حيث لا مناص من الدوران في دولابه، والتصرف حسب ظروفه ومقتضياته.

*** هدَّدني بعلي:**

بلغ عمر بن الخطاب عن عمرو بن معد يكرب أمراً أنكره عليه، وهو شجاع العرب، فكتب عمر إليه وكان على تخوّفٍ من غدره: أما والله لئن أقَمْتَ على ما أنت عليه، لأبعثن إليك رجلاً تستَصْغِرُ معه نفسَك، يضع سيفه على هامتك فيخرجه من بين فخذيك! فقال عمرو لما وقف على الكتاب: هدَّدني بعلي والله.

وكان عمر(رض) قال لطلحة والزبير مرة: إن الأجلح، أي: الأصلع إنْ وليها ليحملنكم على المحجَّة البيضاء والصراط المستقيم[١].

*** السياسة والأسوس:**

واعلم أن قوماً ممن لم يدركوا فضل أمير المؤمنين في الحكم والسياسة، زعموا أن عمر كان أسوس منه، بل حتى معاوية كما ذهب إليه الأعداء والمبغضون وغيرهم. ولا يمكن الأخذ بصحة هذه الدعوى، إذا فهمنا وعلمنا أن السائس لا يتمكن من السياسة المدَّعاة صحةً وسلامةً، إلا إذا كان يعمل برأيه وما فيه صلاح ملكه وتوطيد سلطانه، سواء وافق الشريعة أم لم يوافقها، والإمام ﷺ كان مقيّداً بقيود الشريعة، معتمداً عليها، فقاعدته في الخلافة والحكم كانت خلاف قاعدة غيره. وعمر كان يجتهد حتى مع وجود النص، وكان يكيد خصمه ويأمر أمراءه بالكيد والحيلة، ويؤدّب بالدرة والسّوط مَن يتغلب على ظنه أنه يستوجب ذلك، ويصفح عن آخرين ممن اجترموا ما

---

(١) إبن أبي الحديد في شرح النهج.

يستحقون التأديب، ولم يكن علي عليه السلام يرى ذلك، فلا يضع ولا يرفع إلا بالكتاب والنص والعمل بالرأي الموافق للكتاب والنص، وكذلك سياسة معاوية فقد كانت مملؤة بالمكر والخديعة، البعيدة عن الكتاب والسنَّة. فالطرق في الخلافة والسياسة كانت مختلفة تماماً عن سياسته عليه السلام.

ولم يُمْنَ عمر بما مُني به علي عليه السلام من فتنة عثمان، والجمل وصفين والنهروان. فهذه أمور مؤثره في عدم استقرار الدولة والحكومة، رغم وجود عنصر العدالة أثنائها، ولم يتفق لعمر شيء من ذلك، عدا عن معاوية الذي هو وجود مع الفارق الشاسع، ولا مقايسة في البين عند مَن يقارن بين الإثنين. فكل هذا مانع من معاقد الثبات والإنتظام في الحكم والتدبير، ولا يمكن الحكم من خلاله بأن هذا أسوس من ذاك، خصوصاً مع اختلاف المباني والقواعد في السياسة، وارتكاب وسائل القتل والسم ونحو ذلك من اللاشرعيات واللإنسانيات[١].

نقول:

لا ريب أن السياسة خضوع للقوانين الإنسانية والشرعية فإذا انحرفت عنها بالخدع والأكاذيب أصبحت نفاقاً، وتوطيداً للنظام الفاسد، وخلقاً لمجتمع غير مستقر، فحينما لا تحكم مبادىء العدالة والشرعية الحقة لا تكون هناك سياسة بمعنى السياسة.

(١) إبن أبي الحديد في شرح النهج.

الفصل السادس

في أحوال بني أُمية ومروان

*** معاوية:**

* استمرت ولاية معاوية على الشام ١٩ سنة و٣ أشهرمنذ توليها على عهد عثمان وبقائه عليها إلى أن توفي.

واستمرت غارات معاوية على العراق ونواحيها مدة سنتين. كان بعض قادة هذه الغارات الضحَّاك بن قيس الفهري، والنعمان بن بشير، وقد باءت غارتهما بالفشل كغيرها من الغارات الأخرى، وهي رغم فشلها كانت تستهدف القيام بعمليات إرهابية خاطفة لزعزعة صفوف جيش الإمام عليه السلام ومؤيديه.

وكانت قد سُميت غارة النعمان بن بشير بغارة النمر التي لاذ فيها بالفرار هو وأصحابه.

* بُسر بن أرطأة: بعثه معاوية لقتل كل مَن كان من شيعة علي عليه السلام فعَاث في الأرض قتلاً ودماراً ونهباً. بعثه من الشام إلى مكة، والمدينة، والطائف، واليمن وغيرها، وهو يقتل ويحرق ويسلب حتى قتل طفلين لعبيد الله بن العباس الذي كان والياً على اليمن من قِبَل الإمام عليه السلام.

أمَّا مصيره: فكان أن سلبه الله تعالى عقله، فكان يهذي ويقول:

أعطوني سيفاً أقتل به علياً، فيعطونه سيفاً من خشب ويضعون أمامه الوسائد يضربها. وهذا كان من دعوة الإمام عليه:

«اللهم فلا تمته حتى تسلبه عقله ولا توجب له رحمتك ولا ساعة من نهار...».

وكان هذا بعد أن كان قد بعث له «جارية بن قدامة السعدي» على كتيبة من ألفي رجل جُمعت بالكاد بعد المطل والمراوغة من شيعته، إلا أنه لم يُكتب له اللقاء بـ«بسر بن أرطأة» إذ كان ما كاد يعلم بذلك حتى كان يفر في الأودية آثراً الفرار على اللقاء.

*** محمد بن ابي بكر:**

ربيب الإمام علي ربّاه صغيراً بعد زواجه من أمه أسماء بنت عميس. قتله معاوية بن حديج من قواد جند الشام المبعوثين من قِبل معاوية بن أبي سفيان لقتل كل مَن كان على طاعة وحب علي.

لحق به ابن حديج وجماعته في الصحراء بعد الإغارة على مصر، وأخذه أسيراً وذبحه كما تُذبح الشاه أعزلاً من غير سلاح على ثرى الفسطاط.

*** حجر بن عدي الكندي المعروف بحجر الخير:**

وفد على النبي، وشهد القادسية، والجمل، وصفين مع علي. وكان على كندة على الميسرة في النهروان. ولمّا أنكر على زياد بن أبيه لعن علي بعث به وبجماعته بأمرٍ من معاوية إلى الشام، وقتله معاوية لعدم البراءة من علي بمرج عذراء سنة ٥١.

*** ميثم التمار بن يحيى:**

كان عبداً لامرأة من بني أسد، فاشتراه الإمام وأعتقه.

كان أول مَن ألجم في الإسلام ألجمه إبن زياد وقتله على عدم البراءة، واللعن لأمير المؤمنين عليه السلام.

*** معاوية والحِلْم:**

قتل معاوية حجراً وأصحابه، ومنهم: **صيفي بن فسيل** الذي أودعه ابن زياد السجن ثم أرسله إلى معاوية، وقتله مع **عُدي بن حِجر الكندي**. ولم يذكر أحد من المؤرخين أن هؤلاء قاموا بعملٍ يستحق عقوبة السجن أو القتل، ومع ذلك رأينا معاوية يقتلهم بعد تعذيبهم لا لشيء إلا لولائهم لعلي بن أبي طالب.

*** وقف أبو سفيان بن حرب على قبر سيد الشهداء** حمزة بن عبد المطلب، وقد تولى عثمان بن عفَّان الخلافة، وولَّى معاوية بن أبي سفيان الشام، وقال:

رحمك الله أبا عمارة (حمزة) قاتلتنا على أمرٍ صار إلينا.

غريب... أهذا كلام مَن آمن!

*** مع الحسين عليه السلام:**

من جملة ما قاله الإمام الحسين عليه السلام للوليد بن عتبة والي المدينة حين أمره بالبيعة ليزيد بعد وصف يزيد بالفسق والفجور، وأن مثلي لا يبايع مثله.

وإذا لم يكن من الموت بدٌّ ... فمن العار أن تموت جبانا
قف دون رأيك في الحياة مجاهداً ... إن الحياة عقيدة وجهاد

من مواقف الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، وأقواله:

«... إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مَن رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله،

ناكثاً بعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله ﷺ يعمل في عباده بالإثم والعدوان فلم يُغَير ما عليه بفعلٍ ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله . . . ».

« . . . ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلُّوا حرام الله وحرَّموا حلاله، وأنا أحق مَن غيَّر، وأنا الحسين بن علي بن فاطمة».

* كان استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في العاشر من المحرَّم.

وأول شهيد في كربلاء كان علي الأكبر بن الحسين بن علي عليه السلام.

أمه: ليلى إبنة أبي مرّة بن عروة بن مسعود الثقفي. وكانت أم أمّه: ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب، لهذا أُعطي له الأمان حين قالوا له: إن لك قرابة بأمير المؤمنين (يزيد بن معاوية) فإن شئت أمنّاك.

فقال علي: لَقَرَابة رسول الله ﷺ أحق أن ترعى. وحمل على القوم. ولما رأه الحسين عليه السلام حاملاً عليهم، قال: اللهم اشهد على هؤلاء القوم فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خَلْقَاً، وخُلُقَاً، ومنطقاً برسولك محمد ﷺ وكنا إذا اشتقنا إلى وجه رسولك نظرنا إلى وجهه. . . وحمل وهو يقول:

أنا علي بن الحسين بن علي ... نحن وبيت الله أولى بالنبي
والله لا يحكم فينا ابن الدعي ... أطعنكم بالرمح حتى ينثني
أضربكم بالسيف حتى يلتوي ... ضرب غلام هاشمي علويّ

وقاتل حتى استشهد، قتله منقذ بن مرَّة العبدي على رأسه، وضربه الناس بأسيافهم وقطّعوه إرْباً إرْباً.

*** ثورة التوابين:**

كانت لأجل الخذلان للإمام الحسين عليه السلام وعدم نصرته في كربلاء. اجتمعوا على قبره عليه السلام وبكوا، وقالوا ما قالوا نادمين ثم التقوا بجيوش الأمويين في معركة عين الوردة ٦٥هـ، وأُبيدوا عن آخرهم وكانوابقيادة سليمان بن صرد الخزاعي - سلام على أنصار الحسين.

*** المختار بن يوسف الثقفي:**

دعا إلى الأخذ بثأر الحسين عليه السلام بعد وقعة كربلاء، وقتل جميع قتله الحسين بما فيهم عبيد الله بن زياد. لكن المختار لم يهنأ بهذا الظفر، إذ حاربه مصعب بن الزبير طمعاً بالخلافة، وقضى عليه، وعلى ثورته آخر الأمر.

* استمرت ولاية يزيد بن أبي سفيان بعد وفاة أبيه معاوية ثلاث سنوات ثم آل الأمر إلى بني مروان.

*** يزيد:**

يرجع بالأمومة إلى بني كلب المُدِينة بالمسيحية قبل الإسلام. وبعض المؤرخين يرجِّح أن أساتذته كانوا من بعض نساطرة الشام.

في السنة الأولى من حكمه: قتل الحسين، وفي السنة الثانية نهب المدينة (وقعة الحرَّة) وأباحها ثلاثة أيام، وقتل فيها سبعمائة من المهاجرين والأنصار، ولم يبق بدري بعد ذلك، وقتل عشرة آلاف من الموالي، والعرب والتابعين، وافتض ألف عذراء[١].

---

(١) أخبار الدول للقرماني - ص: ١٣٠.

خلدونيات

* يعتبر إبن خلدون من المؤرخين الكبار الذين اهتموا بتأريخ أحوال الأمم واستخراج أسباب زوالها وعمرانها، والذي يثير للدهشة ما قرأناه في مقدمته حيث قال:

ـ «... وتقرر من هذا أن الكَيْس والذكاء عيب في صاحب السياسة، لأنه إفراط في الفكر. ومأخذه من قصة زياد بن أبي سفيان لمَّا عزله عمر(رض) عن العراق، وقال له: لِمَ عزلتني يا أمير المؤمنين؟ لعجزٍ أم لخيانة؟ فقال عمر: لم أعزلك لواحدة منهما، ولكني كرهت أن أحمل فضل عقلك على الناس»[١].

عجباً! إذا لم يكن صاحب الرياسة صاحب فطنة وذكاء فإلى أين ستؤول الأمور؟

ـ «... وكذلك عَهِدَ معاوية إلى يزيد خوفاً من افتراق الكلمة بما كانت بنو أمية، لم يرضوا تسليم الأمر إلى مَن سواهم، فلو قد عهد إلى غيره اختلفوا عليه. مع أن ظنهم كان به صالحاً، ولا يرتاب أحد في

(١) مقدمة إبن خلدون.

ذلك، ولا يُظن بمعاوية غيره، فلم يكن ليعهد إليه وهو يعتقد ما كان عليه من الفسق. حاشا لله لمعاوية من ذلك»[1].

أليس هذا كلاماً عجيباً يصدر من مؤرخ كبير؟

أوجتهد فأخطأ في سمّه للحسن سبط رسول الله ﷺ؟!

أوجتهد فأخطأ في قتل صحابة علي ومحبيه؟!

وكيف خفي عليه أن «يزيد» كان فاسقاً شارباً للخمر، وفعل ما فعل، وإجماع المؤرخين عليه؟

* ولد إبن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن أبي بكر محمد بن خلدون الحضرمي) في تونس ٧٣٢هـ ـ ١٣٣٢م وتوفي في القاهرة عام ٨٠٨هـ ـ ١٤٠٦م.

* استمرت فترة خلافة عبد الملك بن مروان ١٣ سنة ثم مرض ومات.

*** الحجّاج بن يوسف الثقفي:**

ولاّه عبد الملك بن مروان على العراق، وحين وصل إليها، وقف على المنبر، وقال:

إنَّ أمير المؤمنين نثل كنانته فوجدني أصلبها عوداً فرماكم بي، وإني أرى رؤوساً قد دنى أوان حصادها وأنا الذي أحصدها.

عُدَّ في حبسه ثلاث وثلاثون ألف شخصٍ بلا ذنب، ومات في سجنه واحد وعشرون ألفاً صبراً، ومَن قتله بالسيف لا يحصى.

---

(١) مقدمة إبن خلدون.

حصر الحجاج عبد الله بن الزبير ٨ أشهر ورمى الكعبة بالمنجنيق، ورعدت السماء وبرقت وعلا صوت الرعد على صوت المنجنيق، فخاف أهل الشام ثم وضع الحجاج الحجرفي المنجنيق ورمى بنفسه معهم تشجيعاً، ثم جاءت صاعقة أخرى فقتلت من أصحاب الحجاج إثني عشر رجلاً، فأنكر أهل الشام؛ فقال الحجاج: يا أهل الشام لا تنكروا هذا، فإني ابن تهامة، هذه صواعق تهامة، هذا الفتح قد حضر فأبشروا، وفي الغد أصابت صاعقة عدَّة ما أصابت من الحجاج: إثني عشر من أصحاب الزبير. ولم تزل الحرب دائرة حتى تفرَّق عامة أصحاب ابن الزبير عنه حتى ولديه: خُبيب وحمزة، وبقي معه ٢٤ رجلاً من أصل أربعين ألف رجلٍ أخذوا الأمان من الحجاج.

* بعث الحجاج برأس عبد الله بن الزبير، ورأس عبد الله بن صفوان، وعمارة بن عمرو بن حزم إلى المدينة، فنُصِبت الثلاثة بها، ثم حُملت إلى عبد الملك.

*** ثورة عبد الرحمن بن الأشعث:**

قضى عليها الحجَّاج بجيوش سورية، عندما فتح الحجاج قسماً من سجستان وأراد الحجاج من إبن الأشعث وجنده أن يُتابعوا فلم يقدروا ورجعوا منقلبين عليه. وكان قد استخدمهم الحجَّاج لفتوحاته. وهم عراقيون شيعة، نهضوا لسوء حالهم الإقتصادية وظلم الحجَّاج لهم. ثار عليه عبد الرحمن بن الأشعث لكنه دُحر في دير الجماجم بجيوش عبد الملك من سورية، ثم في مَسْكِن. وأخيراً لاذ بأمير سجستان التركي وحماه، ثم أسلمه إلى رُسل الحجاج، ولكن إبن الأشعث انتحر وهو

في بعض الطريق، بأن ألقى نفسه من فوق قصر، فمات مفضِّلاً الإنتحار على الوقوع في يد الحجاج.

* كميل بن زياد:

قتله الحجاج بن يوسف الثقفي حين طلب منه أن يشهد على نفسه بالكفر فرفض.

وروي: أن الحجَّاج ضرب عنقه بعد أن طلبه فهرب منه ثم رجع إليه بعد أن حرم قومه عطاءهم. فقال له الحجَّاج: بلى قد كنت فيمن قتل عثمان بن عفان. إضربوا عنقه، فضُربت عنقه.

توفي الحجاج بن يوسف الثقفي (أبو محمد الثقفي) في شوال سنة ٩٥ وله من العمر ٥٤ سنة. وكانت مدة ولايته على العراق ٢٠ سنة.

وذكر بعض المؤرخين: أنه لمَّا دخلت القرامطة مكة سنة ٣١٧ عنوة ونهبوها قتلوا الحجاج، وأخذوا سلب البيت.

وهذا بعيد جداً لأنه لا يتفق وتاريخ وفاته.

والدعاء المعروف بإسم كميل بن زياد هو له ـ رضوان الله تعالى عليه بتعليم أمير المؤمنين عليه السلام له فكان يدعو به كل ليلة جمعة.

ويبقى ينتصر التاريخ للمظلوم ويزكو اسمه بعد الممات.

ممن خذلوا الحق

* **سعد بن أبي وقاص:** سادس القوم إسلاماً، قائد القادسية، وقف على الحياد لم يبايع علياً. وكان مصيره: إضطراره إلى الوفود على معاوية، والإستماع إليه، وتبكيته وتأنيبه، ثم أراحه الموت قبل أن يصير إلى شر ما صار إليه إبنه عمر بن سعد الذي نصر الباطل ووقف ضد الحسين عليه السلام. وكان لـ«سعد» ولد آخر هو محمد بن سعد، الذي أهانه الحجَّاج وضرب رأسه بعودٍ حتى أدماه، فاستعطفه بكتابٍ إلى عبد الملك بن مروان لعلَّه يأتيه عفو منه، فأطرق ملياً ثم ضرب عنقه.

* **عبد الله بن عمر:** لم يبايع علياً عليه السلام ووقف على الحياد يوم الجمل، وبايع لـ«يزيد» مضطراً بعد وقعة «الحرَّة»، وأهانه الحجَّاج إذ قال له: إسكت! فإنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك، وأرسل إليه مَن اغتاله. وكان يُظهر ندمه على عدم قتاله الفئة الباغية مع علي عليه السلام.

وممن لم يسلموا من المعارضين:

عبيد الله وسليمان إبنا عاصم بن عمر بن الخطاب، قتلتهما سيوف الأمويين يوم «الحرَّة» في المدينة.

أمَّا عبد الرحمان بن أبي بكر فقد أُهين وشُتم من قِبل مروان بن

الحكم، لأنه اعترض على بيعة يزيد، فشتمته عائشة ـ لمروان ـ وشتمت أباه.

وأمّا أبو جَهم بن حذيفة العدوي إبن عم عمر بن الخطاب: فقد جيء به بعد وقعة الحرَّة إلى مسلم بن عقبة؛ فقال له: مَن أنت؟

فقال: أنا أبو جهم بن حذيفة العدوي. قال أوتتكنى علي، وتقول: أبو جهم بن حذيفة؟ بايع الآن يزيد بن معاوية على أنك عبد من عبيده؛ فقال أبو جهم: يا سبحان الله! كيف أكون عبداً ليزيد وأنا رجل من قريش معروف الحسب والنسب؟ فقال مسلم بن عقبة: إضربوا عنقه! فقال: أنا أبايع على ما تأمرني به! فقال: لا والله لا أقيلك.

ثم قُدّم فضُرب عنقه.

* أفتى أبو حنيفة بوجوب الخروج مع زيد بن علي بن الحسين يوم أعلن الثورة على الحكم الأموي، وكان أول المؤيدين له، وكذلك فعل عندما قامت ثورة شيعية أخرى في العهد العباسي بقيادة النفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب في الحجاز، تعضدها ثورة أخرى في نفس الوقت بقيادة أخيه إبراهيم في العراق، فدعا إلى الإلتحاق بها وأمدَّها بالمال، حتى جاء أبو إسحاق الفزاري إلى أبي حنيفة ـ كما روى أبو الفرج ـ فقال له: ما اتقيت الله حيث أفتيت أخي بالخروج مع إبراهيم حتى قُتل؛ فقال له أبو حنيفة: قَتْلُ أخيك حيث قُتل يعدل قتله لو قُتل يوم بدر، وشهادته مع إبراهيم خير له من الحياة؛ فقال له الفزاري: ما منعك أنت من ذاك؟ قال: ودائع الناس كانت عندي.

* **زيد بن علي بن الحسين:**

قتله يوسف بن عمر الثقفي والي العراق أبان حكم هشام بن عبد الملك بن مروان، وأُخمدت ثورته. أُصيب بنبل في رأسه، ودُفن في مكانٍ مخفي وأجري الماء عليه كي لا يُعلم مكانه.

وكانت هذه الثورة فاتحة سلسلة طويلة من الحركات الثورية التي أدَّت آخر الأمر إلى سقوط دولة الأمويين. وفي القرن التاسع أسس أتباع زيد بن علي دولة في اليمن ثبتت طويلاً مع الزمن، وبقي فيها مَن يُسَّمون بالزيدية اليوم.

دلَّ عليه «السندي» مولى زيد، فأخذه يوسف بن عمر، وقطع رأسه وبعث به إلى هشام، وصلب على باب مدينة دمشق، وبقي مصلوباً إلى أن مات هشام وولي الوليد فأمر بإنزاله وإحراقه.

كانت ولاية هشام بن عبد الملك ١٩ سنة و٩ أشهر و٢١ يوماً. وكان سبب وفاته الذبحة على ما ذكره بعض المؤرخين[١].

* **الوليد بن عبد الملك:**

كان عهده مليئاً بالفسوق والفجور. كان يرمي القرآن بالنبل، ويقول:

أتُوعد كل جبَّارٍ عنيد فها أنا ذا جبار عنيد
إذا لقيت ربك يوم حشر فقل: يا ربِّ مزقني الوليد

---

(١) إبن الأثير في الكامل.

*** يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب:**

قتله مسلم بن أحوز في ولاية نصر بن سيَّار أيام الوليد، وقبره اليوم في «أرغوي» قرية في جوزجان شمال أفغانستان.

*** عمر بن عبد العزيز:**

أخذ سليمان بن عبد الملك البيعة لإبنه أيوب. وإذ كان قد توفي هذا قبل أبيه فقد نزل سليمان عند إرادة الفقيه رجاء بن جَبوة، وعهد بالخلافة إلى إبن عمه عمر بن عبد العزيز. استمرت خلافة عمر بن عبد العزيز سنتان وخمسة أشهر. وكان عمره أثناء توليه الخلافة ٣٩ سنة.

أوقف سبَّ علي ﷺ على المنابر، وخفَّف الجزية عن النصارى في قبرص، وأيلة على خليج العقبة، ونجران في جنوبي بلاد العرب، وردَّ «فدك» الزهراء إلى العلويين من الشيعة، وساوى بين الموالي (الأعاجم) والعرب.

مات مسموماً ـ على ما ذُكر ـ خوفاً من ألَّا يولي يزيد بن عبد الملك من بعده لأنه كان فاسقاً.

* كانت نهاية مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين على يد عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس. إلتقيا بالزاب (بين الموصل وإربل) وهُزم مروان شرَّ هزيمة، وهلك هو وابناه عبد الله وعبيد الله ـ وكانا وليَّا العهد ـ بعد فرارهم إلى الشام ثم إلى مصر، فلحقوا بهم وتبعوهم إلى «بوصير» حيث قتلوهم جميعاً.

وكان عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك قد فرَّ إلى

الأندلس ـ بحراً ـ خوفاً من العباسيين بعد هلاك مروان وأتباعه. وكان الأمراء الذين ولّوا الأندلس من بعده من ولده، ثم زال أمرهم ودولتهم على أيدي بني هاشم. وهم بنو حمّود الحسنيون، من ولد إدريس بن الحسن عليه السلام.

وذكر صاحب مروج الذهب (المسعودي) أن عبد الله بن علي أرسل أخاه صالح بن علي ومعه عامر بن إسماعيل أحد الشيعة الخراسانية إلى مصر، فلحقوا بمروان وتبعوه إلى بوصير فقتلوه وقتلوا كل مَن كان معه، والذي قتله عامر بن إسماعيل، وأتى برأسه إلى أبي العباس.

وروى المسعودي في المروج أيضاً أن قبور بني أمية كلها نُبشت في أيام أبي العباس السفّاح، وأُحرقت جميعها بما بقي منها، ولم يشتمل قبر يزيد إلا على عظم واحدٍ وخطٍ أسودٍ طول لحده، كأنما خُط بالرماد.

وروى أبو الفرج أيضاً: أن أبا العباس دعا بالغداء حين قتل مَن أمَّنَه من بني أمية، وأمر ببساطٍ فبُسط عليهم وجلس فوقه يأكل وهم يضطربون تحته، فلما فرغ، قال: ما أعلم أني أكلت أكلة قط كانت أطيب ولا أهنأ في نفسي من هذه، فلمَّا فرغ من الأكل قال: جرُّوهم بأرجلهم، وألقوهم في الطريق؛ ليلعنهم الناس أمواتاً كما لعنوهم أحياء.

قال: فلقد رأينا الكلاب تجرهم بأرجلهم، وعليهم سراويلات الوشي حتى أنتنوا، ثم حفرت لهم بئر فألقوا فيها.

الفصل السابع

في أحوال بني العباس

الدولة العباسية

* يعتبر المنصور العباسي أبو العباس السفاح مبيد الأمويين، والمؤسس الحقيقي لدولة العباسيين. كان فقيراً معدوم الذكر. بنى بغداد، وقتل محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وأخاه إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب لظهورهما عليه.

* خلف المنصور إبنه المهدي، وكانت مدة خلافته عشر سنين وشهراً واحداً.

وخلف المهدي الهادي إبنه. وكانت مدة خلافته سنة وثلاثة أشهر. توفي وله من العمر ٢٦ سنة. وفي «فخ»[1] استشهد الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب، مع ما يزيد على مائة شهيد من أهل بيته، حيث وجَّه الهادي العباسي إليهم حملة ـ لأنه كان يكره الطالبيين ويخشى منهم ـ التقت بهم في «فخ» فقُتل الحسين ومَن معه، وأُخذت رؤوس القتلى. وممن نجا إدريس بن عبد الله الذي أتى مصر، فالمغرب فأسس دولة الأدارسة.

---

(١) وادٍ في مكة على بُعد ستة أميالٍ منها.

* **هارون الرشيد:**

استمرت مدة خلافته ٢٣ سنة وشهرين و١٨ يوماً. له مقولة مشهورة في الملك والسلطان لولده المأمون: «لو نازعتني السلطان لنزعت الذي فيه عيناك».

بعث هارون الرشيد سنة ١٨٤هـ (٨٠١م) بسفارة هامَّة إلى إيكس لاشابيل، مؤلفة من رجلين موضع ثقته للإستعانة بالإمبراطور شارلمان، وإطلاعه على أن هارون الرشيد مستعد للتنازل له عن حق حماية الفلسطينيين في الأراضي المقدَّسة، مقابل مضايقة بني أميَّة بالأندلس. وكان هذا بعد عدة محاولات قام بها والي القيروان العلاء بن مغيث عام ١٥٤هـ وسليمان بن يقظان وإبنه يوسف عام ١٦٠هـ عندما اجتمعا بـ«شارلمان» في مدينة «باديربورن».

وكان استنصار الأمويين بالبيزنطيين الروم عام ٢٢٥هـ ـ ٨٣٩ ـ ٨٤٠م) ضد الخلافة العباسية، من قِبَل عبد الرحمن الناصر الأندلسي الأموي بإمبراطور بيزنطية «تيوفيلوس» كرد فعلٍ لإستنصار هارون الرشيد بـ«شارلمان».

حكم الرشيد ٢٣ سنة إمبراطورية إسلامية واسعة الأرجاء. واستمر الصراع ضد بيزنطة طوال عهد الرشيد، ولم ينجح إلا في إجبار «نقفور» إمبراطور بيزنطة على دفع جزية بعد فتح هرقلة سنة ٨٠٦.

وتمَّ فتح بلاد أفريقيا: تونس والمغرب وغيرها بعد محاولات عدة، وبنى حسَّان بن النعمان ميناءً مكان تحصن الروم في قرطاجنة، ومدينة تونس التي أصبحت المنفذ الذي خرج منه المسلمون إلى فتح صقلية

وإيطاليا. ولمّا ثار رافع بن ليث في «سمرقند» سنة ٨٠٦ وبسط سلطانه على بلاد ما وراء النهر كلها، سار هارون لقتاله بنفسه، ولكن ما كاد يبلغ «طوس» في خراسان حتى مرض ومات في ٢٤ آذار سنة ٨٠٩.

*** الأمين:**

إبن هارون الرشيد، تنازع السلطان مع أخيه المأمون، فبعث المأمون طاهراً على الجند، وقتل الأمين وأتى برأسه إلى أخيه المأمون.

واستمرت خلافة الأمين منازَعةً لسلطان أخيه ٤ سنين و٥ أشهر وخمسة أيام.

*** المامون:**

كانت مدة خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر سوى سنتين كان دُعي له فيها بمكة، وأخوه محصور في بغداد. كنيته: أبو العباس.

في عهده نشطت الحركة الفكرية والترجمة للكتب اليونانية نشاطاً كبيراً. إذ بعث إلى ملك الروم بكتب يونانية فلبّاه، وأسس بيت الحكمة سنة ٢١٧هـ ـ ٨٣٢م.

أرسل المأمون القاسم بن عيسى لقتال الديلم، وتمكن من فتح قلاعٍ عديدة، وأكمل بناء مدينة «كرج» التي كان أبوه هارون قد باشر بناءها قبل أن يموت.

اشترك المأمون ثلاث سنوات متعاقبة في حملات الصيف ضد البيزنطيين حتى التمس الإمبراطور «ثيوفيلوس» الصلح سنة ٨٣٢ عقب سقوط لؤلؤة أمنع الحصون البيزنطية قرب «طرسوس».

وتوفي المأمون سنة ٨٣٣ في البُدندون قرب طرسوس أثناء حملته الثالثة على البيزنطيين جراء مرضٍ أصابه.

* في أيام المأمون كَثُر إسلام الأتراك وظهر من خلال المعاملة الحسنة لهم.

* أراد المأمون تولية الإمام علي بن موسى الرضا خليفة على المسلمين، فنشب الخلاف بين بني العباس حول ذلك خوفاً من ذهاب الولاية والسلطان من سلالتهم، فدارت الفتن والمكائد لخلع المأمون من رياسته، والتخلص من الإمام الرضا عليه السلام.

والمشهور أن المأمون عمد إلى تولية الإمام الرضا عليه السلام بولاية العهد وولاَّه وقبِلَها الإمام مضطراً ومدركاً للمخاطر الكامنة وراء ذلك، وانتهى الأمر بسمِّه في شراب العنب الذي قدَّمه إليه المأمون.

وتوفي الإمام عليه السلام ودُفن قرب قبر هارون الرشيد.

* بويع المعتصم بالخلافة بعد موت المأمون، وهو أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد. وكان بدو علته أنه احتجم أول يوم في شهر المحرم واعتلّ بعدها ومات. كانت مدة خلافته ثمان سنين و٨ أشهر ويومين، ودُفن بسامراء.

* بويع الواثق بالله هارون بن المعتصم بالخلافة في اليوم الذي توفي فيه أبوه. وأمه أُم ولد رومية تسمى «قراطيس». كانت مدة خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام. وكان عمره يوم توفي ٣٢ سنة.

* بعد وفاة الواثق بالله بويع المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بالخلافة. وكانت مدة خلافته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وثلاثة أيام.

هدم قبر الحسين عليه السلام وأمر بالزرع عليه وحوله. وكان يكره علياً عليه السلام. وكان إبنه المنتصر يكره والده لهذا السبب، ولتقربه من بعض بني أمية. وكان له ضلع في قتل أبيه.

ندب المتوكل يعقوب بن السكّيت الإمام في العربية إلى تعليم أولاده، فنظر المتوكل إلى ولديه المعتز والمؤيد، فقال لإبن السكيت مَن أحبُّ إليك؟ ولداي هذان أم الحسن والحسين؟

فقال: والله إن قنبر خادم أمير المؤمنين لخير منهما. فأمر الأتراك فداسوا بطنه حتى مات.

* بعد قتل المتوكل (٨٦١) ودخول الأتراك والقائد وصيف التركي ـ الذي كان قد صادر المتوكل ممتلكاته ـ عليه القصر من باب الشط، تولى الخلافة من بعده إبنه المنتصر بالله. وكانت مدتها ستة أشهر ويومين. توفي وعمره ست وعشرون سنة بين مرضٍ وبين مسموم من قِبل الأتراك بمبضع مسموم لمعالجة المرض.

من بعض سيرته ردُّ «فَدَك» إلى وُلْدِ الحسن والحسين عليهما السلام، وأمْرِه الناس بزيارة قبر علي والحسين عليهما السلام وأمْنِهِ للعلويين يوم كانوا خائفين من أبيه أيام خلافته، وإطلاق وقوفهم.

بعد موت المنتصر بالله عيَّن الأتراك المستعين بالله (أحمد بن محمد بن المعتصم) إبن أخي المتوكل. حكم أربع سنوات ثم قُتل في كانون الثاني سنة ٨٦٦ إثر النزاعات المستمرة بين قادة جيش الأتراك الموالين لهذا ولذاك.

وفي رجب خلع المعتز أخاه المؤيد من ولاية العهد بعده، وآل الأمر بعد ذلك إلى قتله من دون أن يظهر عليه أثر من دم أو جرح.

ولثلاثٍ بقين من رجب خلع الأتراك المعتز، ولليلتين خلتا من شعبان ظهر موته، عندما اتفقت كلمة الأتراك، والمغاربة، والفراغنة على خلع المعتز، فعَذَّبوه، وأدخلوه سرداباً وجصَّصوا عليه فمات. كانت مدة خلافته أربع سنين وستة أشهرٍ وثلاثة وعشرين يوماً. وكان عمره أربعاً وعشرين سنة يوم مات.

* بعد موت المعتز بويع لمحمد بن الواثق. ولُقب بالمهتدي بالله. سعى عبثاً لاجتناب مصير أسلافه فقضى في معركة ضد موسى بن بغا أحد قادة جيش الأتراك، وهو لم يتم بعد السنة الأولى من ولايته.

* **صاحب الزنج**: دامت ثورته أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وستة أيام، وانتهت بحربٍ شنيعة طويلة على يد الحاكم العباسي الموفق، وابنه أبو العباس.

* مات الموفق بالله بن المتوكل من مرض أصابه (النقرس)[1] ثم صارت علة برجله فورمت؛ وأخذ يسيل منها ماء ثم توفي. وبايع القُواد إبنه أبا العباس بولاية العهد بعد الموفق ابن المعتمد الذي خلعه أبوه المعتمد على الله، وجعل ولاية العهد للمعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق، وشهدوا على الموفق أنه قد تبرأ من العهد، وصار الأمر للمعتضد.

* توفي المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن الموفق بعد أن اشتد

(١) داء النقرس هو الداء المعروف عادة بداء الملوك الناتج عن كثرة أكل اللحوم المتحول ماؤها إلى حمضٍ مترسبٍ في إبهام القدم، والمحدثِ للتورم فيها.

عليه مرضه، وكانت مدة خلافته سبع سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً. وتولى الخلافة من بعده المكتفي بالله (علي بن المعتضد) ولده.

* توفي المكتفي بالله أبو محمد علي بن المعتضد بالله أبي العباس عن مرضٍ، وكانت مدة خلافته ست سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوماً، وتولى الخلافة من بعده المقتدر بالله، أبو الفضل بن المعتضد.

* المقتدر بالله لم تطل مدة خلافته فقد اجتمع القُواد، والقضاة، والكُتَّاب مع الوزير العباس بن الحسن على خلع المقتدر والبيعة لابن المعتز، فأجابهم إبن المعتز لذلك، بدون سفك دماء، وتنازل المقتدر بالله عن الخلافة سلماً. لكنه عاد وليها بعد ذلك وقتله جنده مكشوف العورة. وكانت مدة خلافته أربعاً وعشرين سنة وأحد عشر شهراً وستة عشر يوماً.

* قُتل إبن المعتز بعصر خصيتيه وحصره واعتقاله في دار ابن الجصَّاص، وكان ناصبياً مغالياً كارهاً لعلي وأهل بيته ﷺ.

* بعد قتل المقتدر بالله ولي الخلافة أبو منصور محمد بن المعتضد الملقب بالقاهر بالله. دخل عليه أصحابه وهو مخمور للقضاء عليه خوفاً من أن يقضي عليهم هو أولاً. فقبضوا عليه ليلاً بعد أن فرّ منهم إلى سطح الحمام وأنزلوه بعد تهديده برمي سهمٍ عليه إن لم ينزل، فنزل، وخُلع عن الخلافة بعد أن سُمِّلت عيناه. وكانت مدة خلافته سنة واحدة وستة أشهر وثمانية أيام.

وبويع بالخلافة إلى أبي العباس أحمد بن المقتدر بالله الملقب

بالراضي بالله. وكان القاهر بالله قد حبسه وسألوا الخدم عن مكانه فدلوهم عليه وأخرجوه وبايعه القُواد والناس.

كانت مدة خلافته ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وكانت علته الإستسقاء.

* بعد موت الراضي بالله بويع بالخلافة إلى إبراهيم بن المقتدر الملقب بالمتقي بالله (٩٤٠ ـ ٩٤٤) ثم خُلع ومات في داره ودُفن فيها، وكان موته عن ستين سنة من العمر بعد فالجٍ أصابه.

ثم كانت الخلافة للمطيع لله (المستكفي بالله) (٩٤٦ ـ ٩٧٤). دعي لخلع نفسه من الخلافة وتسليمها لولده الطائع لله ففعل.

* عضد الدولة كانت ولايته بالعراق واستمرت خمس سنين ونصفاً. توفي بداء الصرع. وتولى الخلافة في العراق بعد إبنه صمصام الدولة، وولَّى هو أخاه شرف الدولة بلاد فارس.

* الطائع بالله (٩٧٤ ـ ٩٩١): حُمل إلى دار بهاء الدولة وأُشهد عليه بالخلع. وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة وثمانية شهور وستة أيام. حمل إلى القادر بالله (٩٩١ ـ ١٠٠٣) وبقي عنده إلى أن توفي. وما زاد أمر المطيع، والطائع، والقادر على كونهم مجرد ألعوبة وصنائع في أيدي البويهيين الذين حكموا فارس والعراق. وفي سنة ١٠٢٩ ظهر محمود بن سبكتكين التركي على مجد الدولة بن فخر الدولة البويهي.

* صمصام الدولة: قتله أبو نصر بن بختيار وقطع رأسه. وقال حيثما حُمل رأسه إليه: هذه سُنَّة سنَّها أبوك. يعني: ما كان من قتل

عضد الدولة لوالد بختيار. وكانت مدة إمارة صمصام بفارس تسع سنين وثمانية أيام.

* غزا الهند يمين الدولة محمود بن سبكتكين التركي بعد أن ملك خراسان، وأوقع بجيبال ملك الهند وقعة عظيمة أُسر فيها ثم أطلق سراحه. وكان من عادة الهند أنهم إذا وقع أحد منهم أسيراً في أيدي المسلمين لم ينعقد له بعدها رياسة، فلما رأى «جيبال» حاله بعد خلاصه، حلق رأسه ثم ألقى نفسه في النار فاحترق بنار الدنيا قبل نار الآخرة.

وأخضع محمود بن سبكتين بلاداً واسعة من الهند لسلطان الإسلام، وكان عنده من أصابع مِنْ هادنه مَن ملوك الهند كثير، إذ كان ذلك علامة الثقة عندهم.

* توفي بهاء الدولة أبو نصر بن عضد الدولة بن بويه وهو الملك آنذاك بالعراق. وكان مرضه توالي الصَّرع عليه مثل مرض أبيه. وكان ملكه أربعاً وعشرين سنة، وتولى الملك بعده إبنه سلطان الدولة أبو شجاع.

* ودخلت سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة وكانت قد حلّت الفتنة ببغداد بين السُّنة والشيعة واقتتلوا فيما بينهم، وخربت وحرقت دور وأسواق كثيرة. وذلك على عهد جلال الدولة وكان موالياً للسُّنة.

والتاريخ يعيد نفسه اليوم ورحم الله مَن دعا إلى وحدة المسلمين.

* تمَّ انقراض الخلافة العباسية على أيدي الأتراك العثمانيين الذين كانوا عساكر وقواد عند العباسيين، ومن ثم أصبحوا يخلعون خليفة

ويضعون آخر حسبما يشاءون مستغلين ضعف ونزاع بني العباس وتصارعهم فيما بينهم على السلطة حتى كثروا وسيطروا على الوضع وحكموا البلاد.

*** من فسوق العباسيين:**

يقول الصولي: إنَّ ما امتاز به الراضي في مجالس منادماته أنه كان يأمر بأن توضع بين أيدي الندماء الصواني عليها خماسيات المطبوخ، والمغاسل، وكيزان الماء، ليشرب كل واحد منهم ما يريد. وكان يأمر أن توضع بين أيديهم الفواكه الرطبة واليابسة، فينالوا منها كما ينالون في بيوتهم؛ بل يحكي الصولي أن الندماء كانوا يتبارون في الشرب بين يديه، فيُسَرّ بذلك، ويثيب عليه، ويقول: مَن زاد في شربه فإنما فعل ذلك سروراً بنا ونشاطاً لمجلسنا، وكان إذا شرب أحد المتبارين كأساً قبل صاحبه رفعها ليراها الراضي؛ وقد فعل اثنان منهما ذلك مراراً إلى أن ضجر الراضي، فقال: كأنها قوارير بول تدفع بين يدي طبيب[1].

وكان لكل سلطان من السلاطين إشارة لندمائه إذا أراد نهوضهم. وكانت نفقات دار الخلافة عظيمةً جداً. وجرت العادة منذ عام ٣٣٤هـ (٩٤٥م) أن تُنهب دار الخلافة بعد موت الخليفة أو خلعه حتى لا يبقى فيها شيء. **وقد ساعد الفسق والفجور على جعل منصب الخلافة مجرَّداً من السلطان الروحي والسياسي، وبالتالي مؤدياً إلى زوال الدولة العباسية، شأنها في ذلك شأن الدول الأخرى التي سارت على نفس المنوال والنهج الذي كان فيه هلاكها.**

---

(١) الأوراق للصولي: ص٧١، ٧٢.

الفصل الثامن

طرائف

الحجّاج

والده: يوسف بن عقيل الثقفي، الزوج الثاني لأمة الفارعة بنت همام، التي ولدته مشوَّهاً لا دبر له، فثُقب له دبر، وأبى أن يقبل الثدي وأعياهم أمره.

ويقال: إن الشيطان تصوّر في صورة الحرث بن كلدة حكيم العرب، فسأله عن ذلك، فأخبر مخبر من أهله بأمر الحجاج؛ فقال لهم: اذبحوا له تيساً، وألعقوه من دمه، وأولغوه فيه، ثم أطلوا به وجهه، ففعلوا ذلك، فقبل الثدي. وكان يخبر عن نفسه أن أكبر لذاته سفك الدماء. قتل بأمره ١٢٠ ألفاً، عدا عمن قتلهم في حروبه. وتقدَّم قتله لأجلاء الصحابة، منهم: كميل بن زياد ـ رحمة الله عليه. كان يحبس الرجال والنساء في موضع واحد، ولم يكن لحبسه سقف. وقيل للشعبي، أكان الحجاج مؤمناً؟ قال: نعم، بالطاغوت[١].

* حُكي أن هند ابنة النعمان كانت أجمل أهل زمانها، خطبها الحجاج وتزوجها، وجعل صداقها، وشرط على نفسه أن يدفع لها بعد الصداق ٢٠٠ ألف درهم، وانحدر معها في سفرٍ إلى بلد أبيها «المعرَّة»

---

(١) ذكره المسعودي في مروجه.

وأقامت معه فيها ما شاء الله، ودخل عليها مرَّة وهي تنظر في المرآة، وتقول:

وما هند إلا مهرةٌ عربية ... سليلة أفراس تحلَّلها بغلُ
فإن ولدت فحلاً فلّله درّها ... وإن ولدت بغلاً فقد جاء به البغل

فانصرف الحجاج راجعاً ولم يدخل بها، وبعث لها مع عبد الله بن طاهر الـ٢٠٠ ألف درهم تنفيذاً للشرط، وعلم بعد ذلك عبد الملك بن مروان خبرها فبعث كتاباً يريد خطبتها. فردت عليه: إن الإناء ولغ فيه الكلب. فكتب إليها: إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله ثلاثاً إحداهن بالتراب. فقبلت وشرطت عليه شرطاً، وهو أن يقود الحجاج محملها من بلدتها المعرَّة إلى مكان الملك، فقبل وضحك ضحكاً شديداً، وتجهزت وحُملت في المحمل، وقاده الحجاج ماسكاً زمام البعير. وطلبت من دايتها الهيفاء أن تكشف سُجُف المحمل، فوقع وجهها في وجه الحجاج، فأنشأ يقول:

فإن تضحكي مني فيا طولَ ليلةٍ ... تركتكِ فيها كالقباء المفرَّجِ

فأجابته:

وما نبالي إذا أرواحُنا سلمت ... بما فقدناه من مالٍ ومن نشبِ[1]
فالمال مكتسب والعزُّ مرتجع ... إذا النفوس وقاها الله من عطب

وظلَّت تضحك، وتلعب إلى أن قربت من بلد عبد الملك بن مروان، فرمت بدينارٍ على الأرض. ونادت يا جمَّال: لقد سقط منا درهم فارفعه إلينا.

---

(١) أي: خيل وإبل وغيره.

فنظر الحجاج إلى الأرض، وقال إنما هو دينار؛ فقالت: إنما هو درهم.

قال: بل دينار.

فقالت: الحمد لله! سقط منا درهم، فعوَّضنا الله ديناراً.

فخجل الحجَّاج وسكت. ودخل بها على عبد الملك وتزوجها، وكان من أمرها ما كان.

ويُذكر عن الحجَّاج أنه كان صاحب فصاحة لسان وبلاغة منطق لكن طاغوتيته، وكراهيته لأهل العراق بالخصوص، غطّت على فصاحته وبلاغته، وأوصمته بوصمة الدم والتاريخ الأسود.

* قال رجل لصاحب منزل: أصلِح خشب هذا السقف فإنه يقرقع. قال: لا تخف فإنه يسبح. قال: إني أخاف أن تُدركه رِقَّة فيسجد.

* قالت عجوز لزوجها: أما تستحي أن تزني ولك حلال طيب؟ قال: أمَّا حلال فنعم، وأما طيِّب فلا.

* قال ملك لوزيره: ما خير ما يُرْزَقُهُ العبد؟ قال: عقل يعيش به. قال: فإن عُدِمَه؟ قال: أدب يتحلى به. قال: فإن عُدِمه؟ قال: مال يستره. قال: فإن عُدِمه؟ قال: فصاعقة تحرقه وتريح منه العباد والبلاد.

* كان عمر بن يزيد الأسدي بخيلاً جداً، أصابه القولنج في بطنه فحقنه الطبيب بدهنٍ كثير فانحلَّ ما في بطنه في الطست، فقال لغلامه: إجمع الدهن الذي نزل من الحقنة وأسرج به.

* من رؤساء أهل البخل: محمد بن الجهم. قال له أصحابه يوماً

إنا نخشى أن نقعد عندك فوق مقدار شهوتك، فلو جعلت لنا علامة تعرفنا بها وقت استثقالك لمجالستنا، فقال: علامة ذلك أن أقول يا غلام هاتِ الغداء.

* اشترى غندر يوماً سمكاً، وقال لأهله: أصلحوه، ثم نام. فأكل عياله السمك ولطخوا يديه به، فلمَّا انتبه، قال: قدِّموا لي السمك. قالوا: قد أكلت، قال: لا. قالوا: شمَّ يدك. فشمَّها. قال: صدقتم ولكن ما شبعت!

* حكي عن بعض البخلاء أنه استأذن عليه ضيف وبين يديه خبز وعسل، فرفع الخبز وأراد أن يرفع العسل، فدخل الضيف من قبل أن يرفعه، فظن أن ضيفه لا يأكل العسل بلا خبز. فقال له: ترى أن تأكل العسل بلا خبز، قال: نعم، وجعل يلعق العسل لعقة بعد لعقة، فقال له البخيل: مهلاً يا أخي إنه يحرق القلب؟ قال: صدقت ولكنه يحرق قلبك[1].

* ادَّعى رجل النبوة في مدينة أصفهان في عهد المأمون، فسُئل عن آيته أو معجزته، فقال: مَن كان منكم له زوجة حسناء أو بنت جميلة أو أخت صبيحة فليحضرها إلي، أحبلها بإبنٍ في ساعة واحدة. فقال والي الخراج أبو الحسين بن سعد: أمَّا أنا فأشهد أنك رسول الله واعفني من ذلك.

وقال له رجل: نساء ما عندنا ولكن عندي عنز حسناء فأحبلها لي. فقام يمضي، فقيل له: إلى أين؟

---

(١) ذكر هذه الطرائف إبن أبي الحديد في شرح النهج.

قال: أمضي إلى جبريل، وأعرفه أن هؤلاء يريدون تيساً، ولا حاجة بهم إلى نبي، فضحكوا منه وأطلقوه.

*** رُبَّ ضارة نافعة:**

حُكي أنَّ الملك ناصر الدولة من آل حمدان كان يشكو وجع القولنج[1] حتى أعيا الأطباء داؤه، فدسُّوا على قتله، وأرصدوا له رجلاً ليقتله، فخرج عليه خلسةً، وضربه بالخنجر، فجاءت الضربة أسفل خاصرته مكان القولنج، فخرج ما فيه من الخلط فعافاه الله تعالى وبرأ، ورجع أحسن ما كان.

*** الحِيلة:**

بلغ عضد الدولة أن قوماً من الأكراد يقطعون الطريق، ويقيمون في جبالٍ شامخة لا يُقْدَر عليهم، فاستدعى بعض التجار ورفع إليه بغلاً عليه صندوقان فيهما حلوى مسمومة كثيرة الطيب، في ظروف فاخرة، ودنانير وافرة، وأمره أن يسير ويُظهر أن هذه هدية لأحد نساء الأمراء، ففعل ذلك، وسار أمام القافلة، فنزل القوم، وأخذوا الأمتعة والأموال، وعثروا على الحلوى، وأكلوها على مجاعة، فماتوا عن آخرهم.

---

(١) مرض معوي يعسر معه خروج الثفل والريح.

اتقاء الشر

قال الحجَّاج لزادان فروخ (الرحَّالة الفارسي) أخبرني عن العرب والأمصار.

فقال: أنا بالعجم أبصر مني بالعرب. قال: لتخبرني. قال: سلني عمَّا بدا لك. قال: أخبرني عن أهل الكوفة. قال: نزلوا بحضرة أهل السواد فأخذوا من مناقبهم ومن سماحتهم. قال: فأهل البصرة؟ قال: نزلوا بحضرة الخوز فأخذوا من مكرهم وبخلهم. قال: فأهل الحجاز؟

قال: نزلوا بحضرة السودان فأخذوا من خِفَّة عقولهم وطربهم. فغضب الحجَّاج؛ فقال زادان: أعزَّك الله لست منهم حجازياً، أنت رجل من أهل الشام. قال أخبرني عن أهل الشام.

قال: نزلوا بحضرة أهل الروم فأخذوا من ترفُّقهم، وصناعتهم، وشجاعتهم[1].

وبهذا أنقذ نفسه من ظلم الحجَّاج وتعسّفه، واتَّقى شرّه ممن ليس أهلاً لأن يغفر. ومن خير طرق الدفاع عن النفس اتقاءُ شرِّ الآخرين، فهو هدية يُدفع بها صدر شخصٍ شرير.

---

(١) عن معجم البلدان ـ ج١، ص٤٦ ـ ٤٩ الحموي.

الفصل التاسع

طوائف وحركات

* **ثورة الزَّنج:**

كانت أهم «حروب الأرقاء» في الشرق هي التي أثار عجاجها رجل عربي إسمه «علي بن محمد» الذي ادَّعى أنه من نسل علي بن أبي طالب زوج فاطمة بنت النبي، وثار ضد العباسيين، وسميت ثورته بثورة الزنج.

وظلت نار الثورة مشتعلة عشر سنين، سُيِّرت خلالها عدة جيوش لتقليم أظفاره، وعُرض على من يفرون من صفوف الثوار المال والعفو، فخرج على علي كثير من رجاله، وانضموا إلى جيوش الحكومة. ثم حوصر من بقي منهم، وضُيِّقَ عليهم الخناق.

وانتهى الأمر بأن دخل جيش يقوده الوزير الموفَّق إلى مدينة الثوار، وتغلب على ما لقيه من المقاومة، وقتل علياً وحمل رأسه إلى الوزير المنتصر. وسجد «الموفَّق» وضباطه شكراً لله على رحمته (٨٨٣).

ودامت هذه الثورة أربعة عشر عاماً حاق فيها الخطر بجميع المقومات الإقتصادية والسياسية في البلاد الشرقية الإسلامية.

وانتهز أحمد بن طولون والي مصر هذا الإضطراب فاستقل بأغنى ولايات الخلافة الإسلامية.

* **الدَّيْلم:**

طائفة من سكان الولايات الساحلية لبحر الخزر. كانوا يهاجمون بلاد المسلمين لفترة من الزمن. يتكلمون لغة من لغات الفرس. ولم يعم الإسلام الديلم إلا على يد الطالبيين وبالأخص على يد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب الملقب بالأطروش حين طرد آل العباس من منطقة طبرستان، وذلك سنة ٣٠١ ولُقب بناصر الحق. وبقي بينهم من ١٣ إلى ١٤ سنة يدعوهم إلى الإسلام حتى أسلم جمع كبير منهم، وبنى لهم المساجد. وكانت منطقة الدَّيْلم من أهم ملاجىء وملاذ آل أبي طالب منذ بداية عهد العباسيين، وازداد ورود الطالبيين إلى الديلم في عصر المتوكل الذي كان يكره كل طالبي وكل موالٍ لأمير المؤمنين علي عليه السلام.

* **السَّامانية:**

ظهرت السامانية في خراسان في القرن التاسع، ومؤسسها «سامان خوداه» أي: سيِّد قرية سامان في منطقة بَلخ. وهو فارسي اعتنق الإسلام أيام هشام بن عبد الملك (٧٢٤ ـ ٧٤٣).

والسَّامانيون من سلالة سامان خوداه، أول من أسسوا حكومات مستقلة في إيران بعد الإسلام وبذلوا المساعي لنشر اللغة الفارسية، ونَظْمِ الشعر بها. أمَّا البويهيون فلم يهتموا بالأدب الفارسي وشعره، بل كان اهتمامهم متجهاً نحو اللغة العربية وآدابها.

* **الطولونيون:**

في خلال فترة تضعضع الإمبراطورية العباسية، حكم أحمد بن

طولون «مصر». وكان والده مملوكاً تركياً من بخارى. وكان أن أصبح قائداً لحرس الخليفة أيام «المعتصم» وأعجب بأحمد الخليفة «المستعين» في سامراء، وعظمت منزلته عنده بعد خدمته بضع سنوات في طرسوس على الحدود البيزنطية. ومن ثم استأثر أحمد بالسلطان.

وبعد امتداد سلطان الطولونيين على مصر وبلاد الشام، توفي «الموفق» سنة ٨٩١ بعد عدم قدرته على انتزاع السلطان منهم فخلفه إبنه أحمد متخذاً لقب المعتضد بالله.

وعقد خمارويه حاكم مصر وبلاد الشام «الطولوني» صلحاً مع المعتضد بالله وزوَّجه ابنته. وآل أمر الطولونيين إلى الضعف بُعيد مقتله في دمشق أوائل سنة ٨٩٦. وشرعت جيوش القرامطة تعبث في سوريا فساداً، ثم سيطر «المكتفي بالله» خليفة «المعتضد» بالجيوش العراقية على مصر وسقطت منطقة بعد منطقة، وسيق أفراد أسرة أحمد بن طولون إلى بغداد.

*** القرامطة:**

نشأوا في العراق سنة ٨٩٠ في المنطقة المحيطة «بواسط» حيث أُخمدت ثورة الزنج قبل ذلك بقليل. هناك أنشأ رجل يدعى حمدان قرمط، مركزاً لأتباعه سمَّاه «دار الهجرة». والجماعة سميت بالقرامطة نسبة إلى لقبه «قرمط». وهي تدعو إلى السبعية، الإمام السابع من وُلد الإمام جعفر الصادق عليه السلام. إسماعيل بن جعفر، وتعتقد أن بعده سيظهر المهدي. واستغرق النضال ضد القرامطة طيلة عهد المكتفي بالله بن المعتضد، ثم اختير خليفة المقتدر بالله جعفر، وهو لا يزال في الثالثة عشرة، ثم خُلع وبويع عبد الله بن المعتز، ثم قُتل بعد اثني عشر يوماً من

استخلافه، قتله مؤنّس الخادم التركي أيام المعتضد ورجاله، ثم قدر المقتدر على قتل مؤنس، وقتل إبنه المُحَسَّن في ١٨ تموز سنة ٩٢٤.

* الأدارسة:

كان بَدءُ دولتهم: ١٧٢هـ (٧٧٨م) بعبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب﵇ الذي نجا من مجزرة «فخ» ومضى حتى وصل إلى المغرب في مدينة «وليلى» وبنى دولته هناك بعد مبايعة العشائر والقبائل له واحدة تلو الأخرى، وخصوصاً البربر الأشدَّاء.

* بنو حمدان:

ظلَّ العراق معظم القرن الرابع تحت حكم بني حمدان الذين لم يظهر بينهم بالأعمال العظيمة والفروسية إلا سيف الدولة صاحب حلب.

* العلويون الشيعة:

* كان لباس العباسيين أسوداً ورايتهم أيضاً سوداء عليها بالكتابة البيضاء: محمد رسول الله. وكانت ألوية العلويين بيضاء في كل منها صورة سبع من الديباج الأحمر، كما أن لباسهم كان أبيضاً. وقد عمل القرامطة والفاطميين على خدمة قضية العلويين، فأنشأوا دولة علوية في جبال فارس، وفتحوا مكة بعد منتصف القرن الرابع. وكان الأخشيد يخلف أباه محمد بن طغج على طبرية وكان أهلها شيعة حيث كتب الأخشيد إلى أبيه مرة ـ الذي أتى بالكثير من الأتراك إلى دولته ـ أنه: ليس له أمر ولا نهي مع أبي الطيب العلوي وجه البلد شرفاً، وملكاً وقوة، إذ هم أبناء علي الحقيقيون.

*** الحركة الوهّابية:**

يعتبر محمد بن عبد الوهاب مؤسس الحركة الوهّابية في السعودية اليوم.

ولد في نجد، من قبيلة تميم، ما بين أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر. درس في بغداد فقه إبن حنبل الذي كان ضد الأخذ بالرأي، كما درس مؤلفات إبن تَيْميَّة، معتقداً أن الإسلام الذي بين الأتراك مشوب بالمساوىء. وحرَّم تدخين التبغ، وزخرفة المساجد والأضرحة وغير ذلك دونما رحمة. وبدأت الحروب والإخضاعات بالتحالف مع محمد بن سعود ثم مع ابنه عبد العزيز، وانطلقت حركة الوهابيين بزعامة آل سعود إلى الوجود، ومحاربة الأتراك الذين كانوا محتلين للجزيرة العربية. وهاجموا سنة ١٨٠١ كربلاء وسقطت في ٢٨ نيسان في أيديهم وهدموا القبة التي تُظلل ضريح الحسينﷺ. وفي سنة ١٨٠٣ ثار الشيعة لكربلاء من عبد العزيز نفسه فصرعه رجل شيعي متقد الحماسة في مسجد الدَّرعية. وخرَّب الوهابيون القباب الضخمة التي كانت تُظلل قبر الرسول وجرَّدوها من النفائس التي تزينها. وهكذا انتهى الحجاز كله إلى سلطان الوهابيين بعد استعادة مكة ومحيطها وطرد الأتراك منها.

*** الحركة السنوسية:**

مؤسسها محمد بن علي، المولود في طُرُّش في الجزائر سنة ١٧٩١م، نشر طريقته في إفريقيا، وهي أخويَّة دينية. نزل في الجبل الأخضر بطرابلس الغرب سنة ١٨٣٤م، وبعد احتلال الإيطاليين لطرابلس الغرب شاركت الطريقة في النضال ضدهم.

وفي الحرب العالمية الأولى وقفت الحركة إلى جانب تركيا، وهدَّدت مصر عدة مرات. وخلدت إلى السكينة، بعد انتهاج تركيا المنهج العلماني.

*** طهماسب وعبَّاس إيران:**

كان طهماسب حين حكم إيران فاسقاً في أوائل شبابه، إلا أنه قلع عن شرب الخمر وهو في العشرين من عمره، وأمر بإغلاق الخمَّارات في البلاد إثر رؤية رآها قرَّعَهُ فيها الإمام علي الرضاﷺ. ولمَّا توفي طهماسب خلفه ابنه البكر محمد خُدابنده.

وانتهت إيران إلى ذروة قوتها في عهد عباس الكبير (١٥٨٨ ـ ١٦٢٩م).

ففي سنة ١٦٢٢ انتزع مضيق هرمز في الخليج الفارسي من أيدي البرتغاليين، وأنشأ قاعدة تجارية جديدة في ثغر «كمرون» خلع عليها إسم بندر عباس، ولمع في بلاط عباس: بهاء الدين العاملي، وكان عالماً متعدد الثقافة، كما ظهرت فلسفة الفيلسوف المتأله صدر الدين الشيرازي.

*** جمال الدين الأفغاني وحركته:**

فارسي، آثر الإنتساب إلى الأفغان لأسباب سياسية حيث قضى سني شبابه عام ١٨٧٠م فيها، اضطر بعدها لمغادرة الأفغان. وأول ما قصد استانبول، واستقبل استقبالاً ودِّياً من قبل الحكومة والأوساط العلمية وأثَّر تأثيراً كبيراً بما ألقاه من دروس ومحاضرات في الجامعة

المنشأة حديثاً. أُقصي فيما بعد عن العاصمة كمفكر حرّ. وانتقل إلى القاهرة حيث نشط في بعث روح التحرر من الإستعمار والعودة إلى الإسلام بروح علمية معاصرة. وبعد الإحتلال البريطاني نُفي إلى الهند وفي عام ١٨٨٣ ذهب إلى باريس حيث أصدر هو وتلميذه الشيخ محمد عبده مجلة «العروة الوثقى» الإسبوعية التي كانت عظيمة الأثر غير أنها لم تعش سوى فترة قصيرة.

اختلف الشاه ناصر الدين، وجمال الدين الأفغاني ورفض حكم الشاه المستبد، ورحل إلى استانبول بعد دعوة عبد الحميد له مع مراقبته له وحذره منه. توفي جمال الدين في ٩ آذار سنة ١٨٩٧ في نِشان طاش. وأبى السلطان عبد الحميد تسليمه إلى الحكومة الفارسية.

*** الأيوبيون:**

ظهروا في سوريا ـ حلب ـ حين تولى صلاح الدين الأيوبي سلطان الحكم فيها. حرَّر بين المقدس ـ فلسطين ـ من أيدي الصليبيين بعد توقيع اتفاق هدنة مع ريتشارد (قلب الأسد) ملك إنكلترا أدَّى فيما بعد إلى تحويل فلسطين إلى حاضرة إسلامية تحت حكم المسلمين بعد نقض شروط الهدنة من قِبل بعض قادة الصليبيين، واعتدائهم على قافلة الحجاج المسلمين الذاهبين إلى الحج، وقتلهم عند مرورهم من الطرق المتفق على أمانها لدى الفريقين. وذكروا في أمر الإتفاق بين صلاح الدين والملك ريتشارد أنه:

أبحر جيش ريتشارد المؤلف من النورمان الفرنسيين ـ لأن الإنكليز لم يشترك منهم في الحروب الصليبية إلا القليل ـ من مرسيليا، وأبحر جيش

فيليب من جنوى والتقيا في صقيلة (١١٩٠) وبلغ عكا في حزيران عام ١١٩١ بعد أن كان فيليب قد سبقه إليها. ودام حصار عكا ١٩ شهراً هلك فيها آلاف من المسيحيين، ثم عُقد اتفاق بين صلاح الدين الكردي الأصل والملك الإنكليزي، وعرض ريتشارد أن يزوج أخته جوان للعادل أخي صلاح الدين، ولكن الكنيسة عارضت هذه الفكرة فتخلى عنها.

والتقى جيشه بجيش صلاح الدين عند أرسوف (١١٠١) ولكن ريتشارد سحب جيشه إلى داخل أسوار يافا. وفي أيلول عام ١١٩٢ وقَّع الإثنان شروط صلح يدوم ٣ سنين، وقسِّمت فلسطين قسمين، فاحتفظ ريتشارد بجميع ما فتحه من المدن الممتدة على طول الساحل من عكا إلى يافا، مع حرية التنقل للمسلمين والمسيحيين من أحد القسمين إلى الآخر، وتعهَّد صلاح الدين بحماية الحجاج المسيحيين إلى بيت المقدس على أن تبقى المدينة في أيدي المسلمين. وعاد الجنود الألمان إلى بلادهم، وكثيراً ما كان الجنود الفرنسيون يعصون أمر الملك الإنكليزي، واستسلم الجنود المسيحيون للخمول، والترف، والخمور، والنساء، وحدث الشقاق في معسكرهم، وأُبلغوا أن الآبار التي في طريق بيت المقدس قد سُمِّمت، وكان ريتشارد قد سئمت نفسه، ويأس قلبه، وانسحب إلى عكا، وعقد الصلح مع صلاح الدين ثم قفل راجعاً إلى بلاده.

مات صلاح الدين عام ١١٩٣ ولم يتجاوز الـ ٥٥ سنة.

*** الظاهر بيبرس (المماليك):**

كان أعظم سلاطين المماليك، وكان مملوكاً تركياً، رفعه دهاؤه،

وشجاعته، وبسالته في القتال إلى منصب القيادة في الجيش المصري. وهو الذي هزم الملك لويس التاسع ـ ملك فرنسا ـ عام ١٢٥٠، وهزم الصليبيين تحت قيادة «قطز» في معركة عين جالوت. وقاتل «الظاهر بيبرس» الصليبيين في عدة معارك وانتصر عليهم فيها كلها. ويصفه مؤرخ مسيحي معاصر له: «إنه كان في السلم معتدلاً، عفيفاً، عادلاً بين شعبه، رحيماً برعاياه المسيحيين».

أحسن تنظيم حكومة مصر، وأنشأ لها جيشاً وأسطولاً قويين، وأصلح مرافئها، وطرقها، وقنوات ريِّها وشاد المسجد المسمَّى بإسمه اليوم في القاهرة.

ثبَّت دعائم حكم خلفائه من بعده، وبقوا محتفظين بالملك حتى غلبهم الأتراك العثمانيون عام ١٥١٧.

*** اليهود:**

في بلاد الإسلام والمسيحية عاش اليهود مميّزين أنفسهم عن سائر الشعوب، ولم يختلطوا بها ثقافة، ولا زواجاً، ولا ديناً، ورغم الإضطهادات الشديدة التي عانوا منها على أيدي المسيحيين بالخصوص، إلا أنهم عاشوا بأمانٍ وسلامٍ في بلاد المسلمين إلى أن استطاعوا آخر الأمر ـ وقد واتتهم الظروف ـ من بناء الجسور مع الغرب، وإنشاء الكيان الصهيوني لهم في فلسطين.

الفصل العاشر

الشيعة وسابق الزمان

أول الأمر

كانت الشام أول الأمر تربةً غير صالحة لدعوة العلويين ويُحكى أن أبا عبد الرحمن النسائي (٢١٥ ـ ٣٠٣) دخل دمشق، وكان يتشيَّع، فسُئل عن معاوية وما رُوي من فضائله، فقال: ما أعرف له فضيلة إلا «لا أشبع الله له بَطناً»، فما زالوا يدفعونه حتى أخرجوه من المسجد وداسوه ثم داسوه، ثم حُمل إلى الرملة، فمات وهو منقول بسبب ذلك الدَّوْس[١]. وكان أهل طبرية ونصف نابلس وقَدَس وأكثر عمان شيعة[٢].

ووجد الرحَّالة الفارسي ناصر خسرو أهل طرابلس في عام (٤٢٨هـ ـ ١٠٣٧م) شيعة[٣].

وكانت جزيرة العرب شيعة كلها عدا المدن الكبرى، مثل: مكة، وتهامة، وصنعاء، وقُرح، وكان للشيعة غلبةٌ في بعض المدن أيضاً، مثل: عمان، وهجر، وصعدة[٤]. وفي بلاد خوزستان التي تلي العراق كان نصف الأهواز، وهي القصبة، على مذهب الشيعة[٥].

---

(١) الوفيات لإبن خلكان ج١، ص٣٧، وطبقات السبكي: ج٢، ص٨٤.
(٢) المقدسي: ص١٧٩.
(٣) ناصر خسرو ص٤٢.
(٤) مقدسي: ص٩٦.
(٥) نفس المصدر السابق، ص٤١٥.

أمَّا في فارس فكان الشيعة كثيرين على السواحل التي تتصل اتصالاً وثيقاً بالعراق وخصوصاً بالعرب المتشيعين[1].

وكان غلوّ أهل قُمّ موضع كثير من النوادر «. . . ومن ظريف ما يحكى أنه وُلي عليهم والٍ، وكان سُنيّاً متشدِّداً، فبلغه عنهم أنهم لبغضهم الصحابة الكرام لا يوجد فيهم مَن إسمه أبو بكر قط ولا عمر، فجمعهم يوماً وقال لرؤسائهم: بلغني أنكم تبغضون صحابة رسول الله ﷺ، وأنكم لبغضكم إياهم لا تسمون أولادكم بأسمائهم، وأنا أُقسم بالله العظيم لئن لم تجيئوني برجل منكم إسمه أبو بكر أو عمر، ويثبت عندي أنه إسمه، لأفعلنَّ بكم ولأصنع؛ فاستمهلوه ثلاثة أيام وفتشوا مدينتهم، واجتهدوا فلم يروا إلاَّ رجلاً صعلوكاً حافياً عارياً أحوَل أقبح خَلْق الله منظراً، إسمه أبو بكر، لأن أباه كان غريباً استوطنها فسمّاه بذلك؛ فجاءوا به، فشتمهم، وقال: جئتموني بأقبح خلق الله تتنادون عليّ! وأمر بصفعهم، فقال له بعض ظرفائهم: أيها الأمير! إصنع ما شئت، فإن هواء قُمّ لا يجيء منه مَن إسمه أبو بكر أحسن صورة من هذا؛ فغلبه الضحك وعفا عنهم. . .»[2].

أما أصفهان فقد كان في أهلها بَلَه وغُلوّ في معاوية على عهد المقدسي؛ ويحكي المقدسي أنه وُصف له رجلٌ بالزهد والتعبُّد، فقصده ليسائله، فرآه يقول إن معاوية نبيٌّ مُرْسَل، فلما أنكر المقدسي عليه ذلك أصبح يشنِّع عليه، ولولا أن القافلة أدركته لبطشوا به[3].

(١) نفس المصدر السابق، ص٤٣٩.
(٢) معجم البلدان لياقوت الرومي ج: ٤، ص١٧٦.
(٣) المقدسي، ص٣٩٩.

وكانت أصفهان تخالف قُمّ كل المخالفة؛ ففي عام ٣٤٥هـ ـ ٩٥٦م وقعت فيها فتنة كبيرة نشأت عن اختلاف المذاهب؛ وكان سبب ذلك أنه قيل عن رجل قُمّي أنه سبَّ بعض الصحابة، فثار أهل أصفهان، واجتمع خلق لا يُحْصَون كثرة، ووقع بينهم قتلى، ونهب أهل أصفهان، أموال التجار من أهل قمّ(١).

ويُروى أنَّ عوانة بن الحكم المتوفى عام (١٤٧هـ ـ ٧٦٤م) كان يضع أخباراً لبني أمية، وعامة أخبار المدائني مأخوذة عنه(٢).

ويحكي المقدسي: أنه كان يوماً بجامع واسط، وإذا برجل قد اجتمع عليه الناس، فدنا منه، فإذا هو يروي حديثاً بسنده عن النبيﷺ: إنَّ الله يُدْني معاوية يوم القيامة، فيُجْلِسه إلى جنبه، ويغلّفه بيده، ثم يجلوه على الناس كالعروس، فقال له المقدسي: بماذا؟ قال: بمحاربته علياً، فقال له المقدسي: كذبت يا ضالّ! فقال: خذوا هذا الرافضي؛ فأقبل الناس عليه، فعرفه بعض الكتبة ودفعهم عنه.

وكذلك حكى المقدسي أنه كاد يُبطش به لأنه أنكر على رجل من عُبّاد أصفهان قولَه إن معاوية نبيٌّ مرسل(٣).

وكانت في الغرب على الحدود بين الجزائر وتونس توجد

---

(١) إبن الأثير ـ ج٨، ص٣٨٨.

(٢) المقدسي ـ ص١٢٦، ويحكي المسعودي (المروج ج٥ ص١٤) أن قبر معاوية بالباب الصغير بدمشق، وهو يُزار إلى هذا الوقت «وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة، وعليه بيت مبنى يفتح كل يوم اثنين وخميس». أما اليوم ١٤٢٨هـ(٢٠٠٨م) وقد تغيرت النظم والأحوال فلا أحد يزوره، وقبره شبه خربة في غرفة مقفلة.

(٣) المقدسي ص٣٩٩؛ والمنتظم ص٦٠ ب.

أيضاً مدينة نفطة، وجميع أهلها شيعة؛ وكانت تسمى الكوفة الصغرى[1].

وكانت بغداد العاصمة التي تضم جميع الحركات الروحية في مملكة الإسلام. وكان فيها لجميع المذاهب أنصار. ولكن أكبر حزبين كانا فيها في القرن الرابع الهجري هما الحزبان المتشدِّدان في التمسك بمذهبهما، وهما الحنابلة والشيعة[2]؛ وكان أنصار الشيعة يسكنون بنوع خاص حول سوق الكرخ، ولم يتعدّوا الجسر الكبير ويحتلّوا باب الطاق إلا في أواخر القرن الرابع الهجري[3]. على أن ياقوتاً وجد أن أهل محلة باب البصرة ـ بين كرخ بغداد والقبلة ـ كلهم سنّية حنابلة، وعن يسار الكرخ وفي جنوبها سنّية. أما الكرخ فأهلها كلهم شيعة إمامية لا يوجد فيهم سنّي البتة[4].

وحول رأس الحسين عليه السلام يقول المقريزي: إن رأس الحسين حُمل من عسقلان إلى القاهرة ووصل إليها في عام ٥٤٨هـ ـ ١١٥٣م[5]. لكن المشهور أنَّ رأسه عليه السلام دُفن مع جسده الشريف. وفي عام ٣٩٩هـ ـ ١٠٠٩م توفي أبو العباس الكافي الوزير بالريّ، وكان قد أوصى قبل موته أن يُدفن في مشهد الحسين؛ فكتب إبنه إلى العلويين أن يبيعوه تربة بخمسمائة دينار، فقال الشريف إذ ذاك: هذا رجل التجأ إلى جوار

(١) «المغرب» في ذكر بلاد إفريقية في المغرب للبكري طبعة الجزائر ١٨٥٧ ص٧٥.
(٢) المقدسي ـ ص١٢٦.
(٣) كتاب الوزراء ص٣٧١.
(٤) ياقوت: معجم البلدان: ج٤، ص. ٢٥٥
(٥) الخطط للمقريزي: ج١، ص٤٢٧.

جدّي، ولا آخذ لتربته ثمناً؛ وأُعطيَت للرجل تربةٌ من غير أن يدفع شيئاً[1].

ويذكر إبن بطوطة في القرن الثامن الهجري: أن القبر كان يُغَطّى بقماش تاريز، وحوله شموع مضاءة[2]. ثم إن عميد الدولة بن بويه بنى على قبر علي الرضا عليه السلام بطوس حصناً ومسجداً لم يكن بخراسان أحسن منه[3].

وحوالي عام ٣٥٠هـ ـ ٩٦١م وقعت فتنة عظيمة ببغداد بسبب نزاع علوي وعباسي، فقبض الوزير المهلبي على كثير من مثيري الفتنة من العباسيين، وجعلهم في زوارق مطبقة مسمَّرة، وأنفذهم للحبس في بعض مدن العراق، فكانوا هناك حيث مات كثير منهم، ثم أطلق الباقون بعد موت المهلبي[4].

ثم جاء الوقت الذي يترقبه العلويون بعد طول انتظار ونفاذ صبر؛ فأخذ نجمهم في الصعود في كل مكان، على حين بدأ أمر العباسيين في الضعف؛ فيقول المقدسي في كلامه عن إقليم خراسان مثلاً: وأولاد علي رضي الله عنه فيه على غاية الرفعة، ولا ترى فيه هاشمياً إلا غريباً[5]؛ وأوجد القرن الرابع الهجري، الظروف التي جعلت العلويين هم الذين يمثلون أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم.

---

(١) الإرشاد لياقوت، ج١، ص٦٨.
(٢) إبن الأثير ـ ج٩، ص٢٠٩.
(٣) المقدسي، ص٣٣٣.
(٤) كتاب الوزراء: من ٣٣١ ـ ٣٣٢.
(٥) المقدسي ـ ص٣٢٣.

وقد عمل الجميع من قرامطة، وفاطميين على خدمة قضية العلويين، فأنشأوا دولة علوية في جبال فارس، وفتحوا مكة بعد منتصف القرن الرابع، وجعلوها عاصمة البلاد المقدسة، واستطاعوا بدهاء أن يستغلوا المنافسة الشديدة القائمة بين القاهرة وبغداد لمصلحة هذا المركز الجديد(١).

وكان الملوك الجدد في الغرب والشرق ـ وهم الحمدانيون والبويهيون ـ على مذهب الشيعة؛ وكان ازدياد التكريم للنبي ﷺ مما أسبغ على أبنائه تكريماً كبيراً. ويُحكى أن كافور الأخشيدي كان يوماً في موكب، فسقط منه سوطه؛ فناوله إياه أحدُ الشرفاء، فقبل يده شكراً، وقال له: نعيتَ إليَّ والله نفسي، فما بعد أن ناولني ولد رسول الله ﷺ سوطي، غايةٌ يُتَشَرَّف لها؛ فمات عن قريب(٢). وكان الأخشيد يخلف أباه طغجا على طبرية، وكان أهلها شيعة؛ وكان بها أبو الطيب العلوي وَجْهَ البلد شرفاً وملكاً وقوة؛ فكتب الأخشيد لأبيه يذكر أنه ليس له أمر ولا نهي مع أبي الطيب(٣).

وكان الأخشيد بريئاً من كل تحيّز فأحضر عبد الله بن طباطبا والحسين بن طاهر بن يحيى إلى مجلسه، «وكانا لا يفارقانه، هذا حسني وهذا حسيني، وبينهما عداوة الرياسة والاختصاص»(٤). والحسين بن طاهر هو الذي أرسله الأخشيد إلى سيف الدولة ليفاوضه

(١) المُغْرِب لإبن سعيد ـ ص٦.
(٢) نفس المصدر: ص٤٧.
(٣) نفس المصدر: ص٦.
(٤) نفس المصدر: ص١٨.

من أجل السلام وتحديد الحدود بينهما[١]؛ وهو الذي سَفَرَ[٢] أيضاً بين الأخشيد وبين إبن رائق في الصلح، حينما جاء ابن رائق مهاجماً لمصر في عام ٣٢٧هـ ـ ٩٢٩م[٣]. وكان الحج قد تعطل منذ عام ٣١٧هـ حتى عام ٣٢٧هـ لاعتراض القرامطة؛ فكاتبهم أحد العلويين، وكانوا يخشونه لشجاعته وكرمه، حتى انتهى الأمر بتسهيل سبيل الحج[٤]. وكذلك كان العلويون هم الذين يتوسطون عادة فيما يقوم من خصومات في بيوت الشيعة من بني حمدان وبني بُوَيْه؛ وإذا عرفنا ما كان يعود على العلويين من هذا التوسط، استطعنا أن نستنبط مقدار ما لحقهم من الخسارة حينما اضطرتهم حكومة بغداد أن يحدّدوا موقفهم بإزاء الفاطميين، وأن ينبذوهم ولا يعتبروهم من أبناء علي الحقيقيين. وفي سنة ٤٠٣هـ ١٠١٢م صدر كتاب من الأمير بهاء الدولة بأن يضاف إلى الرضي الموسوي النظر في أمور جميع الطالبيين بجميع البلاد، وجعله نقيب النقباء، ولم يبلغ ذلك أحد من أهل البيت[٥].

وخُلع على الرَّضي السواد، فكان أول طالبي لبس السواد على زي العباسيين[٦].

*** عين من أعيان الشيعة:**

كان الشريف الرَّضي سيّداً كبيراً، منحدراً من شجرة عظيمة عريقة النسب، وكان أبوه نقيباً للعلويين جميعاً، فلمَّا مات في سنة ٤٠٠هـ ـ

---

(١) نفس المصدر: ص٤٢.
(٢) كان سفيراً.
(٣) نفس المصدر: ص٢٥.
(٤) المنتظم: ص١٦٠.
(٥) إبن الأثير ـ ج٩، ص١٧٠، والمنتظم ـ ص١٥٨، ب
(٦) ديوان الرَّضي ـ ص٣. طبعة بيروت ١٣٠٧هـ ـ ص٣.

١٠٠٩م تولى الرضي منصب أبيه وجميع ما كان يتقلده ويُعهد به إليه، وإن لم يكن الشريف أكبر إخوته. وكانت داره مثال الأبهة في المظهر، وقد اتخذ داراً لطلبة العلم سماها دار العلم، وهيأ لهم فيها ما يحتاجون إليه[١]. وكان الرضي مشهوراً بأنه لا يقبل من أحد شيئاً.

وقد رفض مرة هدية من وزير[٢]؛ وكان فخوراً بأنه قاضٍ على من تحت أمره من العلويين؛ وكان ينسب إلى الإفراط في معاقبة الجاني منهم، وله في ذلك حكايات مشهورة؛ منها أن امرأة علوية شكت إليه زوجها، وأنه يقامر بما يتحصل له من حرفة يعانيها، وأن له أطفالا، وهو ذو عيلة وحاجة؛ وشهد لها من حضر بالصدق فيما ذكرت؛ فاستحضر الرجل، وأمر به فبُطح، وأمر بضربه؛ فما زال يضربه، والمرأة تنتظر أن يكف، والأمر يزيد، حتى بلغ ضربه مائة خشبة، فصاحت المرأة: وايُتم أولادي! كيف تكون صورتنا إذا مات! فكلمها الشريف بكلام فظ، وقال: ظَنَنْت إنكِ تشكينه إلى المعلم[٣]! وكان الشريف الرضي أول عظيم من عظماء العلويين ألقى سلاح النضال، وغيَّر لباس السواد بلباس البياض على الرسم العباسي للعمال، ورجال الخلافة تاركاً الشعار الذي كان يلبسه آباؤه بكبرياء يوازي ما كانوا يشعرون به من حزن. وهو يشير في بعض شعره إلى أن حذره راجع إلى شيء من الكآبة والهم التي انطوت عليه نفسه؛ فهو يقول مثلاً[٤]:

---

(١) ديوان الرضي ـ طبعة بيروت ١٣٠٧هـ، ص٣.
(٢) نفس المصدر ـ ص٢، ٣.
(٣) ديوان الشريف الرضي ـ ص٣ وص٩٢٩.
(٤) ديوان الرضي ـ ص٥٠٥، ٥٠٦.

أروم انتصافي من رجالٍ أباعد ... ونفسي أعدى لي من الناس أجمع

ويقول:

إذا لم تكن نَفْسُ الفتى من صديقه ... فلا يحدثن في خلة الغير مطلبا

ويقول:

وقالوا: تعلّل[1]! إنما العيش نومة ... تقضى، ويمضي طارقُ الهم أجمع

ولو كان نوماً ساكناً لحمدته ... ولكنه نوم مروع مفَزَّع

ولم يكن يخرج من فم هذا الرجل النبيل كلمة واحدة من الكلمات القبيحة التي يتلفظ بها العامة.

وإذا كان غيره من الشعراء قد استباحوا لأنفسهم في الذم كل قبيح فإننا لا نجد للشريف الرضي في باب الهجاء أقوى من ذمّهِ لمغنٍ باردٍ، قبيح الوجه[2]:

تغفى بمنظره العيون إذا بدا ... وتقيء عند غنائه الأسماع

. . . .

أشهى إلينا من غنائك مسمعاً ... زجل الضراغم بينهن قراع

وتراه يقرض الشعر في عيد يوم النيروز، وعيد الفطر، وبشهر رمضان، وبانتهاء شهر الصوم، وبالتهنئة بمولد بنت أو ولد، ويمدح الخلفاء، والسلاطين والوزراء، وبرثاء من يموت من العظماء أو من المقربين إليه، وخصوصاً برثاء الحسين عليه السلام في يوم استشهاده، وهو يوم عاشوراء. ويفتخر بأهل البيت وبالأشراف، ويشكو الزمان

---

(١) تلهى، وتسلّى.

(٢) ديوان الرضي ـ ص٥٠٤.

والشيب. وقد شكى المشيب وهو صغير، عندماحلق مقدّم رأسه مرة وفاء بيمين، فوجد شعراً أبيض، وكان إذ ذاك في العشرين من عمر.

ويعتبر الشريف الرضي في تاريخ الأدب العربي سيد أصحاب المراثي[1].

وفي سنة ٣٩٢هـ - ١٠٠٢م فقد الشريف الرضي أستاذه وصديقه إبن جنّي اللغوي المشهور، وقد بدأ رثاءه له بالشكوى من الفناء، وهو يقول[2]:

كأنا قذى يرمي به السيل كلما ... تطاوح ما بين الربى والأبارق

ثم يمضي مكثراً من تساؤله أين؟ مثل قوله:

فأين الملوك الأقدمون تساندوا ... إلى جذم أحساب كرام المعارق

ويعد هذا يمضي؛ فيقول:

فمن لأوابي القول يبلو عراكها ... ويحذفها حذف النبل الموارق
إذا صاح في أعقابها اضطردت له ... ثواني بالأعناق طرد الوسايق
وسوّمها مُلس المتون كأنها ... نزائع من آل الوجيه ولاحق
تغلغل في أعقابهن وسومه ... بأبقى بقاء من وسوم الأيانق
ومن للمعاني في الأكمة ألقيت ... إلى باقر غيب المعاني وفاتق
يطوح في أثنائها بضميره ... مرير القوى ولأّج تلك المضايق
تسنم أعلى طودها غير عاثر ... وجاوز أقصى ضحضها غير زالق

---

(١) يتيمة الدهر ج٢، ص٣٠٨.
(٢) ديوان الشريف الرضي - ص٥٦٤.

ورغم أن الشريف الرضي كان يقيم ببغداد عاصمة المملكة، فإنه تجاوز حياة المدن، ومضى في شعر الفروسية، والحرب، والصحراء، والجمال، وكرام الخيل.

على أن الكثير من شعره ثمرة لتجربته الخاصة أحس به إحساساً عميقاً، وعبر عنه تعبيراً صادقاً. ومن غرر قصائد الشريف الرضي القصيدة التي ألقاها في مجلس الخليفة القادر، حينما جلس يحتفل بالحجيج من أهل خراسان، ومطلعها[1]:

لمن الحدوج تهزّهن الأيْنُق ... والركب يطفو في السراب ويغرق
يقطعن أعراض العقيق فَمُشْئِمٌ ... يحدو ركائبه الغرام ومُعرق
أبقوا أسيراً بعدهم لا يفتدى ... مما يجن وطالباً لا يلحق
يهفو الولوع به فيطرف طرفه ... ويزيد جولان الدموع فيطرق

ومن قصائده بامرأة جميلة في قافلة تسير ليلاً:[2]:

طلعت والليل مشتمل ... سابغ الأذيال والأزر
من خصاصات الغبيط، وقد ... غرّد الحادي على أقر
ورقاب القوم مائلة ... من بقايا نشوة السهر
فاستقاموا في رحالهم ... يتبعون الضوء بالنظر
فامترينا، ثم قلت لهم: ... ليس هذا مطلع القمر

وهكذا نجد الشريف الرضي في الناحية التي نبغ فيه أستاذاً لكل القرون التالية للأدب العربي.

---

(١) ديوان الشريف الرضي ـ ص٥٤١.

(٢) نفس المصدر المتقدم ـ ص٣٩٤.

*** ابن تيمية:**

هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحرَّاني. حرَّم زيارة القبور، وتقبيلها، ومسَّها، والإستشفاع بمن دُفن فيها حتى على مَن زار قبر النبي ﷺ وتبرك به بتقبيلٍ أو لمس، وجعل ذلك من الشرك بالله العظيم.

توفي عام ١٣٢٩ في سجن دمشق إثر فتوى بالطلاق أصدرها في مسألة بعد سجنه أول مرَّة لمدة خمسة أشهر زمن الملك الناصر (المماليك) الذي كان قد أنقذه قبلها من سجن مصر لفتوى أصدرها لم تلق قبولاً لدى القضاء الشافعي آنذاك. فأخذه للتدريس عنده في دمشق على المذهب الحنبلي. وبعد وفاته بأربعمائة سنة أخذت الوهابية بآرائه.

لقد علم كل مسلم من خلال سيرة رسول الله ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ كان يقبِّل الحجر الأسود في حجه أو عمرته ويستلمه ويلمسه بيده. وكان يزور قبور المؤمنين والشهداء والصالحين ويُسلم عليهم.

وجرت سيرة الصحابة والتابعين على ذلك بعده ﷺ إلى أن أتى ابن تيمية وأفتى بما أفتى في ذلك علماً ـ بعد التحقق ـ بأن الذين يأتون بأعمال اللمس والتبرك، والإستشفاع برسول الله والأئمة الطاهرين، والأولياء الصالحين هم مؤمنون بالله موحِّدون له، لا يقصدون بأعمالهم تلك ولا أدنى شرك، وهل التعظيم والتبرك شرك؟ وهل التوسل بما هم شفعاء عند الله ليشفعوا لهم عنده شرك أيضاً؟

الفاطميون

كانت نشأة الدولة الفاطمية أيام الخلافة العباسية، وذلك بانفصال الدعاة لها بمصر عنها. وكانوا قد انبثوا من العراق محبِّذين الإنفصال لظلم العباسيين.

* كان المعز لدين الله الفاطمي (أبو تميم معد) رابع الخلفاء الفاطميين في المغرب وأولهم في مصر. ولد في المهدية عاصمة الدولة الفاطمية في المغرب. تولى الخلافة بعد أبيه المنصور بنصر الله وهو فتى في الرابعة والعشرين من العمر.

وفي عهده كانت تُقام عاشوراء، والإحتفال بيوم الغدير في الثامن عشر من ذي الحجة، كأعظم يومين مشهودَين.

توفي المعز لدين الله الفاطمي العلوي الحسيني عن عمر ٤٥ سنة بمرضٍ أصابه. وكانت مدة ولايته ٢٣ سنة و٥ أشهر وعشرة أيام.

تولى الخلافة من بعده إبنه العزيز بالله، ثم أخذ حكم الفاطميين في الضعف أيام المنتصر (١٠٣٦ ـ ١٠٩٤م)، وهو إبن أمة سودانية. وأقام هذا الخليفة سرادقاً فخماً يقضي فيه أوقات متعته، وعاش عيشة

الفاسقين، بالموسيقى، والخمر، واللذة. وثار عليه جنوده الأتراك في عام ١٠٦٧م.

ولما توفي المستنصر تمزقت أوصال الدولة الفاطمية، وانقسم جيشها الذي كان من قبل قوياً إلى شيع متنازعة من بربرٍ، وسودانيين وأتراك. وكانت إفريقية ومراكش قد انفصلتا عنها، وثارت عليها فلسطين، وضاعت منها بلاد الشام. ولمّا أن خلع صلاح الدين آخر الخلفاء الفاطميين في عام ١١٧١م كانت آخر أسرة من الأسر التي حكمت مصر، والتي ساقها الإنغماس في الملذات إلى ما ساقها إليه سابقاتها من الدول، من الضعف والزوال.

* في ٩٧٠ ـ ٩٧٣ أنشأ الجامع الأزهر جوهر الصقلي ـ وهو عبد مسيحي اعتنق الإسلام ـ القائد الذي فتح مصر للفاطميين.

* كانت الدولة الفاطمية على المذهب الإسماعيلي، ومن ثم جاء النزاريون.

والنزاريون نسبة إلى نزار أحد أولاد الخليفة المستنصر الفاطمي، حيث بعد وفاته حصل الإنشقاق الخطير في الدولة الفاطمية، فكان البعض يرى أن المؤهل لولاية العهد هو نزار بن الخليفة المستنصر لا أخوه أبو القاسم أحمد. ويقولون: إن الحسن بن الصباح كان في مصر ومن الدعاة إلى ولاية العهد إلى نزار، ففر إلى قلعة الموت من مصر حيث هناك كان ملجأه مع فدائييه والدعاة إلى نزار. والدعوة النزارية تبدلت فيما بعد إلى حركة ذات عقائد باطنية خاصة انحرفت عن خط الإسماعيلية.

والباطنية هي صفة الإسماعيليين النزاريين، ولا يصح أن تطلق على الفاطميين. وقد أُطلق على النزاريين إسم الحشاشين نسبة إلى الحشيش المعروف، الذي ـ كما يُدَّعى ـ كانوا يأخذونه للإستبسال والشجاعة، وهو افتراء وكذب. وأصل هذه الفرية هو ما ذكره الرحالة «ماركوبولو» عن جنة شيخ الجبل، الحسن بن الصبَّاح الذي كان وجماعته يتعاطون الحشيش حسب رأيه.

هذا إذا كان هناك وقتها حشيش.

وإذا كانت الروح الدينية هي النداء المُلِح لتكريس المرء نفسه لهدفٍ أبعد من إرضاء شخصه، فما الحاجة إلى الحشيش؟

وإذا كان هناك مَن لديه القدرة على تجنيد نفسه في خدمة الله مثلاً، فلماذا يحتاجه؟

* كان انقراض دولة الإسماعيليين النزاريين على يد هولاكو عام ٦٥٤.

الفصل الحادي عشر

أندلسيات

إسبانيا الأندلس

٧١١ ــ ١٠٨٦

لم يكن العرب المسلمون وحدهم الذين فتحوا إسبانيا أولاً، بل المغاربة المسلمون من البربر. إذ كان طارق بن زياد من البربر، وكان في جيشه سبعة آلاف من بني جنسه من المسلمين، وثلاثة آلاف من العرب المسلمين. وقد خُلِّد إسمه إذ سُميت بإسمه الصخرة التي نزلت قواته عندها، فقد سمّاها البربر المسلمون جبل طارق، واختصره الأوروبيون إلى «غبرولترر» Gibrultar.

وكان الذي سيَّر طارق بن زياد إلى فتح إسبانيا، وشمال إفريقيا العربي المسلم موسى بن نصير. وأراد الله أن تؤسَّس فيها أسرة لا تقل في مجدها وثرائها عن خلفاء بغداد. ذلك أنه لما أمر بنو العباس في عام ٧٥٠ أن يُقتل جميع الأمراء الأمويين، لم ينجُ من هؤلاء الأمراء إلا عبد الرحمان أحد أحفاد الخليفة هشام.

وطارده أعداؤه من قرية إلى قرية، فاضطر أن يعبر نهر الفرات الواسع سباحة، واجتاز الصحراء إلى فلسطين، ثم انتقل منها إلى مصر وإفريقيا حتى وصل آخر الأمر إلى مراكش.

وكان في تلك البلاد طائفة من العرب مخلصة للأمويين تخشى أن يعترض الخلفاء العباسيون على حقها في تملك الأراضي التي وهبها لهم بنو أمية، فدعوا عبد الرحمان للإنضمام إليهم وتولى قيادتهم، فجاء إليهم وعينوه أميراً على قرطبة (٧٥٦).

وكان عبد الرحمان الثالث (٩١٣ ـ ٩٦١م) آخر الشخصيات البارزة من أسرة بني أمية في إسبانيا، فقد آلت إليه الخلافة وهو في الحادية والعشرين من عمره، ووجد الأندلس تمزقها الإنقسمات العنصرية، والأحقاد الدينية، واضطراب حبل الأمن فيها، ومساعي أشبيلية، وطليطلة للإستقلال عن قرطبة. وقبض عبد الرحمان على زمام الأمور بيدٍ من حديدٍ رغم فتنة المدن الثائرة.

وصدَّ غزوة «سانكو» صاحب نافارة Sancho of Navarra واستولى على عاصمتها ودمَّرها، وأرهب بذلك المسيحيين فلم يُغيروا على بلاده مرة أخرى أثناء حكمه. ولمَّا رأى في عام ٩٣٩م أنَّ له من القوة ما لا يقل عن أي حاكم في زمانه، وأدرك أن الخليفة العباسي في بغداد قد أصبح ألعوبة في أيدي الحرس التركي، اتخذ لنفسه لقب خليفة، وأمير المؤمنين، وحامي حمى الدين. وقد ترك وراءه بعد وفاته نبذة من الكلمات كتبها بخط يده، قَدَّرَ فيها قيمة الحياة البشرية: مضت خمسون سنة وقد توليت الخلافة فتمتعت بما لا يزيد عليه شيء من الثراء، والمجد، والنعم، فاحترمني الملوك وخافوني، وحسدوني، وحباني الله بأقصى ما يرغب فيه إنسان، فأحصيت أيام السرور التي صفت لي دون تكدير في هذه المدة الطويلة فكانت أربعة عشر يوماً.

فاعجب أيها العاقل لهذه الدنيا، وعدم صفائها، وبخلها بكمال الأحوال لأوليائها.

* اقتسم بلاد الأندلس الإسلامية ثلاثة وعشرون من ملوك الطوائف شغلتهم الدسائس والمنازعات فيما بينهم عن إغارة إسبانيا المسيحية على الإمارات الإسلامية واستيلائها عليها واحدة بعد واحدة.

وكانت دويلات الأندلس وقتئذٍ قد أنهكتها حروب الطبقات وحروبها فيما بينها إلى حدٍّ عجزت معه عن مقاومة عدوها المشترك مقاومة جدية. ولكن جماعة إسلامية جديدة قامت وقتئذٍ على الجانب الآخر في البحر المتوسط هي جماعة المرابطين المشتق إسمها من إسم أحد الأولياء الصالحين في الشمال الغربي من إفريقيا أو من المرابطة للعدو في الثغور.

وتلقى في ذلك الوقت يوسف بن تاشفين ـ وهو رجل يتصف بالشجاعة والدهاء ـ دعوة من أمراء الأندلس يستنجدون به من وحش قشتالة المسيحي الضاري. فعبر يوسف بجيشه مضيق جبل طارق، وتلقى المدَّد من مقالة، وغرناطة، وإشبيلية والتقى بجيش الفنسو عند الزَّلاقة القريبة من بطليوس ١٠٨٦م (بدجوز ـ Badajoz).

وبعث الفنسو برسالة رقيقة إلى يوسف يقول له فيها: إنّ غداً الجمعة يوم عيد عندكم، ويوم الأحد عيد عندنا، ولهذا فإني أقترح أن تدور المعركة في يوم السبت. ووافق يوسف على هذا الإقتراح، ولكن الفنسوا هاجم المسلمين في يوم الجمعة، وانتصر المسلمون عليهم.

واحتفل المسلمون بقتل عددٍ كبيرٍ من المسيحيين، ولم ينجُ الفنسو وخمسمائة من رجاله من الموت إلا بشق الأنفس.

وغادر يوسف الأندلس، ولكنه عاد بعد أربع سنين. وكان سبب رجوعه أن المعتمد ألحَّ عليه بأن يقضي على قوة الفنسو الذي كان يحشد الجيوش ليهاجم المسلمين من جديد. والتقى يوسف بالمسيحيين في مواقع غير حاسمة، وبسط سلطانه على بلاد الأندلس الإسلامية.

ولم يحل عام ١٠٩١م حتى سقطت جميع الأندلس ما عدا «سرقطة» في يد يوسف بن تاشفين، وأصبحت إسبانيا الإسلامية ولاية تابعة لإفريقيا.

وتعاقبت على شمال إفريقيا في ذلك الوقت أسر كان لها هي الأخرى شأن عظيم، منها الزيرية (٩٧٣ ـ ١٠٤٨) وبنو حفص (١٣٣٨ ـ ١٥٣٤) حكام تونس، والحموديون (١١٣٠ ـ ١٣٦٩) في بلاد الجزائر، والمرابطون (١٠٥٦ ١١٤٧) والموحِّدون (١١٣٠ ـ ١٣٦٩) أمراء مراكش.

وفي الأندلس سرعان ما تأثر المرابطون المنتصرون ـ جنود إفريقيا المتقشفون ـ بحياة الترف التي كان يحياها أمراء قرطبة، وإشبيلية.

وفسد الموظفون، ولم يلبث دولاب الإدارة، الذي بلغ درجة عالية من الكفاية في أيام يوسف بن تاشفين (١٠٩٠ ـ ١١٠٦) أن اختل في أيام ابنه علي (١١٠٦ ـ ١١٤٣) واضطرب حبل الأمن، وكثرت

السرقات كلما ازداد إهمال الحكومة لواجباتها، فأصبحت الطرق غير آمنة، وكسدت التجارة، ونقصت الثروة

واغتنم ملوك إسبانيا الكاثوليكية هذه الفرصة، فأغاروا على قرطبة، وإشبيلية وغيرهما من مدائن الأندلس الإسلامية، وولى المسلمون وجههم مرة أخرى نحو إفريقيا يستغيثون بهالتنجيهم من محنهم.

وكانت ثورة دينية قد شبَّت في تلك البلاد في عام ١١٣١ ورُفِعَت إلى العرش طائفة أخرى ذات قوة وبأس شديد. فقد قام عبد الله بن تومرت وأعلن آخر الأمر أنه هو المهدي المنتظر.

والتفت حوله قبائل البربر سكان جبال أطلس، ونظَّموا أنفسهم تنظيماً قوياً وسُمُّوا بالموحدين، وهزموا مراكش المرابطين، ولم يجدوا صعوبة في أن يفعلوا مثل هذا الفعل في الأندلس. وعاد النظام والرخاء إلى الأندلس ومراكش في عهد عبد المؤمن (١١٤٥ ـ ١١٦٣) وأبي يعقوب يوسف (١١٦٣ ـ ١١٨٤) من أمراء الموحدين. لكن محمد الناصر ابن أبي يوسف يعقوب، أهمل شؤون الحكم وانغمس في الملذات، وهُزِم هزيمة منكرة على أيدي قوات المسيحيين المتحدة في واقعة «العقاب» عام ١٢١٢، وانقسمت إسبانيا إثر هذه الهزيمة إلى دويلات مستقلة افتتحها المسيحيون واحدة بعد واحدة: قرطبة عام ١٢٣٦ وبلنسية ١٢٣٨ وإشبيلية ١٢٤٨. وارتدَّ المسلمون إلى غرناطة وصدُّوا عنها غارات المسيحيين المتكررة. وازدهرت فيها الفنون

والتجارة، وظلّت هذه المملكة الصغيرة قائمة حتى عام ١٤٩٢م وكانت البقية الباقية من مفاخر بني البشر..

لقد ظلّ الإسلام خمسة قرون من عام ٧٠٠ إلى عام ١٢٠٠ يتزعم العالم كله في القوة، والنظام، وبسطة الملك، والعلم، والآداب، والتشريع الإنساني الرحيم[١].

* أطاح الموحّدون بدولة المرابطين في المغرب. وتدخلوا في الأندلس، وهزموا الإسبان في موقعة «الأرك» التي سقط فيها حصنها، والتي سقطت فيها مدن وقرى إسبانية، وتوفي بعدها سنة ٥٨٠هـ أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الموحدي الذي شهد عصره الرخاء والاستقرار بعد إصابته بسهم مسموم عند عودته إلى إشبيلية من قِبل قوات «دون أنريكي» ملك البرتغال، وخلفه إبنه أبو يوسف يعقوب.

وفي ٣ شعبان ٥٩١هـ (١٠ تموز ١١٩٥م) وقعت معركة عنيفة بين المسلمين، وملك قشتالة الفونسو الثامن الذي كان يصطحب معه جماعة من تجار اليهود لشراء أسرى مسلمين لأنه كان واثقاً من النصر لنفسه لكن النصر انقلب للمسلمين رغم قلة عددهم.

* كان سقوط دولة الموحدين في الأندلس على يد بني مَرين من قبائل زناته البربرية حين تصدر لجهاد الإسبان إبن هود (محمد بن يوسف بن هود) ووحّد أهم المدن الأندلسية تحت رايته، فعادت «ليون» إلى الإتحاد مع قشتالة بعد وفاة الملك ألفونس. وبرزت إلى الميدان شخصية عربية بعد إبن هود، هو محمد بن يوسف بن أحمد بن

(١) قصة الحضارة ـ رول ديورانت.

نصر الذي عُرفت أسرته ببني الأحمر، وأعلن نفسه أميراً على الأندلس، واستولى على جِيان ووادي آش وبسطة وغرناطة وجعلها عاصمة لدولته النصريه، لتظل كذلك حتى سقوط هذه الدولة نهائياً.

وقُتل إبن هود غيلة، واستنجد إبن الأحمر بفرديناند الثالث ملك قشتالة (١٢١٧ ـ ١٢٥٢) لدفع خطر المنافسين على دولته، وقدَّم ابن الأحمر مضطراً مساعدة حربية لفرديناند على إشبيلية، واستنجد أيضاً بالفونس العاشر ملك قشتالة على حليفه السابق المريني (بنو مرين الذين حكموا مراكش من خلال أبي يوسف الذي ألحق أذىً كثيراً بالإسبان) واستطاع بنو نصر بما انتهجوه من سياسة لبقة دائمة التقلب أن يعمّروا ٢٥٠ سنة أخرى، بوصفهم آخر سلالة إسلامية في الأندلس في الإقليم الممتد من ساحل جبل طارق حتى المرية، والمنبسط حتى سلسلة جبال رُندة وجبال البيرة.

* سقوط دولة بني الأحمر وإخراج المسلمين من إسبانيا:

ساعد تناحر الأمراء المسلمين فيما بينهم على السلطان، إيزابيل ملكة «أرغون» على الإتحاد مع فرديناند الثاني ملك «قشتالة» بزواجها منه، على أن تطرد المسلمين جميعاً من أرض الأندلس. وتمَّ لها ذلك بعد أن كان قد ثار على أبي الحسن علي ـ آخر أمراء غرناطة ـ كل من ولديه أبي عبد الله محمد، وأبي الحجاج يوسف. واستطاع أبو عبد الله آخر الأمر احتلال غرناطة، وتدخَّل فرديناند ـ بعد أن كان قد انتزع من المسلمين بعض المدن ـ واستسلمت له «غرناطة» إثر حصار طويل، حيث رحل بعد ذلك أبو عبد الله إلى «فاس» ليقضي أيامه الأخيرة فيها.

ورحلت جموع غفيرة من المسلمين بعد ذلك إلى مراكش تاركةً إسبانيا مؤثرة الرحيل على البقاء تحت شروط الإستسلام والتنصير.

* كان المركز الإسلامي في إسبانيا الأندلس في «سيفيليا» أو «سيفلي» في «غورودوفا» التي كانت واحدة من أهم مراكز الفن والثقافة الإسلامية في العالم في القرن العاشر.

* بعد وفاة الخليفة الحَكَم الثاني عام ١٩٧٦م لم يكن التاريخ السياسي لمسلمي إسبانيا محموداً، فقد كان إسلام إسبانيا يسير ببطء.

* «توليدو» سقطت عام ١٠٨٥م «غودوفا» عام ١٢٤٦م و«سيفيليا» عام ١٢٤٨م.

* الحمراء نفسها ـ والتي تقع في «غرانادا» قرب «سيرانفادا» أعلى سلسلة جبلية لجزيرة «أيبريا» في جنوب إسبانيا ـ سقطت عام ١٤٩٢م في أيدي جيش ملكة إسبانيا «إيزابيل».

* «الحمراء» كانت مدينة على شكل قلعة. محاطة بالجدران والحدائق. يوجد فيها اثنان وعشرون برجاً. الجدران والأبراج بشكلها بُنيت لأهدافٍ عسكرية، ويوجد لها أيضاً أربعة أبواب كبيرة، الأولى: تسمى بوابة العدالة، والثانية: بوابة السموات السبع. والثالثة: البوابة الحديدية، والرابعة الأخيرة: بوابة السواعد. والبوابة الأخيرة هي البوابة الوحيدة التي تصل الحمراء مباشرة بمدينة «غرانادا».

الحدائق والسراديق، هُندست على شكل الجنة كما تُتصور. وفيها البلاط الفخم الذي يصوّر ويعكس الريحان، وصور الأسود وتماثيلها،

والحمامات البعيدة عنها. مع وجود العديد من البوابات، والمقام أو المزار قرب القصر الذي يرجع إلى عهد «محمّد الرابع».

ويعتقد أن «الحمراء» وُجدت بين حوالي عامي ١٣٠٠ و١٤٠٠م.

* كانت غرناطة آخر معاقل المسلمين في إسبانيا بعد أن نجح النورمانديون في طرد المسلمين منها، واسترداد صقلية.

وكان العالم الإسلامي قد صمد من عام ١٠٩٥ إلى عام ١٢٩١ أمام سلسلة من الحملات الدينية العنيفة ضده.

*** الزهراء:**

مدينة أنشأها عبد الرحمن الأموي سنة ٩٣٦ عند سفح جبل العروس إلى الشمال من قرطبة. استغرق بناؤها ٢٥ عاماً إلا أنه لم يبق منها سوى أجزاء قليلة من الأردام قائمة فيما يسمى اليوم بقرطبة القديمة على مسافة ميل من المدينة الحالية على سفح جبل العروس.

*** المرابطون:**

ظهروا بزعامة يحيى بن إبراهيم الجدَّالي، ثم تزعمهم إبن يس، ثم أبو بكر، وابن عمه يوسف بن تاشفين الذي كان شديداً قوياً على الإسبان.

*** الموحّدون:**

ظهروا في الأندلس مؤكدين على التوحيد، ومحاربين للقائلين بالتجسيم فيما يتعلق ببعض الآيات الظاهرة في التجسيم في القرآن الكريم. ومن هنا عُرف هؤلاء الجماعة بالموحدين. حاربوا الإسبان

وحكموا إسبانيا إلى أن سقطوا حين أصبحت إسبانيا دويلاتٍ إسلامية متناحرة، أعجز من أن تقف في وجه الإسبان أو تقاومهم.

*** سَبْتَا المغربية ومليلة:**

ضمَّتهما إسبانيا إليها بعد هزيمة المسلمين في الاندلس وخروجهم منها.

ولا تزالا حتى اليوم (٢٠٠٨) تحت حكم إسبانيا، وأكثر سكانهما من المسلمين المغاربة المجنَّسين بالجنسية الإسبانية. وجميع المغاربة في المدينتين لديهم الوثائق التي تثبت مغربيتهم، ويقومون بزيارة أقاربهم عبر بوابة إلى القسم الآخر من المغرب، ويعانون من ضيقٍ في فرص العمل والوظائف الرسمية.

ومن المؤكد جداً مغربية «سِبْتَا» و«مليلة» لكن السياسة وتقاعس الحكومة المغربية عن المطالبة بها جعل المغاربة عاجزين عن التحرك واستعادتها. ولعلَّ الإسمين للمدينتين أوضح دليل على عربيتهما.

وسيُرَدُّ الحق إلى أهله في يومٍ من الأيام ـ بإذن الله ـ فللتاريخ جولات وصولات.

الفصل الثاني عشر

علماء وفلاسفة وشعراء

*** روجر بيكن:**

أشهر علماء العصور الوسطى (١٢١٤ ـ ١٢٩٢) كان يعترف بما للعلوم والفلسفة الإسلامية من فضلٍ عليه وعلى العالم المسيحي كله، وإن كانوا «كفرة» بنظره

*** الخوارزمي:**

أول مَن وضع علم الجبر في عهد المأمون، وإسمه لا يزال خالداً إلى اليوم بكلمة Algorilhm.

* تعزو إحدى الروايات الصينية المتواترة إلى المسلمين **أول استعمالٍ للإبرة المغناطيسية** في إرشاد السفن حوالي ١٠٩٣.

* عرف العرب **ملح البارود** (نترات البوتاسا) ـ وهو أهم مركبات البارود ـ أثناء اتجارهم مع الصين، وسَموه «الثلج الصيني» ونقلوا سرَّ صناعته إلى بلادهم واستخدمه المسلمون في إسبانيا في الأغراض الحربية.

* عرف الكيمائيون المسلمون التقطير قبل نشر رسالة تُعرف بإسم

Salernus Magister حوالي عام ١١٥٠ التي ذُكر فيها تقطير الكحول ـ بزمن طويل ـ ويقال: إنها (الرسالة) كانت من رسائل مدرسة الطب في «سلرنو».

ومن المشهورين بالكيمياء جابر بن حيان تلميذ الإمام الصادق عليه السلام. وكانت الكتب الكيميائية العربية تُترجم من العربية إلى اللاتينية من القرن التاسع وما بعده.

* كان المسلمون على جانبٍ كبير من المهارة الآلية الفنية، وشاهد ذلك أن الساعة المائية التي أهداها هارون الرشيد إلى شارلمان قد صنعت من الجلد والنحاس الأصفر المنقوش. وكانت تدل على الوقت بفرسانٍ من المعدن يفتحون كل ساعة باباً يسقط منه العدد المطلوب من الكرات على ضنجة، ثم يُسحبون ويغلقون الباب.

* لخص «وتلو» كتاب إبن الهيثم في البصريات، وانتقلت دراسة علم البصريات من إبن سينا إلى الكندي ليأتي بعد ذلك «روجربيكن» بالجزء الخامس من كتابه في علم المنظور، والرسالة المكملة له في تضاعف الرؤية.

* كان الصينيون أول الشعوب التي صنعت الورق بنجاح، وأخذه العرب عنهم من خلال دخول الإسلام إليهم، وجلب عددٍ من الأسرى معهم، والذي كان منهم مَن هو ماهر في صناعته، فصنعوه وأصبحت سمرقند من أشهر مواطن صناعته وجودته بعد الصين.

* كان الفضل بن يحيى ـ من كبار وزراء بني العباس ـ أول مَن استحدث معملاً لصناعة الورق في بغداد، مقترناً ذلك بالربع الأخير من القرن الثاني الهجري.

وكان من أجود أنواع الورق ما يسمى بالكاغد الذي اشتهر بصناعته المسلمون، ونقُّوه مما كان يُستعمل في صناعته من ورق التوت والغاب الهندي. وكان هذا يعتبر حدثاً عظيماً في تاريخ العالم[1].

* نقل المسلمون زراعة **قصب السكر** وصناعته من الهند ونشروه في جميع أنحاء الشرق الأدنى، ومن تلك البلاد نقلها الصليبيون إلى أوطانهم، وكذلك شجرة البرتقال. وكان المسلمون أول من زرع القطن في أوروبا.

* يروي «المسعودي» ـ أحد كبار المؤرخين ـ: أنه شاهد **الطواحين الهوائية** في فارس وبلاد الشرق مع أننا لا نجد لها أثراً في أوروبا قبل القرن الثاني عشر، ولعلها كانت هدية أخرى أهداها الشرق الإسلامي إلى أعدائه الصليبيين[2].

*** ابن حزم الأندلسي:**

جدُّهُ الأعلى كان إسبانياً من أصل قوطي أوكَلتي أيبيري، لكنه أسلم.

ولد في قرطبة سنة ٩٩٤، ووضع مؤلفه الكبير «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، توفي سنة ١٠٦٤.

*** أبو القاسم الزهراوي:**

المنسوب إلى الزهراء ضاحية قرطبة، والمتوفى سنة ١٠٢٣.

ألَّف كتاباً جامعاً لأبواب الطب، ويحتوي على وصفٍ مفصَّل

---

(١) قصة الحضارة ـ ول ديورانت.

(٢) قصة الحضارة ـ وِل ديورانت.

للآلات الجراحية. نُقل إلى اللاتينية في القرن الخامس عشر ونُشر عدة مرات، ويسميه الأوروبيون Abulcasis.

*** إبن الطفيل:**

وضع إبن سينا رسالة رمزية صوفية بعنوان حيّ بن يقظان، فاستعار إبن طفيل بطلها لقصته الخيالية حول أساس العلم وأساليبه بتخيل «حيّ» هذا ولداً يتيماً في جزيرة خالية من الناس، حيث استطاع من خلال الإتصال بالطبيعة أن يكتشف أسس الحضارة، وأن يصل إلى معرفة الله والعالم. وفي نهاية القصة العودة إلى الجزيرة المهجورة للتفرغ هو وأبسال وزير الملك سلامان. وبعد بلوغ الخمسين يقضيان بقية عمرهما في التأمل والرياضة دون رموز الأعمال العبادية الظاهرة التي لا تليق ببطلي القصة.

عاش إبن الطفيل وإبن خلدون في الحاضرة الأندلسية سنتين.

*** إبن جبير الأندلسي:**

كان كاتباً. ولد في «بلنسية» الأندلسية عام ١١٤٥م من والدين مغربيين.

*** محمد أبو عبد الله بن بطوطة:**

الرحّالة المشهور، ولد في طنجة الأندلسية، وجاب البلدان، واستغرقت أسفاره نحواً من ٢٥ سنة ثم عاد إلى المغرب حيث مات في مدينة «فاس».

*** إبن عربي:**

ولد في «فرسية» الأندلسية في ٢٨ تموز سنة ١١٦٥.

متصوف زاهد، له: الفتوحات المكية بأجزائه السبعة عشر.

أفرغ زبدتها في كتاب «فصوص الحِكم».

توفي سنة ١٢٤٠م.

*** إبن الخطيب:**

مؤرخ كبير أرّخ إمارة بني الأحمر. مَثَّل الحياة السياسية لأواخر هذه الدولة خلال القرن الرابع عشر.

*** السَّهْرَوَرْدي:**

أثارت تعاليمه شكوك أهل العامة وتعاليمهم القرآنية، فحكموا عليه بالإلحاد وأفتوا بقتله، وصدَّق على قتله صلاح الدين وقُتل سنة ١١٩١.

*** الشريف الرضي:**

أنجبُ سادات العراق، وأبدع أبناء زمانه شعراً وأدباً. تولى نقابة الطالبيين بعد وفاة أبيه سنة ٣٨٨هـ وهي النظر في المظالم، والحج، وسائر أمور الناس زمن الخليفة القادر بالله العباسي أحمد بن المقتدر.

توفي رضوان الله عليه في شهر المحرَّم سنة ٤٠٤هـ ودُفن في داره بمسجد الأنباريين بالكرخ.

يغلب على شعره الفخر، والحرب، والرثاء. ويُعَد سيِّد أصحاب المراثي.

قيل: أنَّ والده أنجبه وكان في عمر الخمس والستين. وعزا بعضهم ـ كما ربما استشف من شعره الرِّثائي ـ كآبته لولادته في ذلك السن المتأخر من عمر أبيه.

وهذا بعيد ـ بالطبع ـ لأن لديه شعر في الغزل، مضافاً إلى أنه سبب أو تعليل بعيد، وغير وجيه.

*** ابن سينا:**

يُعرف بالشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن علي بن سينا، وبالمعلم الثاني بعد أرسطو.

ولد في قرية أفشنة (٣٧٠هـ ـ ٩٨٠م) بالقرب من «بخارى».

أبوه فارسي وأمه: «ستارة» من أفشنة.

له مؤلفات عديدة في الفلسفة، والهندسة، والطب، وكتاب «القانون» في الطب كان يُعَد المرجع الأول في طب أوروبا في العصور الوسطى.

تُوفي وعمره ٥٧ سنة ودفن بهمدان.

*** الفارابي:**

أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ المعروف باسم الفارابي نسبة إلى مدينة فاراب.

أبوه فارسي وأمه تركية. كان زاهداً ميَّالاً إلى العزلة والتأمل.

له فلسفة معينة لم يسلم بها من الزندقة.

*** نصير الدين الطوسي:**

من الفلاسفة والفلكيين الذين أقاموا في مدينة «مراغة» الإيرانية مرصداً فلكياً عظيماً، وأنشأوا مكتبة حافلة بالكتب العلمية، بعد إقناع هولاكو التتار

بوقف خرابه ودماره الذي كان سائراً فيه باقتحامه وغزوه للأمصار، وإقناعه بدخول الإسلام.

من كتبه المشهورة: «شرح تجريد الإعتقاد» و«تلخيص المحصَّل» المعروف بنقد المحصَّل.

*** ابن رشد:**

القاضي والفيلسوف أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد.

ولد في «قرطبة» الأندلس. كان ينتمي إلى أسرة أندلسية.

ناقش الفارابي وإبن سينا في بعض المسائل، ودافع عن فلسفة أرسطو.

*** إبن كمونة:**

من أشهر فلاسفة العراق أواخر عصر الدولة العباسية وأوائل العصر المغولي. وإسمه كما وجد بخطه: سعد بن منصور بن سعيد بن الحسن بن هبة الله بن كمونة.

*** أبو الريحان محمد البيروني:**

ألَّف كتاباً عن الهند أيام فتحها زمن محمود الغزنوي الذي خلف سبكتكين، والذي أدَّى للدراسات الأوروبية من خلاله خدمة جُلّى. كما ألَّف كتاباً استعرض فيه تاريخ الشعوب كلها وهو في ريعان الشباب، وكان محمود بوصفه مسلماً، غيوراً على السنّة. ومن هنا آثر الأدب العربي على الأدب الفارسي.

*** الحسن بن هاني:**

اشتهر الحسن بن هاني ـ المعروف باسم أبي نواس ـ بغدائره التي كانت تنوس على كتفيه. وكان مولده في بلاد الفرس، ثم رحل إلى بغداد، ونال الحظوة عند الخليفة الرشيد.

وكان أبو نواس مولعاً بالخمر والنساء والغناء، وكثيراً ما أغضب الخليفة بإدمانه على الخمر جهرة، وبزندقته ودعارته. وكثيراً ما سجنه ثم أطلقه. وتاب أبو نواس شيئاً فشيئاً، واستمسك آخر الأمر بأهداب الفضيلة، وانتهى بأن كان يحمل المسبحة والقرآن معه أينما سار.

لربما ولعل!

*** احمد بن الحسين (المتنبي):**

اشتهر عند المسلمين بإسم المتنبي، أي: مدَّعي النبوة.

ولد في الكوفة عام ٩١٥، وتلقى العلم في دمشق، ثم ادَّعى النبوة، فقُبض عليه ثم أُطلق سراحه، وأقام في بلاط أمير حلب. وكان كأبي نواس مستهتراً بالدين لا يصوم ولا يصلي.

ومن شعره المشهور:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وصادف أن جماعة من اللصوص هاجموه، فأراد الفرار، فذكَّره غلامه بهذا البيت وما يحويه من تفاخر، وأراد المتنبي أن يصدق فعله وقوله، فحارب ومات مثخناً بجراحه سنة (٩٦٥).

*** أبو العلاء المعري:**

بعد ثماني سنين من ذلك العام، ولد في «معرَّة» القريبة من حلب: النعمان أبو العلاء المعري من شعراء العرب المشهورين. فَقَدَ بصره في سن الرابعة على إثر إصابته بالجدري، ولكنه جدَّ في طلب العلم، وحفظ عن ظهر قلب ما أعجبه من المخطوطات التي وجدها في دور الكتب، وغدا من الشعراء المرموقين الذين يغلب على شعرهم اليأس.

*** السعدي الشيرازي (١١٥٠ ــ ١٣٩١):**

ولد بعد خمس سنين من وفاة عمر الخيام الشاعر الذي يُجلّه الإيرانيون.

كان مولده في المدينة المعروفة الآن بفيروزآباد بالقرب من تفليس. وكأن الأقدار شاءت أن تتخذ من إلياس أبي محمد الذي عُرف بعدئذٍ بإسم نظامي، وسيلة لإظهار نزعة الخيَّام الأخلاقية، فجعلته يستمسك في حياته بأسباب الصلاح والتقى، فيمتنع عن شرب الخمر، ويهب حياته لواجبات الأبوة وللشعر. وقصة: «ليلى والمجنون» (١١٨٨) أشهر القصص الغرامية في الشعر الفارسي. وخلاصتها:

أنَّ قيس المجنون افتتن بليلى، ولكن أباها أرغمها على أن تتزوج برجلٍ غيره، فأثرت تلك الخيبة في نفس قيس وأفقدته عقله، فاعتزل المدينة إلى البادية. ولم يكن يعود إلى صوابه لحظة وجيزة إلا إذا ذُكر إسم ليلى أمامه. ولمّا ترملت ليلى جاءت إليه ولكنها توفيت بعد قليل، ولم يسع قيس إلا أن يقتل نفسه عند قبرها كما قتل روميو نفسه عند قبر جوليت.

* **جلال الدين الرومي:**

ولد في بلخ سنة ١٢٠٧ شاعر متصوف، يهدف في شعره إلى إفناء الأنا والإنغماس في وحدة وجودية مع الله.

رفعه أتباعه ومَن تأثر به مقاماً علياً من خلال كتابه «مثنوي».

* **إخوان الصفا:**

جماعة نشأت في البصرة في القرن الرابع الهجري، تبادل أعضاؤها الرسائل العلمية التي عُرفت بإسم رسائل إخوان الصفا. وكانوا جماعة سرية لم يفصحوا عن أسمائهم، واكتفوا بأن سموا أنفسهم بهذا الإسم. وكانوا شيعة إسماعيلية هدفهم الدعوة لمذهبهم وعقيدتهم عن طريق العلم والفلسفة، وبلغ عدد رسائلهم ٥١ رسالة.

* **علم الهدى:**

هو السيد المرتضى أخو الشريف الرضي رضوان الله تعالى عليهما. كان عالماً وأديباً، وشاعراً. ذهب من جزعه على أخيه الرَّضي إلى مشهد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لأنه لم يقوَ على النظر إلى تابوته ودفنه. ثم ألزمه الوزير فخر الملك بالعودة إلى داره.

ومما رثى به المرتضى أخاه الشريف:

يا للرجال لفجعةٍ جذمت يدي ... ووددت لو ذهبت عليَّ برأسي
ما زلت أحذر وِردها حتى أتت ... فحسوتها في بعض ما أنا حاسي
لا تنكروا من فيض دمعي عبرة ... فالدمع غير مساعدٍ ومواسي

توفي رحمة الله عليه في ٢٥ ربيع الأول ٤٣٨هـ.

الفصل الثالث عشر

نســـاء

*** ستيتة:**

بنت القاضي أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل الضبي المحاملي. كانت من النساء العالمات بالدين، وتُكَنَّى أم الواحد، وكان إبنها قاضياً، وكانت عالمة، فاضلة تحفظ الفقه على المذهب الشافعي، وتحدِّث الحديث. توفيت عام ٣٧٧هـ.

ومثلها أم الفتح بنت القاضي أبي بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة التي توفيت عام ٣٩٠هـ

وجوَّز أبو حنيفة أن تتولى المرأة القضاء فيما تصح شهادتها فيه، وجوَّز إبن جرير الطبري قضاءها في جميع الأحكام[1].

ولم يُجز ذلك فقهاء الشيعة الإمامية وإن جاز لها بلوغ درجة الإجتهاد عندهم، لخطورة المنصب، والمسؤولية الكبرى في توليه. واستدلوا على ذلك بروايات مسندة إلى النبي ﷺ وآل بيته عليهم السلام. منها:

صحيح الجمال أبي خديجة سالم بن مكرم عن الصادق عليه السلام:

(١) الأحكام السلطانية للماوردي - ص١٠٧، ١٠٨.

«. . . ولكن انظروا إلى رجلٍ منكم يعلم شيئاً من قضايانا فاجعلوه قاضياً، فإني قد جعلته قاضياً فتحاكموا إليه»[1].

ورواية الصدوق المؤيدة لها عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام في وصية النبي ﷺ لعلي عليه السلام قال: «يا علي ليس على المرأة جمعة، ولا جماعة. . . إلى أن قال: ولا تُولَّى القضاء».

*** قُرَّة العين:**

أسفرت عن وجهها، وارتقت المنبر، وخاطبت، وناقشت.

وكان هذا أول حدث من نوعه في تاريخ العراق، وربما في تاريخ الشرق كله طيلة قرون عديدة.

وهي من أشهر النساء. ولدت على فطرة التشيع في بيت علم وفضل، ودرست الفقه، والأصول، والحديث، والقرآن على والديها وأعمامها وأخوالها العلماء. وكانت تعطي الدروس في بغداد.

هذا كان من أهم حوادث القرن الثالث للهجرة. ماتت قتلاً سنة ١٢٦٨هـ.

*** لالاً فاطمة:**

كانت إمرأة من البربر خرجت لقتال الفرنسيين في الجزائر أثناء الإحتلال، من قبيلة بنّي البربرية، واتبعتها القبائل المجاورة كلها، فاضطر الحاكم العام «راندون» أن يخرج بنفسه لقتالها على رأس ٣٠ ألف رجل.

وبعد معارك دامية أسرت «لالاّ»، وأخضعت القبائل جميعها.

هي مجرد امرأة لكن الشجاعة من أين تأتي؟

---

(١) وسائل الشيعة ـ ج١٨ ـ باب: ١ من أبواب صفات القاضي، ح٥.

* روت عائشة بنت أبي بكر عن النبي ﷺ ٢٢١٠ أحاديث.

وروت حفصة بنت عمر ٦٠ حديثاً.

رواه البخاري ومسلم.

* * *

*** الموناليزا:**

الوجه الذي أريق في وصفه بحر من المداد على آلاف الصفحات. وجه جميل وإن لم يكن جماله غير مألوف.

أما الذي رفع من شأن هذه الصورة وخلَّد شهرتها على مر القرون فهو ابتسامتها وما يصحبها من بريقٍ وليدٍ في عينيها، وانثناء إلى أعلى في شفتيها ينم عن السرور الذي لم تحاول كبته. تُرى لأي شيء تبتسم؟ أتبتسم لما يبذله الموسيقيون من جهود لتسليتها؟أم لنشاط الفنان وجدّه حين يقضي في تصويرها ألف يوم ولا يفرغ منها أبداً؟ أم لأنها ليست مجرد «موناليزا» تبتسم، ولكنها امرأة ككل النساء تقول لكل الرجال: مساكين أيها العشاق المولهون! إنَّ الطبيعة التي تأمركم بتعمير الأرض واستمرار الخلق تحرق أعصابكم بالنهم السخيف لأجسامنا، وترهق عقولكم فتتوهمون في غير تعقل أن مفاتننا هي المثل الأعلى في الجمال، وترتفع بكم إلى نشوة شعرية لا تلبث أن تخبو إذ نلتم بغيتكم منَّا. كل هذا ألكي تُسرعوا فتكونوا آباء؟ تُرى أيمكن أن يكون هناك سخف أكبر من هذا السخف؟ ولكننا نحن النساء أيضاً نقع مثل الرجال في الشراك، ونؤدي لكم نظير افتتانكم بنا ثمناً أغلى مما تؤدونه أنتم.

ولكن إعلموا أيها البلهاء المحببون: أنه يسرنا أن ترغبوا فينا، وأن الحياة تُفتدى حين نُحب.

* حكم روسيا على مدى ٦٦ عاماً ثلاث نساء. أولاهن آنا إيفانوفنا ـ ٣٥ عاماً، اختارها المجلس الأعلى الروسي، بعد موت بطرس الثاني بالجدري من دون وريثٍ للعرش. ثم كانت إليزابث بتروفنا (١٧٤٠)، وكان بها غرور وخيلاء، وولع بالحلي والملابس الفاخرة. وكان لها ١٥٠٠٠ ثوب، وأكوام من الجوارب و٢٥٠٠ حذاء، استعملت بعضها قذائف أثناء النقاش. وأغلقت بعض المساجد في أقاليم التتار، ونفت ٣٥,٠٠٠ ألف يهودي. ثم كانت كاترين التي حملت ببولس الأول من الزنا (١٧٥٤). وفي (١٧٥٨) بنتٍ أيضاً من الزنا ببولندي رغم زواجها من بطرس العابث المستهتر. ولكن الطفلة ماتت بعد أربعة أشهر، ثم حملت من مغامر الحب والحرب «غيريغبوري أورلوف» وولدت إبناً منه عام ١٧٦٢.

ورُبي الولد بالكتمان والسر بإسم الكسيس بوبرينسكي. واتخذت ٢١ عاشقاً خلال أربعين سنة. وكان ألكسيس مامونوف خليل الـ٥٧ من عمره الذي زهد بها نهاية الأمر واستأذنها بالزواج من الأميرة شرباتوف، وآخر القائمة كان «بلاتون زوبوف» الذي كان في سن الـ ٢٥ وهي في سن الـ ٦١.

سمحت لليهود بدخول روسيا، ولكنها أخضعتهم لضرائب خاصة، وقصرت إقامتهم على مناطق معينة.

ماتت عام ١٧٩٦ نتيجة انفجار شريان في الدماغ.

العاشقة

قل لي يا زهر عمري: ما رأيك في الدين؟

إنني لست أُنكر أنك أطيب الناس قلباً، وأحسنهم أخلاقاً، لكنني أخشى أن تكون لا تدين بدين، ولا تؤمن بالله العظيم.

الحبيب: دعي هذا الظن يا حبيبتي، أنتِ تعلمين أنني أحبكِ ومتيَّمٌ بكِ، وأضحِّي بحياتي لأجلكِ، فلماذا تظنين بي هذا الظن، وتسألينني هذا السؤال؟

العاشقة: لماذا لا تجيب على سؤالي وتُريح بالي، فأنا أُحبُّ الإيمان، هل تؤمن؟ وهل تدين بدين؟

الحبيب: أنا الذي أومن وأدين بدين، أيُّ إنسانٍ هذا الذي لا يؤمن؟

أيُّ بشرٍ يحس، ويبصر، ويسمع، ويعقل، ثم يجرؤ أن يقول أنا لا أومن!

ذلك القابض على كل شيء، والممسك لكل شيء، ألا نحس وندرك آثاره؟

أما تَرَيْنَ السماء بسقفٍ مرفوعة، والأرض بنبتٍ مصدوعة.

أما ترين النجوم كيف تبدو كمصابيح مضيئة، وللعاشقين كأنها جواهر ولآلىء منثورة!

مِنْ هذا، ومن آيات الكون كله إملائي قلبكِ حتى يطفح بالنور الأعلى ويستنير به، وعندئذٍ فلتسمينه بما تشاءين.

أمَّا أنا فإسمه عندي هو الله، وكل همِّي أن أستشعره، فالشعور به هو أهم شيء عندي، وما الإسم إلا صدىً لجلاله البديع.

أيّ شيء تريدين أن تسمي به هذا الشعور؟

السعادة، القلب، الحب. . .

إنه فهم وشعور عميق أيتها الحبيبة.

قيِّديني بأغلالكِ فأنا أحبُّ الجمال.

إنَّ جمال الله يتجلَّى فيكِ. . . مشاعر لعلها غامضة عنكِ لكنها مغروسة في قلبي.

وتسأله: أأسَرَكَ جمالي إلى هذا الحد؟

أُتركه وانظر إلى العلا حيث البهاء والجلال الأجمل.

فيقول لها: الآن تصفو نظراتي إليكِ، ويدخل أثيرها في عينيكِ.

إنه أثير القلب حيث لا يراه ولا يحس به أحد إلا العاشقون.

حنين وشوق

أنا ـ صبحي ومسائي
في شوقٍ وحنان
كيف لا يشتد شوقي
كيف لا يزداد حبي
كيف لا يفرح قلبي
وحبيب القلب دان

* * *

قد بان كدر العيش عني
وغادر اليأس نفسي
وأسكب الدمع عيني
ولهفي في اللقاء

* * *

متى يسمح ربي
ويريني طلع بدري
قد أسقمني حبي

والهوى أجمل داء

* * *

واهمِّي! واعنائي!
هل لدائي من دواء؟

* * *

قد قرَّح التسهيد جفني
وأحرَّ البكاء عيني
وشفائي في اللقاء

* * *

أوَمَا يدنو مني الحبيب
فأرى العيش يطيب

* * *

لقد طال البعاد
ونبا عني الرقاد
وبرى جسمي السهاد

* * *

آهٍ! لو أحظى ببسمة
أو أشفى بنظرة
ثم يقضي الدهر حُكمَه
بلقاءٍ أو هلاك

قتل أمه

كان الإمبراطور «نيرون» يتخفى ويزور المواخير، ويتردد على الحانات في الليل في صحبة أمثاله من رفاق السوء يسيئون إلى النساء، ويفسقون بالغلمان، ويضربون ويقتلون. وحدث أن لجأ شيخ إلى القوة في ردّ اعتداء الإمبراطور عليه فأرغم بعدها على أن يقتل نفسه.

وحاول «سنكا» أستاذه ومعلمه أن يوجه شبق الإمبراطور نحو معتوقة تدعى «كلوديا أكتي» فلمّا تبين له أن «أكتي» وفية له وفاء تعجز بسببه عن الإحتفاظ بحبه، استبدل بها امرأة بارعة في فنون العشق تنتمي إلى أسرة عريقة ذات ثروة طائلة تدعى بوبيا سابينا. وحدث أن افتخر زوجها بجمالها أمام «نيرون» فما كان من الإمبراطور إلا أن عينه والياً على «لوزتانيا» (البرتغال) وضرب حصاراً على «بوبيا» لكنها أبت أن تكون عشيقة له، وقبلت أن تتزوجه شريطة أن يطلق أكتافيا زوجته.

وكانت أكتافيا قد صبرت على مساوىء «نيرون» صبر الكرام وحافظت على تواضعها وعفتها وسط تيار الدعارة الجارف الذي اضطرت أن تحيا في غمرته من يوم مولدها. ومما يذكر بالفضل لأربينا أمه أنها ضحت بحياتها دفاعاً عن أكتافيا ضد پوپيا، فلم تترك وسيلة

تثني بها الإمبراطور عن طلاق أكتافيا إلا لجأت إليها، وبلغ من أمرها أن عرضت محاسنها على ولدها. وقاومتها بوبيا مقاومة شديدة وتغلبت عليها، فعيَّرت «نيرون» بأنه يخشى والدته، وأقنعته بأن أربينا كانت تأتمر به لتسقطه، وما زالت به حتى رضي في ساعة من ساعات جنون الشهوة أن يقتل المرأة التي حملته في بطنها، وأعطته نصف العالم. وقد فكر أولاً في أن يقتلها مسمومة، ولكنها كانت قد حصَّنت نفسها من السم بما تعودته من الأدوية المضادة له. ثم حاول أن يقتلها غرقاً ولكنها أنجت نفسها بالسباحة من السفينة التي تحطمت بتدبير الإمبراطور، وطاردها رجاله إلى دارها، فلما قبضوا عليها خلعت ثيابها، وقالت لهم: إدفعوا سيوفكم في رحمي. واحتاج قتلها إلى عدة طعنات، ولما رأى الإمبراطور جثتها العارية كان كل ما قاله: لم أكن أعرف أن لي أماً بمثل هذا الجمال.

وإن المرء ليصعب عليه أن يصدق كيف يقتل هذا الإنسان أُمَّه التي حضنته وربَّته، لكنه الفسق والفجور وكيد النساء القاهر للضعفاء.

ومن مساوىء هذا الإنسان «الإمبراطور» أنه لمَّا ماتت «بوبيا» عام ٦٥ في الأيام الأخيرة من حملها ـ ويقال إنها ماتت من ركلة في بطنها مات على أثرها جنينها ـ عثر «نيرون» على شاب يدعى «سبورس» كثير الشبه بـ«بوبيا» فأمر بخصيه، وتزوجه في احتفالٍ رسمي واستعمله في كل شيء كما تستعمل النساء.

والقصص على أمثاله كثير.

نهاية الطاغية

اقتربت نهاية الطاغية هذا «نيرون» ـ الذي فجر بإخته وعمرها ثلاث عشرة سنة ـ عندما أعلن «يوليوس ڤندكس» حاكم مدينة «ليون» استقلال بلاد غالة (فرنسا) عن روما في شهر آذار من عام ٣٦٨، ولمَّا عرض نيرون جائزة قدرها ٢٥٠٠,٠٠٠ سترس لمن يأتيه برأسه، أجاب ڤندكس عن هذا بقوله: «إن من يأتيني برأس «نيرون» سيأخذ في مقابل ذلك رأسي». وأخذ نيرون يُعد العدة لملاقاة هذا العدو الشديد البأس في الميدان، وكان أول ما عنى به أن اختار العربات لينقل عليها آلاته الموسيقية وأدوات المرح. وبينا هو يُعد العدة إذ جاءته الأنباء في شهر نيسان بأن «غَلْبَا» قائد الجيش الروماني في إسبانيا انضم إلى ڤندكس في ثورته، وأنه يزحف إلى روما، وسمع مجلس الشيوخ أن الحرس البريتوري يتأهب للخروج على الإمبراطور لأجل ما يناله رجاله من أجورٍ عالية، فنادى بـ«غلبا» إمبراطوراً، فما كان من نيرون إلا أن وضع بعض السم في صندوق صغير، وفر من بيته الذهبي إلى الحدائق السرفيلية الواقعة في طريق إستيا. وطلب قبل فراره إلى مَنْ كان في القصر من الضباط أن يرافقوه، فرفضوا جميعاً طلبه، وأنشد له أحدهم

بيتاً من شعر «فرغيل» يقول فيه: «وهل من الصعب على الإنسان إذن أن يموت؟». ولم يكن في مقدوره أن يصدق أن قد فارقه فجاء ذلك السلطان القاهر الذي كان سبباً في القضاء عليه، فأخذ يرسل النداء تلو النداء إلى الكثيرين من أصدقائه يطلب منهم النجدة، ولكن أحداً منهم لم يرد على رسالة من رسائله، فذهب إلى نهر التيبر يريد أن يُغرق نفسه فيه حتى إذا بلغه خارت قواه، وعرض عليه «فاؤون» أحد معاتيقه أن يُخبئه في بيته القائم على طريق سلاريا، فرحب نيرون بهذا الإقتراح، واجتاز في ظلام الليل على ظهر جوادٍ أربعة أميال من وسط المدينة إلى بيت فاؤون. وقضى تلك الليلة في مخزن الطعام، وعليه جلباب قذر، يتلوى من الجوع، لم يطف بجفنه النوم، ترتعد فرائصه خوفاً من كل صوت يقع على أذنيه. وجاء رسول فاؤون يبلغه أن مجلس الشيوخ قد نادى بأن نيرون عدو الشعب وأمر بالقبض عليه، وقرر أن يعاقبه حسب السُّنَّة القديمة. وسأل نيرون عن ماهية تلك السُّنَّة، فقيل له: إن الرجل المذنب يُجرد من ثيابه، ويُصلب جسمه في عمود بمسمار ذي شِعب يُدق في عنقه، ثم يُضرب حتى يقضي نحبه. وارتاع من هول هذا العقاب، فحاول أن يطعن نفسه طعنة تقضي عليه، ولكنه أخطأ إذ جرب سنان الخنجر أولاً فوجده حاداً لا يطيقه، فنادى قائلاً: أيُّ فنان يموت موتي! وسمع في مطلع الفجر وقع حوافر الخيل، فأدرك أن جنود مجلس الشيوخ قد أدركوه، فأنشد بيتاً من الشعر يقول فيه: «إستمعوا، ها هي أصوات الساعين إليَّ تقع على أذني».

ثم طعن نفسه بخنجرٍ في حلقه، ولكن يده اضطربت ووهنت فأعانه

«إيثروديتس» أحد معاتيقه على أن يدفع سن الخنجر إلى نهايته. وكان قد طلب إلى من حوله قبل موته أن يحولوا دون تشويه جسمه، وأجابهم رجال «غلبا» إلى ما طلبوا. وقامت مربياته العجائز و«ألتي» عشيقته السابقة بدفن جثته في قباب قصر درومتيوس (٦٨) وابتهج كثيرون بموته، وأخذوا يطوفون في أحياء روما وعلى رؤوسهم قلانس الحرية.

إنَّ نهاية الطغاة البائسة هي حتمٌ في سُنن التاريخ، فلا ترى فرقاً بين «عظيم» و«عظيم» وهم من الطغاة الذين استباحوا الدماء، والأعراض في سبيل ملاذهم الشخصية.

وما بُني على الوثنية المادية أو العلمية المادية التي لا تحمل المناعة الأخلاقية، ولا تؤمن إلا بالملاذ والمتاع فإن أسباب الزوال ستحيط به عاجلاً أم آجلاً، فالتأملات في الثورات والحركات تحكي اختزان القدرة على تجنيد الطاقات، والجهود للإطاحة بالطاغية المستبد.

*** أوضاع اليهود:**

كانت القرون الثلاثة ـ العاشر، والحادي عشر، والثاني عشر هي العصر الذهبي ليهود أسبانيا، وأسعد عصور التاريخ العبري الوسيط بفضل التسامح الديني الإسلامي. ويُذكر تدهور حال يهود أسبانيا من حين سقوط يوسف بن نجدلا. ذلك أنه كان يخدم الملك بكفاية لا تقل عن كفاية أبيه، ولكنه لم يكن ما كان لأبيه من تواضع وكياسة جعلتا سكان البلاد من المسلمين الأندلسيين يرتضون أن يتولى أمورهم يهودي. لذلك جمع السلطة كلها بيده، وتشبَّه بالملك في لباسه،

وسخر من القرآن. وتحدث الناس بأنه لا يؤمن بالله. ولهذا ثار العرب والبربر المسلمون عام ١٠٦٦ وصلبوا يوسف وقتلوه، وذبحوا أربعة آلاف يهودي من يهود غرناطة ـ على ما قيل ـ ونهبوا بيوتهم، وأرغموا الباقين من اليهود على بيع أراضيهم ومغادرة البلاد. وطلب الأمير يوسف بن تاشفين إلى جميع يهود أسبانيا أن يعتنقوا الإسلام ولكنه أعفاهم من هذا الأمر حين أدُّوا إلى بيت المال مبالغ طائلة من الجزية.

ولمَّا خلف الموحدون المرابطين في حكم مراكش وبلاد الأندلس الإسلامية (١١٤٨) خيروا اليهود والمسيحيين بين الإرتداد عن دينهم أو الخروج من البلاد. وتظاهر كثير من اليهود باعتناق الإسلام وهاجر كثير منهم مع المسيحيين إلى شمالي أسبانيا.

* لم يضارع اليهود في آدابهم الواسعة وثرائهم العقلي إلا المسلمون فيما بين، ١١٥، و١٢٠٠، وكان مما يسَّر لهم هذا النبوغ أنهم كانوا يعيشون بين المسلمين أو على اتصالٍ بهم، وأن كثيرين منهم كانوا يعرفون اللغة العربية فكان عالم الثقافة الإسلامية الثري بأجمعه ـ في العصور الوسطى ـ مفتوحاً أمامهم يغترفون من بحره الطامي في العلوم، والطب، والفلسفة، وبفضل وساطتهم أثاروا عقل العالم الغربي المسيحي بما بثوا فيه من تفكير المسلمين[١].

(١) قصة الحضارة ـ مجلد: ١٣ ـ ١٤ ـ ص٩٥ ـ ٩٦.

الفصل الرابع عشر

أسماء للتاريخ

* **جنكيز خان:**

ولد جنكيز خان (١١٦٣ ـ ١٣٣٧م تقريباً)، سمَّاه أبوه (تيموجين) بإسم أحد زعماء القبائل المنافسة المهزومة.

عندما كان شاباً أسرته إحدى القبائل المنافسة، ولمنع هربه وضعوا طوقاً خشبياً حول رقبته ومن خلال هذه الوضعية التعيسة استطاع ذلك الفلاح الأمي الصلب أن ينهض ليصبح أكثر رجلٍ وحشية في العالم.

وبدأ نجمه بالصعود عندما هرب من آسريه. لقد استطاع تيموجين أن يجعل جميع تلك القبائل تنضوي تحت رايته. وفي عام ١٣٠٦ لقَّبه مجلس القبائل المنغولية بإسم جنكيز خان أو إمبراطور العالم.

وفي عام ١٣١٩ قاد جنكيز خان جيوشه واستطاع تحطيم إمبراطورية الشاه محمد في خوارزم، وبينما كانت جيوش مغولية أخرى تهاجم روسيا، قاد جنكيزخان بنفسه غزوة إلى أفغانستان، وشمال الهند، وحاصر بغداد ثم رجع إلى منغوليا عام ١٣٣٥ ومات هناك عام ١٣٣٧.

لسنا نعرف في تاريخ الحضارات كله حضارة من الحضارات عانت من التدمير الفجائي ما عانته الحضارة الإسلامية على أيدي المغول.

فقد قدِموا إلى بلاد المسلمين وارتدُّوا عنها خلال أربعين عاماً، ولم يأتوا ليفتحوا ويقيموا بل جاءوا ليقتلوا، وينهبوا ويحملوا ما يسلبون إلى منغوليا[1].

* غزا جنكيز خان بلاد المسلمين وغيرها، إلى أن آلت الأمور بعده إلى أولاده متقاسمين الإمبراطورية المنغولية، ومن ثمَّ إلى «هولاكو» الذي قضى على جماعة الحشاشين قضاءً مبرماً، وعلى آخر زعمائهم ركن الدين الذي التجأ إلى حضنٍ ميمون مع العالم الكبير نصير الدين الطوسي، الذي نصحه بتسليم نفسه لكنه قُتل. وبقي نصير الدين الرياضي الفلكي المشهور، حيث حظي بمكانة عند «هولاكو» بوصفه منجِّماً للبلاط، ثم عهد إليه في إنشاء المرصد الفلكي الكبير في مدينة مُراغة بآذربيجان.

* غازان بن أرغون (١٢٩٥ ـ ١٣٠٤) حفيد هولاكو، اعتنق هو وجميع جيشه الإسلام، قبيل ارتقائه العرش، واختار المذهب السني، حتى إذا خلفه أخوه ألجايتو خُدابنده (١٣٠٩) رغب عن السنَّة إلى التشيع.

* أول مَن انتصر على سلاطين الهند وفتحها هو «تيمورلنك» الذي كان قد اعتنق الإسلام، وأكبر الذين توالوا على حكم الهند ثم جهان كير، وشاه جهان، وأورنجزيب الذي استطاع أن يحوّل قوماً من الهندوس إلى الإسلام.

---

(١) قصة الحضارة ـ وِل ديورانت.

وقد استطاع الهندوس والمسلمون أن يبنوا في وقتها في الهند حضارة من أرقى حضارات التاريخ الكبرى.

* في عام ١٥٠١ اغتال ناصر الدين أباه غياث الدين سلطان دلهي بالسم، بعد أن جرَّعه السم سابقاً مرَّتين ولم يمت. وفي المرة الثالثة مزج الإبن قطرات السم بكوبٍ من الشراب وقدَّمه إلى أبيه بنفسه، فتجرَّعه جرعة واحدة كان فيها موته.

* «تاج محل» في «أجرا» في الهند. قبر تلك الزوجة الحبيبة لشاه جهان ملك الهند المسلم الذي كان من جملة حكام وملوك المسلمين الذين فتحو الهند وحكموها. بناه وشيَّده اثنان وعشرون ألفاً من العمَّال المسلمين والهندوس، واستغرق بناءه اثنان وعشرون عاماً، ولا يكاد ارتفاعه يبلغ مائة قدم.

فرق بين الصناعة والفن، فعصرنا يتميز بالأبنية الضخمة، وسرعة البناء، والطوابق العشرين، والمائة وأكثر، لكن «تاج محل» أعظم وأعمق من حيث قوة العزيمة، والفن، والتزيين، والنقش، والستور، وأعمق من ذلك شاهد الزمن الذي أبقاه دليلاً على سمو النفس الإنسانية، وعزاءً لمن نحب على الأرض.

***نابليون بونابرت:**

ولد في «أجاكسيو» من جزيرة كورسيكا عام ١٧٦٩ بعد أن كانت فرنسا في شبه جزيرة أيبريا حيث غاصت الجيوش الفرنسية في مستنقع عجزت فيه عن التقدم، ولكن حماقة نابليون وخطأه الفادح ظهر في حملته على روسيا، ففي سنة ١٨٠٧ كان نابليون قد قابل القيصر وأقسم

الإثنان على الصداقة الأبدية في معاهدة تلست، ولكن هذا التحالف لم يدم طويلاً، ففي حزيران عام ١٨١٢ قاد نابليون جيشه إلى روسيا. وكانت النتائج محسومة، فقد تحاشى الجيش الروسي المعارك الضارية مع الجيش الفرنسي، وبذلك استطاع نابليون أن يتقدم في الأراضي الروسية سريعاً. وفي شهر أيلول كان قد احتل موسكو، ولكن الروس أشعلوا النار في المدينة، وأتلفوا ما أتلفوه حرقاً.

وبعد انتظار خمسة أسابيع في موسكو، قرر نابليون الإنسحاب، ولكن بعد فوات الأوان.

فقد استطاع الجيش الروسي ـ مستغلاً أول الشتاء الروسي القارس، والإمدادات الفرنسية غير الكافية ـ أن يحوّل الإنسحاب الفرنسي إلى هزيمة، فلم يرجع من «الجيش العظيم» سوى ١٠٪ فقط. حينها أدركت الدول الأوروبية (بريطانيا، ألمانيا) أن فرصتها قد سنحت لإزالة النير الفرنسي فاتحدوا جميعاً ضد نابليون في معركة ليبزغ عام ١٨١٣ حيث سُحقت جيوش نابليون. وفي السنة التالية استقال ونُفي إلى جزيرة ألبا على الشاطىء الإيطالي، ولكنه استطاع الهرب وعاد إلى فرنسا عام ١٨١٥. وبعد مائة يوم من رجوعه لاقى آخر هزيمة له في معركة «واترلو» الشهيرة حيث أُسر وسجنه الإنكليز مع حلفائهم في جزيرة القديسة هيلانة حيث قضى نحبه بالسرطان عام ١٨٢١.

* في «يافا» توقف نابليون أمام مدينة وحصن يدافع عنه ٢٧٠٠ مقاتل تركي، وبعد معارك ضارية استسلم جنود الحصن بعد أن عرض نابليون عليهم الأمان لكل مَن يستسلم، وسيقوا أسرى إليه، ولمَّا رأى

نابليون نفسه عاجزاً عن اصطحاب الأسرى معه ليسجنهم في القاهرة لقلة المؤنة، عقد اجتماعاً عسكرياً مع ضباطه وسألهم عن رأيهم في هذه المشكلة، فكان رأيهم قتل الأسرى، فقتل ٢٤٤١ منهم طعناً بالرماح لتوفير الذخيرة، وعفا عن نحو ٣٠٠ منهم.

هذا هو نابليون العظيم.

* «نوسترادادموس» زعم أنه طبيب، وفلكي، وكان بالفرنسية يُدعى ميشال دنوتردام. ارتضته «كاترين دمديتشي» منجماً شبه رسمي، وبَنَتْ له مرصداً في «ليزال» وفي عام ١٥٦٤ تنبأ لشارل التاسع بأنه سيعمر إلى التسعين، ولكنه مات بعد عشر سنوات في الرابعة والعشرين.

ترك هذا المنجِّم عند موته (١٥٦٦) كتاب تنبؤات صاغها بحيث تحتمل أحد معنيين يمكن أن يصدق على أيِّ حدثٍ في التاريخ اللاحق.

وله كتاب مترجم إلى العربية إسمه: تنبؤات أُستراد اموس». يعتقد بعض المسلمين أنَّ فيه إشارة إلى «المهدي المنتظر» وظهوره آخر الزمن، حيث يتنبأ بظهور أميرٍ عربي يحكم العالم، ويفهم البعض منه أنه المهدي

لكن هل يصدق المنجمون؟!

*** هتلر:**

نمساوي الأصل. كان سبباً في قتل حوالي ٣٥ مليون نسمة.

ولد عام ١٨٨٩ في «برانو» النمسا. خدم في الجيش الألماني وجُرح ونال وسامين لشجاعته. كان عسكرياً حازماً لا يشرب الخمر.

ترك انهزام المانيا في الحرب العالمية الأولى أثراً في نفسه فانضم

إلى حزب يميني صغير في ميونيخ، سُمِّي بالنازي. ثم ازدادت قوة هذا الحزب النازي تحت زعامة هتلر. ففي عام ١٩٢٣ حاول القيام بانقلابٍ ولكنه فشل، فاعتُقل وأُدخل السجن ثم أُطلق سراحه بعد أن أمضى فيه سنة واحدة.

وفي عام ١٩٣٨ زاد عدد المنتمين إلى الحزب النازي. وفي عام ١٩٣٣ أصبح هتلر مستشاراً ألمانياً.

استطاع هتلر أن يقلل البطالة، وأحدث انتعاشاً اقتصادياً في البلاد. ثم أخذ يعدّ ألمانيا إعداداً عسكرياً ممهداً للحرب العالمية الثانية لكشف عار هزيمة الحرب الأولى عن المانيا. وكان هتلر عند كل عملٍ من أعماله يهدد بالحرب إذا عمدت أية دولة على معارضة رغباته وأفكاره.

قررت إنكلترة وفرنسا أن تدافعا عن احتلال بولندة التي كانت الهدف الثاني لهتلر في الحرب العالمية الثانية.

فأعلنتا الحرب عليه إلا أن بولندة هُزمت بسرعة واحتلها في غضون بضعة أسابيع.

كانت السنة الذهبية لهتلر عام ١٩٤٠ حين التهمت جيوشه الدانمارك والنروج في شهر نيسان. وفي أيار احتل هولندة، وبلجيكا واللوكسمبرغ، ثم هُزمت فرنسا في حزيران ١٩٤٠ واحتلها خلال عشرة أيام. وفي أواخر ذلك العام صمدت بريطانيا ضد الغارات الجوية الألمانية ممّا فوت على هتلر كسب معركة بريطانيا.

ثم احتلت جيوشه اليونان، ويوغوسلافيا في نيسان عام ١٩٤١.

وفي حزيران من تلك السنة مزَّق هتلر معاهدة عدم الإعتداء على روسيا مع الروس وهاجمها، واستولت جيوشه على قسمٍ كبير من الأراضي الروسية إلا أنها لم تستطع أن تقضي على الجيش الروسي قبل حلول الشتاء الذي قضى عليها.

وفي عام ١٩٤١ من شهر كانون الثاني، أعلن هتلر الحرب على الولايات المتحدة الأميركية بعد بضعة أيام من هجوم اليابانيين على قاعدة الولايات المتحدة البحرية في «بيرل هاربور».

وفي منتصف عام ١٩٤٣ كانت ألمانيا تسيطر على أكبر قسمٍ من أوروبا، كما سيطرت على قسمٍ كبيرٍ من شمال إفريقيا.

ولكن نقطة التحول في الحرب حصلت في أواخر النصف الثاني لعام ١٩٤٣ عندما خسرت ألمانيا معركة العلمين في شمال إفريقيا، ومعركة ستالينغراد في الإتحاد السوفياتي. وبعد هذه النكسات بدأ نجم هتلر بالأفول. ومع أن هزيمة ألمانيا أصبحت وشيكة إلا أن هتلر رفض الإستسلام وظل يحارب مدة سنتين بعد معركة ستالينغراد. ولكن نهايته المرَّة حصلت في ربيع عام ١٩٤٥ عندما أقدم هتلر على الإنتحار في ٣٠ نيسان ١٩٤٥ في برلين بإطلاق رصاصة في رأسه بعد ما شعر بالهزيمة فعلاً، عندما دخلت جيوش الحلفاء (أميركا، بريطانيا، فرنسا، روسيا) العاصمة برلين ودمرتها تدميراً شبه كامل. وبعد سبعة أيام استسلمت ألمانيا للحلفاء وقسموها إلى شرقية وغربية، لتتوحد بعد ذلك عام ١٩٨٩ بدفع مبالغ طائلة للسوفيات، وشرط بقاء ألمانيا تحت المظلة الأميركية وفي حلف الناتو الأميركي، واستخدام بعض مطاراتها

(فرانكفورت مثلاً) للأغراض العسكرية. فمن يقدر على التخلص من هذا الوحش الإمبريالي الضاري إلا بتضحية نادرة وشجاعة فائقة!

إن الألمان يشعرون اليوم بالحاجة إلى «هتلر» يحررهم من النفوذ الأميركي. وتحاول النازية الجديدة الصاعدة في المانيا حالياً ذلك، ولكن بالفكر الهتلري السابق قد تكون القاضية على المانيا في ظل الأسلحة النووية الأميركية والترسانة النووية الروسية، عدا عن بعض الدول الأخرى التي تمتلك السلاح النووي أيضاً اليوم.

*** الإمام الخميني (قده):**

ولد الإمام روح الله الموسوي الخميني في «خمين» قرية من قرى إيران في عام ١٩٠٢م. درس العلوم الدينية حتى أصبح أحد مراجع إيران المعروفين. ناهض نظام شاه إيران محمد رضا بهلوي، الظالم المستبد، وقاد ثورة عظيمة - بحق - باعتراف قوى الغرب رغم انزعاجهم وقلقهم منها.

سجنه شاه إيران ثم نفاه وذهب إلى العراق، وقاد الثورة من هناك، ثم نفاه «صدام حسين» الرئيس العراقي قبل إعدامه إثر محاكمة له أبان احتلال العراق من قبل الأميركيين، فرحل إلى فرنسا، ومارس عملية قيادة الثورة من هناك إلى أن عاد إلى وطنه إيران عام ١٩٧٩ مظفراً معلناً وداعياً إلى قيام جمهورية إسلامية في إيران. وبعد عشر سنوات من توطيد أركانها رحل إلى الرفيق الأعلى ملبياً دعوة ربّه (١٩٨٩) وترك وراءه منزلاً متواضعاً من غرفتين، وزُهداً يُضرب به المثل، فلم يكن طامعاً بشيءٍ سوى تطبيق شريعة الله على الأرض، ونُصرة المستضعفين في العالم.

الفصل الخامس عشر

الأتــراك

العثمانيون

أصلهم من قبيلة صغيرة كان يتزعمها أميرها سليمان شاه الذي فرَّ من المغول وغرق في مياه نهر الفرات، في عهد أرطغرل إبن الأمير سليمان شاه.

وفي سنة ٦٨٧ توفي أرطغرل وخلفه على زعامة القبيلة عثمان الذي ينتسب إليه العثمانيون.

* اضطهد العثمانيون الشيعة، وأصاب منهم السلطان سليم الأول (٩١٨ ـ ١٥١٢) حوالي أربعين ألفاً بين مسجونٍ ومقتول. مضافاً إلى إحراق جميع كتب الشيعة.

* توفي عثمان عام ٧٢٧ فخلفه أورخان الذي أسس جيش الإنكشارية القوي، وفتح بروسة وأنقرة، وإمير، واتجه نحو أوروبا يفتح في أراضيها.

*** السلاجقة الأتراك:**

العثمانيون والسلاجقة الأتراك هم من ثوبٍ واحد.

وسُموا بالسلاجقة نسبة إلى سلجوق التركي الذي خرج مع قبائل الغزّ الذين دُعوا بالتركمان بعد دخولهم الإسلام.

اعتنقوا الإسلام في القرن الحادي عشر وقضوا على الدولة البويهية في فارس وامتد سلطانهم حتى آذربيجان والعراق. أحرق السلاجقة عند وصول أول ملوكهم طغرل بك ـ أول سلاطين السلاجقة وحفيد سلجوق ـ إلى بغداد، مكتبة دار سابور بن أردشير التي أنشأها أبو نصر سابور وزير بهاء الدولة البويهي في بغداد في محلة الكرخ، وذلك سنة ٣٨١. وكانت تضم شتى الكتب والتآليف من فارس والعراق والهند والصين والروم، وأكثرها كان بخطوط مؤلفيها.

أحرق السلاجقة هذه المكتبة العظيمة لا لشيء إلا لأن منشأها ليس على مذهبهم. وهرب أبو جعفر الطوسي متكلم الشيعة بالكرخ ـ كما يقول إبن الجوزي في حوادث سنة ٤٤٨ وأُحرقت مكتبته ونُهبت داره.

* بعد وفاة طغرل بك سنة ١٠٦٣ خلفه إبن أخيه ألب أرسلان الذي لم يكن قد بلغ الحلم بعد، فحكم بإسمه نظام الملك الذي كان وصياً عليه وتضامن مع «طغدكين» ـ أمير من أمراء التركمان ـ على غزو البيزنطيين وطردهم.

وفي عام ١٠٦٤ دارت معركة بين البيزنطيين وألب أرسلان في «ملاذكرد» في أرمينية هُزم فيها البيزنطيون وكانت هذه الهزيمة مفتاحاً لفتح آسيا الصغرى وسقوط القسطنطينية على يد محمد الثاني الملقب بالفاتح، وسيطرة الدولة العثمانية على البلقان والبحر الأسود وسواحل البحر المتوسط الشرقية، التي أصبحت كلها فيما بعد بأيدي الأتراك بعد أن ظهر بوضوح ـ بسقوط القسطنطينية ـ شكل جديد من أشكال الصراع بين الشرق والغرب.

والجدير ذكره أنه أيام نظام الملك ظهر الغزالي الذي اتهم بالزندقة وأُحرق كتابه بأجزائه كاملة ـ إحياء علوم الدين ـ وظهر الشاعر المرموق عمر الخيَّام الذي يُعتقد أنه توفي سنة ١١٣٢.

* كانت بلاد الأندلس قد أعلنت استقلالها عن الخلافة العباسية في عام ٧٥٦ وحذت حذوها مراكش في عام ٧٨٨ وتونس في ٨٠١ ومصر في ٨٦٨.

وفيما بين عامي ٩٣٩ و٩٤٤ استولت أسرة من الشيعة هي أسرة بني حمدان على شمالي الجزيرة والشام، ورفعوا من شأن حكمهم بأن جعلوا الموصل وحلب مركزين عظيمين من مراكز الحياة الثقافية في العالم الإسلامي. وكان سيف الدولة الحمداني (٩٤٤ ـ ٩٦٧) شاعراً بليغاً، اجتمع في بلاطه بحلب الفيلسوف الفارابي، والشاعر المتنبي واستولى بنو بويه أبناء أحد زعماء البلاد الجبلية المجاورة لبحر الخزر على أصفهان وشيراز، ثم استولوا آخر الأمر على بغداد نفسها في عام ٩٤٥.

وفي عام ٨٧٤ أقام أبناء سامان، من أتباع زرادشت، أسرة سامانية حكمت خراسان وما وراء نهر جيحون حتى عام ٩٩٩م. وفي عهد هذه الأسرة كانت بخارى وسمرقند مركزين للعلوم والفنون تنافسان بغداد نفسها.

ثم استولى الأتراك في عام ٩٩٠ على مدينة بخارى وقضوا في عام ٩٩٩ على الأسرة السامانية.

كان المسلمون في ذلك الوقت يحاربون ليوقفوا زحف الأتراك

نحو الغرب، كما ظل الرومان ثلاثة قرون يحاربون ليصدُّوا زحف العرب، وكما كافح الترك فيما بعد ليوقفوا تيار المغول الجارف.

* في عام ٩٦٣ غزا جماعة من المغامرين الأتراك القادمين من تركستان بلاد الأفغان. وكان يقودهم عبد محرر يدعى البتجين، واستولوا على «غزنة» وأقام فيها أسرة غزنوية. وخلف البتجين سبكتكين (٩٧٦ ـ ٩٩٧). وكان أول مولى من مواليه، ثم زوَّجه ابنته وقد مدَّ حدود ملكه حتى شمل بيشاور وبعض خراسان، ثم استولى إبنه محمود (٩٩٨ ـ ١٠٣٠) على جميع بلاد الفرس من الخليج الفارسي إلى نهر جيحون، وبعد سبع عشرة معركة حامية امتازت بضروب من القسوة أضاف البنجاب إلى ملكه، كما أضاف كثيراً من أموال الهند إلى خزائنه.

ولم يحل عام ١٠٠٠ م حتى كان فرع من أولئك الأتراك الذين يُسمون السلاجقة قد سيطروا على ما وراء نهر جيحون وعلى بلاد تركستان كلها.

ولقَّبَ الحكام السلاجقة أنفسهم بلقب سلطان، ولم يتركوا للخليفة إلا الزعامة الدينية.

* لم يفعل السلاجقة ببلاد الإسلام ما فعله المغول بعد مائتي عام من ذلك الوقت، فهم لم يخربوا البلاد التي فتحوها، ولم يمضِ عليهم إلا قليل من الوقت حتى أُشربوا روح الحضارة التي أقبلوا عليها، وبعثوا فيها من القوة ما استطاعت من خلالها أن تصمد أمام النزاع الطويل الذي استمر بين المسيحية والإسلام طيلة قرون ـ الذي نلقي عليه إسم الحروب الصليبية ـ وتخرج منه ظافرة منتصرة.

وفي القرن السادس للميلاد أصبح للأتراك دولتان قويتان امتدتا من منغوليا وتخوم الصين الشمالية حتى البحر الأسود.

وامتدت فتوح الأتراك السلاجقة إلى أرمينية في ١٠٦٠. وسقطت جنوى واستسلمت البندقية لمحمد الفاتح، ودمرت «جنوى» تدميراً كاملاً. وتوفي محمد الثاني في معسكره في تكنور جيري بين إسكودار (إسكدار) بآسيا وجقبسة الصغرى سنة ١٤٨١، وعمره ٥٢ سنة.

* قضى السلطان سليم بعد وفاة السلطان محمد الثاني على حكم المماليك بمصر سنة ١٥١٧ وحارب الشاه إسماعيل لنهوضه ضده بسبب اضطهاده للشيعة، وهدَّد أوروبا. وتوفي إثر مرض ألمَّ به في طريق عودته من استانبول إلى أدرنة في ٢ أيلول سنة ١٥٢٠.

ورقي إبنه سليمان العرش من دون معارضة، واحتلّ بلغراد عام ١٥٢١ وفتح رودوس، وتقدم نحو فيينا فحاصرها واضطر لرفع الحصار عنها لقلة المؤن. واحتلَّ المجر ودخل مدينة بودا وحوَّل كنيستها الرئيسة إلى مسجد. وقضى نحبه إثر مرض ألمَّ به، ولقبَّه الغربيون بلقب «العظيم».

* «بودا» كانت طوال ١٤٥ سنة دعامة الحكم العثماني في المجر، وسقطت تلك المدينة بعد شهرين من حصارها من قِبل الإمبراطورية الألمانية عام ١٦٨٦. وما أن بزغ فجر القرن التاسع عشر حتى وصلت الإمبراطورية العثمانية إلى حالة من الضعف والإنحطاط، وبدأت الدول التي كان قد احتلها العثمانيون في الشرق وأوروبا بالإستقلال من خلال

الثورات التي قامت بها. وبدأ العالم الإسلامي يفقد سطوته الحربية منذ تراجع الترك عن فيينا عام ١٦٨٣.

* بدأت الأمبراطورية العثمانية ـ التركية بالإضمحلال في عهد مراد الثالث (١٥٧٤ ـ ١٥٩٥) وكان مولعاً بالنساء، وأنجب مائة وثلاثة أطفال من عددٍ من الزوجات، وكانت «بافو» ـ وهي أمة من أسرى البندقية ـ الزوجة المحببة المحظية عنده، وكانت ذات نفوذ في السلطة، مسيطرة على زوجها الذي أُسر بمفاتنها، كما سيطرت على إبنها محمد الثالث (١٥٩٥ ـ ١٦٠٣) حين بدأ حكمه بعد مقتل أبيه (١٥٧٩).

* في شهر تموز ١٦٨٣ زحف العثمانيون الأتراك إلى فيينا وحاصروها. وفي آب زحف البولنديون بقيادة زعيمهم البولندي سوبيسكي، وقاد جيشه إلى الحرب المقدَّسة ليعينوا بذلك جميع العالم المسيحي المتخاذل بعد أن كاد المرض والجوع يفتكان بأكثر المدافعين عن فيينا، وقاد سويبسكي بشخصه جيش بولنده والإمبراطورية النمساوية في معركة من أجسر المعارك في التاريخ الأوروبي (١٢ أيلول ١٦٨٣) ولاقى نصف البولنديين حتفهم في هذه المعركة الصليبية، وعددهم خمسة وعشرون ألفاً ثم قفل راجعاً إلى بولنده صفر اليدين خائباً.

* ضَعُفت قوة الأتراك، وانهزموا عن أوروبا أيام سليمان القانوني، وكان سبب ذلك: الإنغماس في الرشاوى، والفساد النسائي، وتمرد جيش الإنكشارية ـ القوي المنظم والمعتمد عليه ـ لأجل قلة رواتبه المرة تلو الأخرى وتشتته، وتطور السلاح الغربي

المدفعي، وازدياد المعرفة التقنية في الغرب، وتخلفها في الشرق، وتوحُّد العالم المسيحي بمجمله ضدهم.

* ارتكب الأتراك مجازر ضد الأرمن زمن السلطان عبد الحميد في مدن البلاد الكبرى من تركيا عام ١٩٠٥ وفي طرابزون، والرَّها، واستانبول، وفي السنة التالية في ولاية بتليس.

وفي الحرب مع اليونان ضمت تركيا جزيرة كريت (أقريطش).

* بدأت الثورات في مقدونيا تزعج الإمبراطورية العثمانية، واغتيل وزير الحرب جمال باشا على يد أحد الأرمن في تفليس، الذي علَّق المشانق لشهداء ٦ أيار في لبنان حين كان تحت سلطته.

* خسرت تركيا الحرب العالمية الأولى (١٩١٤) وأخذت دول البلقان والدول التي كانت خاضعة لها تأخذ استقلالها. وتكبدت تركيا خسائر فادحة وسقطت إمبراطوريتها بهدنة «مودروس» الموقَّعة في ٣٠ تشرين الأول ١٩١٨ بعد أربع سنوات من الحرب الدفاعية اليائسة. ودخلت قوات الحلفاء: بريطانيا وفرنسا وروسيا واليونان تركيا، وهدَّدت تركيا بعواقب عدم الإنسحاب، واحتلت اليونان قسماً كبيراً من الأراضي التركية، وكان لها حساب كبير مع مصطفى كمال أو كمال أتاتورك، أي: أبو الأتراك.

أمام الضغوطات الأميركية، والتهديدات انسحب الحلفاء وبقي اليونانيون الذين سحقهم مصطفى كمال، وضمَّ جزءاً من جزيرة قبرص المتنازع عليها اليوم حيث يسكن فيها حالياً المعروفون بالقبارصة الأتراك.

*** مصطفى كمال (أتاتورك):**

أراد مصطفى أتاتورك إلغاء فكرة السلطنة أو الخلافة الإسلامية وإحلال العلمانية والقومية مكانها، وظهرت حركة «تركيا الفتاة» الداعية إلى القومية التركية، واستطاعت إعلان الدستور الجديد بزعامة أنور ونيازي بك اللذان كانا يتزعمان الحركة، وألغت حكم السلطنة أو الخلافة، وكان ذلك بثورة بيضاء (دون إراقة دم).

وأصبح كمال أتاتورك زعيم التحرير ورائد العمانية، ورئيس الدولة الذي دعا إلى إلغاء التعليم الديني في المدارس وقتها.

ومن نتائج هذه الدعوة كان تحجيم دور الإسلام، وجعله مسألة فردية مع الله، مضافاً إلى قانون إلغاء الحجاب في الجامعات الذي أُقر فيما بعد ولا زالت تركيا العلمانية تعمل به حتى اليوم رغم وصول حركة الرفاه الإسلامي إلى سدة الحكم في هذا القرن الحادي والعشرين التي تعمل ـ سلمياً ـ على إلغاء هذا القانون.

ماذا سيخبأ المستقبل بعد. . .؟ الله أعلم.

لقد عمل أتاتورك على تنشئة الجيش تنشئة علمانية قومية ولا يزال كذلك ـ علمانياً ـ حتى اليوم، ويشكل المفصل لأية حركة مناهضة للتغيير. تُرى هل تتغير الأمور؟!

* من نتائج الحرب العالمية الأولى: وقوع لبنان وسوريا وفلسطين ومصر والجزائر وبعض الدول الأخرى تحت الإنتداب البريطاني ـ الفرنسي، وظهور ثورات التحرير في سائر أنحاء العالم العربي، واغتصاب فلسطين واحتلالها عام ١٩٤٨.

الفصل السادس عشر

لبنانيـــات

الشهيد الأول

محمد بن جمال الدين بن مكي ولد عام ٧٣٤هـ في «جزين» من لبنان ـ إقليم تفاح جبل عامل. تلقى مبادىء العلم على والده الشيخ جمال الدين مكي بن الشيخ محمد شمس الدين في «جزين» وعلى الشيخ أسد الدين الصائغ الجزيني أبو زوجته وعم أبيه.

هاجر الشهيد الأول إلى (الحِلّة) وهو بعدُ لم يتجاوز السابع عشرة من عمره، فقد أجازه (فخر المحققين) بداره بالحلة أن يروي عنه و(الحلة) كانت يومها مركزاً كبيراً من مراكز الحركة الفكرية في الأوساط الإسلامية الشيعية.

واتصل بالعلامة فخر المحققين إبن العلامة الحلي، وحضر دروسه وأبحاثه، ودرس عليه أبواباً كثيرة.

وقد استجاز استاذه الكبير في رواية الحديث، وكُتب المتقدمين فأجازه. وشدَّ الرحال إلى كثيرٍ من الأقطار الإسلامية لتلقي العلم.

وأهم هذه الأقطار:

كربلاء، وبغداد، ومكة المكرمة، والمدينة. وكانت هذه الأقطار في القرن الثامن الهجري من أهم مراكز الثقافة الإسلامية، ولا سيما الحلة.

وأُتيح للشهيد الأول عن طريق هذه الأسفار أن يتفاعل مع الإتجاهات الفكرية المختلفة آنذاك.

فكان على معرفة تامة بآرائها وأفكارها، وكان كثير التردد على مجالس السنة وحلقاتهم، وكثير المطالعة لكتبهم، والإتصال بمشايخهم.

*** استشهاده:**

قضى الشهيد الشطر الأخير من حياته في دمشق زمن «برقوق» من ملوك الشراكسة أبان حكمهم على مصر والشام.

وكانت دمشق يومئذٍ تحت إمرة «بيدمر» مندوب أو ممثل «برقوق». وكان الشهيد في مجلسه حريصاً على عدم إثارة الخلافات المذهبية بين السُنَّة والشيعة، وكان قد كتب رسالته (اللمعة الدمشقية) ـ الواضحة في عدم التعرض لأي مذهبٍ آخر غير مذهب أهل البيتﷺ فيها ـ خلال سبعة أيام وهو في دمشق. لكن ماذا تفعل للحقد الدفين الذي كان يغلي في صدور بعض علماء السُنّة! فالفجوات ـ رغم محاولة سدها ـ كانت كبيرة، وكان الخلاف بين السُنَة والشيعة قلقاً إلى حدٍّ كبير. وقد بعث (علي بن مؤيد) حاكم خراسان وقتذاك إلى الشهيد رسولاً من قِبله يدعوه إلى خراسان ليكون مرجعاً للشيعة هناك إلا أنه بقي في دمشق واكتفى بكتابة رسالة (اللمعة الدمشقية) إليه لتكون فتاوى يستندون إليها في أحوالهم الدينية الشخصية والعامة منها.

ولمّا كان الوضع السياسي مضطرباً ـ خصوصاً في الشام مضافاً إلى الوضع الإجتماعي ـ ظهر في جبل عامل في تلك الأثناء شخص يدعى

«محمد الجالوش أو اليالوش» يدعو إلى مذهبٍ جديد مستغلاً الوضع الخلافي البارز بين السُّنَّة والشيعة. واستطاع من خلال أسلوبه أن يشد إلى جانبه جماعة من السُّذج سواء من السُّنَّة أو الشيعة على حدّ سواء، إلا أن جيش دمشق استطاع القضاء على جماعة «اليالوش» عند النبطية الفوقا، وقُتل زعيمهم وقائدهم «اليالوش» لكن أتباعه بقوا، وصارت الزعامة إلى رجلٍ يدعى يوسف بن يحيى، فحيكت مؤامرة ضد الشهيد باتهامه بأقاويل وإفتاءات كاذبة نُسبت إليه، وشهادات من جماعة السُّنَّة أو المتسنين من أتباع (ابن جماعة). وقُدِّمت دعوة ضده إلى قاضي بيروت. وقيل: قاضي صيدا. واعتقل الشهيد، وعُقدت محكمة ضده، ووجهت إليه تُهم أنكرها ولم يُقبل إنكاره لها، ثم حُبس بعد ذلك في السجن. ويقال: إنه كتب «اللمعة الدمشقية في السجن. ولمَّا خاف «بيدمر» حاكم دمشق من ثورة الناس عليه لإنقاذ الشهيد لمكانته وسمعته التي كان قد اشتهر بها، فكَّر في التخلص منه في أقرب وقتٍ ممكن. فأُخرج من السجن، وقُتل، وصُلب وهو ميت مقتول، ورُجم جسده بالحجارة.

قال عبد الحي بن العماد الحنبلي في شذرات مذهبه في أخبار مَن ذهب عن أحداث سنة ٧٨٦: «وفيها قُتل محمد بن مكي العراقي الرافضي. كان عارفاً بالأصول، والعربية، فشُهد عليه بدمشق بانحلال العقيدة، واعتقاد مذهب النُّصَيرية، واستحلال الخمر الصرف، وغير ذلك من القبائح. فضُربت عنُقه بدمشق في جمادى الأولى، وضُربت عنق رفيقه «عرفة» بطرابلس، وكان على معتقده»[(١)].

---

(١) شذرات المذهب في أخبار مَن ذهب ـ ج٦ ص٢٩٤.

*** آثار الشهيد:**

خلف الشهيد الأول وراءه تراثاً فقهياً كبيراً تجسد في كتبه التي ألفها ونذكر منها ما يلي:

١ ـ اللمعة الدمشقية:

رسالة فقهية كتبها جواباً لرسالة حاكم خراسان (علي بن مؤيد) التي كان يطلب إليه فيها أن يقدم عليه بخراسان ليكون مرجعاً للشيعة هناك كما تقدم. واحتلت (اللمعة) القمَّة من بين الكتب الفقهية الشيعية انتشاراً وتدريساً حتى اليوم.

٢ ـ (الدروس الشرعية في فقه الإمامية):

كتاب يشتمل على كثيرٍ من أبواب الفقه من الطهارة حتى الرهون.

٣ ـ (الألفية):

تشتمل على ألف واجب في الصلاة.

٤ ـ (النفلية):

رسالة تشتمل على ثلاثة آلاف نافلة في الصلاة.

٥ ـ (البيان):

كتاب في الفقه.

٦ ـ (ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة).

٧ ـ (غاية المراد في شرح نكت الإرشاد).

٨ ـ (القواعد والفوائد).

٩ ـ (أربعون حديثاً):

أكثرها في العبادات العامة.

١٠ ـ (خلاصة الإعتبار في الحج والإعتمار):

رسالة صغيرة في المناسك.

١١ ـ جواز إبداع السفر في شهر رمضان):

رسالة في تحقيق هذه المسألة بصورة مبسَّطة.

١٣ ـ (جوابات الفاضل المقداد):

وهي مجموعة الأجوبة على أسئلة الفاضل المقداد بن عبد الله السيوري تلميذ الشهيد، والبالغة سبعاً وعشرين مسألة.

١٣ ـ (أحكام الأموات):

رسالة فقهية في أحكام الأموات.

١٤ ـ (مجموعة الشهيد الأول):

وهي ثلاث مجلدات كبار.

١٥ ـ (جوابات مسائل الأطراوي):

مجموعة أجوبة الشهيد على مسائل السيد بدر الدين الحسن بن أيوب إبن نجم الدين الأطراوي العاملي تلميذ الشهيد.

١٦ ـ (مسائل إبن مكي):

وألفت في السنة التي استشهد فيها، وقيل: أنها آخر مؤلفاته.

١٧ ـ (جامع البين من فوائد الشرحين):

والشرحان للأخوين الأعرجيين السيد عميد الدين والسيد ضياء

الدين إبنا أخت العلامة الحلي وأستاذا الشهيد على كتاب (تهذيب طريق الوصول إلى علم الأصول) وقد جمع الشهيد بين فوائد الشرحيين وزاد عليهما فوائد أخرى.

١٨ ـ (حاشيته على الذكرى).

١٩ ـ (العقيدة):

رسالة صغيرة في العقيدة الإسلامية.

٢٠ ـ (اختصار الجعفريات):

٢١ ـ (مزار الشهيد):

وتسمى بـ(بمنتخب الزيارات) ويحتوي على جملة من الزيارات.

٢٢ ـ (المقالة التكليفية):

رسالة في العقائد والكلام.

٢٤ ـ (شرح قصيدة الشهفيني):

والقصيدة في مدح أمير المؤمنين عليه السلام.

*** ختاماً:**

إننا لنقرأ اليوم في كتب الشهيد، فما عثرنا في أيّ منها على دعوى اعتقاده بمذهب النصيرية العلوية، ولا استحلاله الخمر الصرف ولا غيره، لكن الحقد المذهبي ـ كما هو واضح ـ كان هو الحكم في المسألة، فكان سريع اللقاء بربه بثوب الشهادة الذي اختاره له في (٧٨٦هـ).

الشهيد الثاني
(٩١١ ــ ٩٦٦)

زين الدين الجُبعي العاملي ـ ولد عام ٩١١هـ. للثالث عشر من شهر شوال في بلدة جُباع من لبنان من قرى جبل عامل. فتح عينيه على بيت العلم والفقه وترعرع فيه. فكان والده من كبار علماء وأفاضل عصره، وتربى على يديه علماً وفضلاً. ودرس على الشيخ الجليل علي بن عبد العالي الكركي في ميس الجبل ـ قرية من قرى عاملة ـ وقرأ عليه: (شرائع الإسلام) و(الإرشاد) و(القواعد).

درس الفقه في مدينة (بعلبك) من لبنان في البقاع على المذاهب الخمسة.

وقد هيّأ له جوه العلمي، وحبه للعلم والدراسة حياة كانت سلسلة من العمل والنشاط العلمي الدؤوب، فسعى إليه حيثما توجه طالباً له، مذاكراً ومباحثاً فيه، ولمّا كان قاصداً للعلم أينما كان بدا له أن ينتقل من (ميس الجبل) إلى (كرك نوح) حيث يقيم الشيخ علي الميسي، وكان الشيخ علي زوج خالة الشهيد، وتزوج الشهيد بعد ذلك بابنة الشيخ علي.

وفي (كرك نوح) حضر أبحاث السيد حسن بن السيد جعفر مؤلف كتاب (المحجة البيضاء). ولكن لم يمضِ عليه سبعة أشهر حتى عاد إلى وطنه.

وفي شهر جمادى الآخرة سنة ٩٣٤ غادر (كرك نوح) إلى (جُبع) مسقط رأسه وبقي إلى سنة ٩٣٧ غادر بعدها إلى دمشق، وظل فيها سنة واحدة، حضر فيها دروس المحقق الفيلسوف شمس الدين محمد بن مكي.

وفي ٩٣٨ عاد إلى وطنه. وفي أوائل سنة ٩٤٣ رجع الشهيد مرة أخرى إلى دمشق، فاجتمع بالشيخ شمس الدين بن طولون الدمشقي الحنفي، كما اتصل بآخرين من علماء دمشق.

لم تقف به همته عند هذا الحد، فصمم سنة ٩٤٣ على أن يغادر دمشق إلى مصر. وبلغ مصر يوم الجمعة منتصف شهر ربيع الآخر من سنة ٩٤٣.

والتقى الشهيد في مصر بكبار الفقهاء والمحدثين والمفسرين من أصحاب مختلف المذاهب الإسلامية. وقرأ على كثيرٍ من شيوخ الفقه والحديث والتفسير. ثم غادر مصر إلى الحجاز. وكانت مدة إقامته في مصر ثمانية عشر شهراً. وبعد قضاء الحج والعمرة رجع إلى مسقط رأسه (جُبع).

قال إبن العودي[1]: «أخبرني قدس الله نفسه ـ وكان في منزلي بجزين متخفياً من الأعداء ليلة الإثنين ١١ صفر سنة ٩٥٦ ـ أن ابتداء

---

(١) تلميذه الخاص وملازمه الدائم.

أمره في الإجتهاد كان سنة ٩٤٤، وأن ظهور اجتهاده وانتشاره كان في سنة ٩٤٨ فيكون عمره لما اجتهد ٣٣ سنة».

وسافر الشهيد إلى القسطنطينية، المعروفة بـ«تركيا» اليوم. ودام سفر الشهيد في البلاد الرومية ما يقرب من تسعة أشهر، واتصل خلالها بكثيرٍ من علمائها وأعيانها. ولم يشأ أن ينهي سفرته هذه ويعود إلى وطنه قبل أن يذهب إلى العراق ليزور المراقد المطهرة.

وبعد ما أنهى الشهيد زيارته للأعتاب المقدسة توجه إلى بعلبك وكان وصوله إليها في منتصف شهر صفر من سنة ٩٥٣. واشتغل بالتدريس والإفتاء على المذاهب السنية ومذهب الشيعة.

يقول إبن العودي:

«كنت في خدمته في تلك الأيام - ولا أنسى وهو في أعلى سنام، ومرجع الأنام، وملاذ الخاص والعام - يفتي كل فرقة بما يوافق مذهبها. ويدرس في المذاهب كتبها».

وبقي الشهيد في بعلبك إلى سنة ٩٥٥. وهذا التاريخ كان خاتم أوقات الأمان والسلامة.

*** آثار الشهيد:**

ترك الشهيد الثاني من بعده جملة من الكتب المهمة نذكر منها:

١ - (الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية).

واحتل هذا الكتاب مكانة مرموقةً بين الكتب الفقهية.

٢ - (روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان).

٣ ـ (مسالك الأفهام في شرح شرائع الإسلام).

٤ ـ (تمهيد القواعد الأصولية والعربية).

٥ ـ (حاشية الإرشاد).

٦ ـ (حاشية على الشرائع).

٧ ـ (التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية).

٨ ـ (منية المريد في آذاب المفيد والمستفيد).

٩ ـ (مسكن الفؤاد عند فقد الأحبة والأولاد).

١٠ ـ (جوابات المسائل).

١١ ـ (نتائج الأفكار في حكم المقيمين في الأسفار).

١٢ ـ (شروح الألفية).

١٣ ـ (الفوائد الملية في شرح النفلية).

١٤ ـ (حقائق الإيمان).

ويسمى في بعض المصادر «تحقيق الإيمان والإسلام» أو «حقيقة الإيمان والإسلام».

١٥ ـ (حاشية قواعد الأحكام).

١٦ ـ (منظومة في النحو). .

١٧ ـ (الدراية وشرحها).

١٨ ـ (البداية في سبيل الهداية).

١٩ ـ (جواهر الكلمات في صيغ العقود والإيقاعات).

٢٠ ـ (رسالة في عشرة علوم).

وهي الرسالة التي كتبها في القسطنطينية وقدَّمها إلى بعض الأفاضل واستحصل على تصريح في المدرسة النورية ببعلبك.

٢١ ـ (غنية القاصدين في معرفة اصطلاحات المحدثين).

٢٢ ـ (منسك الحج والعمرة).

٢٣ ـ (كتاب الرجال والنسب).

٢٤ ـ (كشف الريبة عن أحكام الغيبية).

٢٥ ـ (وجوب صلاة الجمعة).

٢٦ ـ الإقتصاد والإرشاد).

هذه معظم مؤلفات الشهيد التي تركها، وهي ثمار أخرى تنضم إلى ثمار مَن سبق، وثمار مَن يأتي لتكون غذاءً نافعاً طيباً، ونوراً لمن يسلك سواء السبيل.

والسلام على مَن شهد بالحق، واستشهد في سبيل الحق.

أحداث ومعارك

جاء مار مارون إلى لبنان في الوقت الذي كان فيه النصارى مختلفين بين قائلٍ بإلوهية السيد المسيح وبين قائلٍ ببشريته، وذلك في القرن الرابع الميلادي، وكان قد بلغ عدد القائلين بالألوهية ٣٥٠ مارونياً قتلهم النساطرة واعتبرهم الموارنة شهداء.

* كان مار مارون قد عاش في جبال قورش أو بلاد ما بين النهرين في حماه، والجبال المحيطة بحلب ثم أتى إلى لبنان.

* معركة «كفر رمان» كانت بين الشيعة من آل صعب بزعامة الشيخ نصيف النصّار، والدروز بزعامة الشيخ يوسف الشهابي.

وكان سببها قتل شيعيين في كروم الدروز ورفض تسليم القتلة إلى عميد آل صعب: علي بن أحمد الفارس. فقتل الشيعة أربعة من الدروز مقابلهم، فزحف الشيخ يوسف الشهابي إثر ذلك إلى مناطق الشيعة إنتقاماً وثأراً، من جباع إلى شوكين فحبُّوش، والنبطية، وكفررمان حيث انهزموا هناك شرَّ هزيمة. وتعقب الشيخ نصيف النصّار الشيخ يوسف الشهابي وألقى القبض عليه، وقال له: عفوت عنك رأفة بشبابك واحتراماً لأسرتك، وأنا إبن نصّار. فأجابه: قدّها أولاد أم علي.

وحدَّثت شيخة هرمة من آل الحاج علي، وكانت ممن شهد المعركة، قالت: كانت الفتيات تمد عسكر الشيعة بالماء، والعتاد، والأغاني الحماسية ينشدنها: «وين راحوا أولاد أم علي» «وين سياج العذارى» «وين بني متوال يا عز الرجال».

ويقول الأمير حيدر الشهابي في تاريخه المجلد الأول صفحة ٩١: أنَّ عدد قتلى «كفررمان» من الدروز كان ألف وخمسماية قتيل، ويقول مؤرخو جبل عامل أن عددهم كان ما يزيد على ٣٠٠٠ قتيل.

ووصلت نجدة الشيخ ظاهر العمر في فلسطين وكان موالياً للشيعة، بقيادة ولديه الشيخ علي والشيخ عثمان، بعد نهاية الحرب.

وكان يوسف الشهابي عميلاً للعثمانيين ضد المتمردين الشيعة في جبل عامل.

* استسلم الأمير فخر الدين المعني الكبير آخر الأمر للعثمانيين، وأُخذ إلى استانبول حيث أعدم وحُزَّ رأسه في ١٣ نيسان ١٦٣٥م.

* الشيخ نصيف النصار بطل جبل عامل، حملته الجرأة والشجاعة على منازلة جيش أحمد باشا الجزار بخيله القليلة، فزلَّت قدم جواده على بلاطة «يارون» وعاجله بعض الجنود بإطلاق الرصاص عليه فخرَّ قتيلاً.

وكان قد أذاق جند الجزار المرارات عدة مرات، في كل هجمة له على جبل عامل، وكان حصنه وأتباعه في قلعة «تبنين».

وبعد مقتله، شاع الخراب والتدمير، ونشبت الخلافات بين الأمراء، وأُحرقت الكتب وزاد الإضطهاد للشيعة، ودانت للجزار فلسطين أيضاً بعد موت ظاهر العمر. ورغم وضع الشيعة المأساوي فقد ظلوا يشنون حرب

العصابات ضد الجزار والحكم العثماني، إلى أن مات الجزار وتولى الإدارة الوالي سليمان باشا حيث جمع الأفرقاء من شيعة وموارنة في قصر الأمير بشير في بيت الدين بعد الإتصالات والإطمئنانات وكان يمثل الشيعة آنذاك الشيخ فارس النصيف الذي أكرمه الوالي.

وفي بلدة «الزرارية» اتُخذ مقرٌ له كشيخ للمشايخ. وعلى نفقة الدولة بُنيت فيها دار للرئاسة.

ولما اشتد الخلاف بين عبد الله باشا الخزندار ـ والي عكا الذي خلف سليمان باشا ـ وبين درويش باشا والي الشام، خاض الشيعة الحرب معه في معركة المزّة، ومعركة جسر بنات يعقوب وأبلوا بلاءً حسناً، إلى أن احتلَّ الجيش المصري سوريا بقيادة إبراهيم باشا، الذي ألغى النظام الإقطاعي. وسقطت الحكومة الإقطاعية الثانية بعد الجزار وعبد الله باشا في جبل عامل، وبقي الوضع أفضل حالاً إلى أن جاء الإنكليز وحكموا البلاد.

*** قلعة الشقيف:**

حاصرها الجزار أحمد باشا بعد أن اعتصم فيها ولجأ إليها الشيخ حيدر الفارس وأتباعه، وبعد الإقتتال في «يارون» (١٧٧٦ ـ ١٧٨١) ومقتل الشيخ العاملي نصيف النصّار وأخيه أحمد ومَن معه. حاصرها الجزّار شهراً كاملاً، اضطرّ بعدها الشيخ حيدر إلى الإستسلام ـ وكان معه ما يقارب ٣٠٠ عائلة ـ بموجب اتفاقٍ أدّى إلى خروجهم باحترام وعدم التعرض لهم بأي أذى.

وعاش أهالي جبل عامل طوال فترة الإحتلال العثماني وبعده حالة

الإستنفار الدائم وشنّ حرب العصابات التي سُميت بـ«الطُّيَّاح» في سبيل العيش بعزة وكرامة وعدم العيش تحت ظلِّ أي مستعمرٍ أو مستبد.

وبنهاية الشيخ فارس نصيف النصّار، تنتهي مرحلة مهمَّة من تاريخ جبل عامل ليخضع سنة١٨٣١ كباقي بلاد الشام للحكم المصري.

* كانت الأحداث في سنة ١٧٠٢ و١٧٥٩ و١٧٦٤ بداية إعلان تاريخ تهجير الشيعة من شمال لبنان، ومن مقاطعات جبة بشري، وجبيل والبترون، التي كانت بأيدي آل حمادة الشيعة، الأمر الذي لم يكن ليروق لموارنة الشمال، فبدأوا من أواخر القرن التاسع عشر يبعثون إلى الملك لويس الرابع عشر (١٦٤٣ ـ ١٧١٥) بأنهم يتعرضون للظلم من قِبل مشايخ آل حمادة. وشهد عام ١٧٥٩ ثورات للموارنة على آل حمادة تمكنوا من خلالها تأمين السيادة على تلك البلاد، وفي عام ١٧٦٤ تمكن الأمير يوسف الشهابي من إنهاء حكم آل حمادة في بلاد جبيل بمساعدة سعد الخوري مستشاره، بجمع المال من الموارنة وإعطاءه لعثمان باشا الكرجي والي دمشق لكسب تأييده وإظهار أنهم ملتزمون معه بتأدية ما عليهم، عدا عن نيل التأييد من الفاتيكان بالرسائل، وإقامة الصلات معها. وقد وجد الموارنة في الأمير يوسف الشهابي ضالتهم، ولم يكن آل حمادة ليستسلموا بسهولة بعد حكم وسيادة استمرت لقرنٍ من الزمن. واشتبك الفريقان ودارت معركة انتهت لصالح الموارنة وفرار آل حمادة إلى الكورة ومن ثم عاد الموارنة وطردوا الشيعة من الكورة ومنطقة جبيل وكسروان بوسائل الضغط والإرهاب لإجبارهم على بيع الأراضي بثمن بخسٍ أو الفرار أو الاضطرار إلى التنصر كي يسلموا ويبقوا في أرضهم.

وبذلك بدَّل الأمير يوسف الشهابي وجه لبنان ليجعله مسيحي ـ ماروني الهوية ظناً منه أنه سيتمكن بعد ذلك من بيروت والجبل.

* بعد الحرب العالمية الأولى، واقتسام المنطقة الشرق أوسطية بين الإنكليز والفرنسيين، ووفقاً لمعاهدة سايكس بيكو، طالب البريطانيون الفرنسيين بتوسعة نفوذهم على جزء من الأراضي اللبنانية التي كانت تحت النفوذ الفرنسي، لمصلحة الكيان الإسرائيلي وأصبحت القرى التي عُرفت فيما بعد بالقرى السبع، ضمن الأراضي الفلسطينية، وبعد ممانعة لبنانية لا تُذكر آلت الأمور إلى تحقيق ذلك (٢/ ٢/ ١٩٢٦) حيث سُلخت هذه القرى عن لبنان. وهي: هونين، صلحا، طيربيخا، المالكية، قدس، النبي يوشع، إبل القمح، وبلدة مروحين المقتسمة اليوم بين الحدود اللبنانية الجنوبية، والكيان الصهيوني.

*** هونين:**

قرية على أواخر جبل عامل من جهة الشرق، على جبل وفوقها جبل ينسب إليها، ويقابلها من المشرق جبل بانياس، وترتفع عن سطح البحر نحو ٦٦٠م. شمالاً منها قلعة شيدها الصليبيون عام ١١٧٩ وسقطت بأيدي المسلمين، ثم عادت إلى أيدي الصليبيين إلى أن استعادها الظاهر بيبرس في العام ١٢٦٦.

سكانها كلهم من الشيعة، كانت في فترة من فتراتها مقراً لقبلان الحسن من آل علي الصغير، وذلك في عهد الشيخ نصيف النصَّار. وفيها مسجد يعود تاريخه إلى عام ١١١٦.

وفي أعلى الجبل الذي فوق هونين بينها وبين المنارة، شجرات ضخمة تسمى شجرات العبابيد.

أراد اليهود شراء هونين قبل ١٩٤٨ من ضمن مخططٍ لهم اشتروا من خلاله بعض الأراضي الفلسطينية كسهل الحولة المتصل بأراضي هونين. فتدخل بعض السماسرة اللبنانيين في عملية البيع وعرضوا على الأهالي مبالغ كبيرة كي يغروهم بالبيع. وكان السماسرة بين مالكي الأرض في الجنوب وبين الشركة الصهيونية ـ التي يمثلها شقيقان لبنانيان أحدهما من كبار الأثرياء ـ من آل الأسعد. وكانت هونين نفسها ملكاً لأهالي هونين، ولم تكن كلها ملكاً لأحمد الأسعد وآله، بل إن فريقاً من أهلها كانوا قد اشتروا قسماً ليس بالقليل منها من آل الأسعد، ورفضوا البيع لليهود. ورغم كل الصيحات، باع أحمد الأسعد هونين، والمنارة، وكل تلك السفوح والذروات وأوسع المساحات امتداداً لليهود.

اشترى اليهود هونين والمنارة في عشر الثلاثين، أي: قبل قيام دولتهم بأكثر من عشر سنين، ولم يقوموا بشيء وتركوا أهلها فيها حتى إذا قامت دولتهم سنة ١٩٤٨ شردوهم وهدموا البلدة وبنوها من جديد يهودية البنيان والسكان[١].

ولما خطط الصهاينة حدودهم ضموا قسماً من الأراضي اللبنانية إلى حدودهم وهي القرى المعروفة بالقرى السبع، بكل سلامٍ وهدوء.

*** الإمام السيد موسى الصدر:**

عالم لبناني الأصل إيراني الجنسية. من علماء جبل عامل الذين جاهدوا وأسسوا لشيعة لبنان مهدوري الحقوق وقتذاك. غاب عن

(١) دائرة المعارف الإسلامية الشيعية للمرحوم السيد حسن الأمين.

الشيعة ضمن مؤامرة حيكت له. وكان مع رفيقيه الشيخ محمد يعقوب والصحافي عباس بدر الدين وذلك في ٣١ آب ١٩٧٩م.

وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر.

*** بيروت الأثرية:**

تمَّ اكتشاف آثار فيها تعود إلى:

١ ـ العصر الحجري ـ الفينيقي.

٢ ـ أدوات تعود إلى العصر النحاسي (٤٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ ق.م).

٣ ـ آثار صليبية. كنيسة يوحنا المعمدان التي بناها فرسان مستشفى القدّيس يوحنا التي تشكّل اليوم الجامع العمري المعروف.

٤ ـ آثار رومانية ـ إسلامية (صلاح الدين).

وفي عام ٥٥١م ضربت بيروت هزة أرضية مفجعة غيَّرت معالم وآثار كثيرة.

* حكم العثمانيون سوريا ولبنان مدة ٤٠٠ سنة وسنتين. وخضعت بيروت مسبقاً للمصريين والفرس واليونانيين ودخلت تحت السيادة الصليبية سنة ٥٠٣ لتعيش تحت وطأة الإحتلال الأوروبي زهاء قرنين من الزمن.

* «بيروت» لفظة سامية تعني الآبار، لذلك يرجح أن سكانها كانوا يستعملون لغة سامية، وكانت مدينة تجارية لا يتجاوز عدد سكانها الـ١٦ ألف نسمة.

* في ٣١ تشرين الأول عام ١٩٤٨ ارتكبت العصابات الصهيونية

بعد احتلالها لفلسطين بمساعدة البريطانيين ودعمهم مجزرة دير ياسين ثم مجزرة حولا الشهيرة التي لن تمحى من وجه التاريخ كسائر المجازر الأخرى، وهذه لائحة أسماء شهداء مجزرة حولا من على قبورهم:

١ ـ أحمد حسن بعلبكي	٢ ـ أحمد ديب عبود
٣ ـ آمنة محمد الغني	٤ ـ حسن محمد خليل أيوب
٥ ـ حسين محمد أحمد	٦ ـ حسين محمود فرحات
٧ ـ دخل الله فحص	٨ ـ ست الكل علي حسين
٩ ـ عبد الأمير سليم	١٠ ـ عبد الكريم نصر الله
١١ ـ عبد الله محمد فاعور	١٢ ـ علي أحمد شريم
١٣ ـ علي محمد مزرعاني	١٤ ـ محمد عبد الحسين سليمان
١٥ ـ محمد جواد قاسم	١٦ ـ محمود علي فرحات
١٧ ـ نمر أحمد ضاهر نصر الله	١٨ ـ أحمد محمد حدرج
١٩ ـ أحمد قاسم فاضل	٢٠ ـ أيوب خليل فارس سليم
٢١ ـ حسن علي حمود	٢٢ ـ حسين علي حسين
٢٣ ـ حسين محمد مصطفى	٢٤ ـ ديب عبود عبود
٢٥ ـ سكنة أحمد فوعاني	٢٦ ـ الشيخ عبد الحسين سليمان
٢٧ ـ عبد الكريم يعقوب	٢٨ ـ الطفل عدنان أحمد عبود
٢٩ ـ علي حسين علي حسين	٣٠ ـ كامل خليل علي حسين
٣١ ـ محمد أحمد شريم	٣٢ ـ محمد إبراهيم ياسين
٣٣ ـ ملحم خليل أيوب	٣٤ ـ يوسف محمد سعيد مزرعاني
٣٥ ـ أحمد إبراهيم سليم	٣٦ ـ أحمد قاسم قطيش
٣٧ ـ توفيق توفيق دُغمان	٣٨ ـ حسن حسين خاروق

٣٩ ـ حسين أحمد ديب غنوي
٤٠ ـ خديجة حسن ياسين
٤١ ـ زاهره زهوي ملحم
٤٢ ـ شوشان أيوب
٤٣ ـ عبد الحسين شبيب شريم
٤٤ ـ عبد الله سلوم
٤٥ ـ علي حسن حمود
٤٦ ـ علي محمود علي حسين
٤٧ ـ محمد أحمد علي حدرج
٤٨ ـ محمد هزاع علي حسين
٤٩ ـ محمد حسين ياسين
٥٠ ـ منصور مصطفى
٥١ ـ الطفل يحيى محمد جواد قاسم
٥٢ ـ أحمد ظاهر شحرور
٥٣ ـ أمنة محمد حمود
٥٤ ـ جواد علي الأمين
٥٥ ـ حسن توفيق دغمان
٥٦ ـ حسين مصطفى غنوي
٥٧ ـ خليل موسى رزق
٥٨ ـ زينب سليمان يونس
٥٩ ـ ظريفة عباس عبود
٦٠ ـ الشيخ عبد الخالق مزرعاني
٦١ ـ عبد الله قاسم طاهر
٦٢ ـ علس سليم سليم
٦٣ ـ علي محمد أحمد قطيش
٦٤ ـ الطفل محمد حسن علي حمود
٦٥ ـ محمد علي فاعور
٦٦ ـ محمود قاسم طاهر
٦٧ ـ نصر الله خليل نصر الله

هذا عدا عن مجزرة «قانا» التاريخية في ١٨ نيسان ١٩٩٦ التي ارتكبها الإسرائيليون بحق الأهالي في جنوب لبنان في مقرّ الكتيبة الفيدجية التابعة لقيادة قوات الطوارىء الدولية، التابعة للأمم المتحدة حيث تجمع الأهالي هناك ـ شيوخاً، ونساءً، وأطفالاً ـ اعتقاداً منهم بأنه مركز آمن، وأن الإسرائيليين لن يقصفوا مركز قوات الطوارىء، فما كان من اليهود الصهاينة إلا أن قصفوا مكان التجمع مرتكبين بذلك أبشع مجزرة مدنيّة في تاريخ لبنان.

*** لائحة أسماء شهداء مجزرة قانا:**

بلغ عدد شهداء مجزرة قانا حتى آخر شهر نيسان ١٠٦ شهداء، وهناك ١٨ جثة لم يتم التعرف إلى أسمائها، وكُتِبَ على أكفان أصحابها «امرأة مجهولة» أو رجل مجهول» أو «طفل مجهول» وذلك لشدة ما لحق بها من تشويه، والشهداء كانوا من قرى مختلفة:

٢٧ شهيداً من عائلة بَلْحَصْ من بلدة «صِدّيقِينْ» وعشرة شهداء من عائلة «البرجي» من «قانا» وتسعة أشخاص من عائلة «ديب» من بلدة رشكناناي» وثمانية أشخاص من عائلة «جعفر» من «صِدّيقين» وسبعة أشخاص من عائلة «خليل» من جبال «البُطم» و٢١ من عائلة «إسماعيل» التي لم يبقَ منها إلا عبد الحسن عبسا الذي ظل لهول الصدمة ٣ أيام في غيبوبة.

ومن بين الشهداء مسيحيتان وافقت المراجع المسيحية على دفنهما مع بقية شهداء قانا، وهذه أسماء الشهداء:

*** شهداء بلدة قانا:**

حسين عباس	إسماعيل البرجي
فاطمة حسين البرجي	نوال حسين إسماعيل البرجي
الحاج عباس إسماعيل البرجي	مصطفى إسماعيل البرجي
ليلى مصطفى البرجي	نبيه علي إسماعيل البرجي
محمد علي إسماعيل البرجي	مريم علي إسماعيل البرجي
حسن علي إسماعيل البرجي	حسين علي قعفراني
أحمد إبراهيم جابر	إلهام أحمد جابر
جميلة محمد ديب	أحمد سليم حيدر

فوزية أحمد حيدر
حسن أحمد حيدر
جورجيت مخايل الحاج
سكينة شريف ديب
محمد أحمد ديب
عبد المحسن حيدر بيطار
عبد الهادي حيدر بيطار
هادي عبد الودود رمال
نهلا يوسف هيدوس (عراقية)

*** شهداء بلدة رشكناناي:**

سكينة رشيد شريف ديب
محمد أحمد ديب
مريم قاسم ديب
علي أحمد ديب
سعدية علي ديب
محمد حسين ديب
حمزة حسين ديب
صادق أحمد ديب

*** شهداء بلدة صِدّيقين:**

محمد علي فياض بَلْحَصْ
فاطمة سعد الله بلحص
زهرة سعد الله بلحص
خديجة سعد الله بلحص
آمنة سعد الله بلحص
حسين رحمة الله بلحص
أحمد رحمة الله بلحص
قاسم رحمة الله بلحص
رحمة الله علي بلحص
زهرة رحمة الله بلحص
عباس علي بلحص
زهرة علي بلحص
فاطمة علي بلحص
حسن علي بلحص
غادة محمد عطوي
زينب خليل مرعي
محمد سعد الله بلحص
مريم رحمة الله بلحص
حسن علي رحمة الله بلحص
عليا محمد عزام
فهمية محمد عزام
هيام شوقي بلحص

عبدالكريم عادل بلحص	فاطمة شوقي بلحص
أحمد شوقي بلحص	محمد شوقي بلحص
علي حسن إبراهيم بكري	زهراء حسن إبراهيم بكري
علي حسين جعفر	سامية علي جعفر
رامي علي جعفر	محمد علي جعفر
حمدة علي جعفر	هيام علي جعفر
إبراهيم علي جعفر	نانا علي جعفر
غالب سعد الله بلحص	فياض سعد الله بلحص
إبراهيم سعد الله بلحص	نائلة سعد الله بلحص
حسن علي رحمة الله بلحص	ريما عبد الحميد فبيه (بلدة القليلة)

*** شهداء بلدة جبال البُطم:**

إبراهيم أحمد تبقي	دنيا إبراهيم تقي
قاسم محمد خليل	حسين قاسم خليل
محمد قاسم خليل	مريم علي خليل
حسام ياسين خليل	علي ياسين خليل
حسن قاسم خليل	

وما كترث الإسرائيليون لشناعتهم هذه، بل حتّى صرّح أحد قادة الجيش الصهيوني الإسرائيلي لضبّاطه: «ألاّ تأسفوا، إن هؤلاء العرب زبالة».

إنَّ مَن يقاتل الناس ويحاربهم بهذا الفكر، وبهذا الأسلوب، فليتوقع المعاملة بالمثل لأنها ضرورة من ضروريات حربه الجبانة حينئذٍ[1].

---

(١) معركتنا مع اليهود ـ بسام مرتضى ـ دار الهادي.

الحرب مع العدو الصهيوني طويلة، وطالما أن مشاعر المقاومة مستمرة فإن العدو لن يرتاح، وهذا أمر مهم.

واعلم: أن العدو عندما يفقد أمنه واستقراره يفقد مكانته التي كان يعتقدها في قلبه، ويَضعُف شيئاً فشيئاً عندما تأتيه ضربة قوية أو ضرباتٍ شديدة تملأه إحساساً بأنه لن ينجو من أذاه السابق القديم.

والحياة أن تعيش مرّة لا أن تموت مرّات.

وليكن موت اليهود مرّات، المرَّة تلو المرَّة كي لا يهنئوا بحياتهم ومقرّهم. وإذا كانوا يرون أنفسهم أقوياء فللآخرين مخالب وأنياب.

الفصل السابع عشر

متفرقات

* **فلسطين**

أصدرت هيئة الإمام المتحدة قرارها بتقسيم فلسطين في ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٩٤٧.

وفي ١٤ أيار سنة ١٩٤٨م أعلن «دافيد بن غوريون» قيام دولة إسرائيل، فاعترفت بها أميركا ثم تلتها الإتحاد السوفياتي والدول الأخرى.

كان لدى اليهود في ذلك الحين ٦٧ ألف مقاتل، وعدد القوة العربية من بلدان شتى والتي دخلت فلسطين منتصف ليلة ١٥ أيار ١٩٤٨ حوالي ١٤,٩٢٦ مقاتلاً عُيّن إسماعيل صفوت باشا الجنرال العراقي قائداً عامّاً. وتولى فوزي القاوقجي - قائد ثورة ١٩٣٦ في فلسطين - القيادة الميدانية، ومع ذلك فقد لحقت الهزيمة بالقوة العربية، وارتكبت الهاجانا اليهودية والعصابات الأخرى «شتيرن» و«أرغون» مجازر عدة بحق الشعب الفلسطيني، أبرزها مجزرة أو مذبحة «دير ياسين» (١٩٤٨).

أمَّا اليوم (٢٠٠٩م) فلا تسأل عن أطفال ونساء وشيوخ غزة، والقنابل المحرَّمة دولياً التي استخدمت في حقهم في حرب غزة.

والذي يشفي الغليل: المقاومة الباسلة من المقاومين المسلمين الشرفاء الذين تصدوا للعدو الصهيوني الغاصب المحتل.

*** مصر**

* في حرب رمضان ١٩٧٣م خسرت «إسرائيل» ١٠٥ طائرات حربية من طراز فانتوم الأميركية، أي ما يقارب ٣٥٪ من سلاح جوها، وأُصيبت أميركا بصدمة قوية جراء ذلك لاعتقادها بقوة طائراتها وحداثتها، وكانت هذه الهزيمة الجوية خسارة لإسرائيل، وانتصاراً للعرب في حربهم معها وما ذلك إلا لاستخدام العرب (سوريا ومصر) صواريخ «سام» الروسية الصنع التي أثبتت قدرتها على إسقاط الطائرات. عندها أخذ الأميركيون يفكرون بصواريخ تصد «العم سام» على المدى البعيد، وحاولوا إنقاذ «إسرائيل» من الهزيمة بجسرٍ جوي أميركي، لكن «أنور السادات» حاكم مصر كان قد أعلن عن استعداده لإتفاقية سلام مع «إسرائيل» رغم النصر الذي كان مؤزَّراً للجيش المصري باستعادته لقناة السويس، ولجزء كبيرٍ من صحراء سيناء.

وكانت إتفاقية «كامب دايفيد» (١٩٧٨) مع الثلاثي: مناحيم بيغن، وجيمي كارتر، وأنور السادات. لقد كانت اتفاقية أعادت النصر «لإسرائيل» بشروطها التي كانت ترغبها: فتح سفارات، وإقامة علاقات دبلوماسية، وتجارية، واقتصادية وبأسعارٍ ترغبها هي. وكتب أحد الكُتَّاب وقتها: الوادع للتضامن العربي ـ Goodgye Arab Solidarity.

*** السودان، مالي، السنغال:**

اعتنقت هذه الدول الإسلام في القرن الحادي عشر من طريق «المرابطون» الذين كانوا في المغرب ومصر.

*** البحرين:**

أسلم أهلها طوعاً، واستُعمرت من قبل البرتغاليين لفترة من الزمن ثم تحررت.

*** تايلند:**

* دخل الإسلام إلى تايلند «سيام» في القرن الثالث الميلادي، والذي أتى به هم المسلمون من الفرس، والهنود، والعرب، وذلك من خلال التجارة.

*** أندونيسيا:**

* كان التجار المسلمون من الهند واليمن وحضرموت يقيمون في جزر أندونيسيا فترات طويلة ويتزوجون من نسائها، مما أثر في أهلها، وكان سبباً لانتشار العقيدة الإسلامية بين الأندونسيين.

*** ألبانيا:**

* في إحدى القمم في جبل طومور في ألبانيا يوجد مقام يُنسب إلى العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام يقدسه السكان هناك. والمذهب الرئيس في ألبانيا هو الأرنؤوط. على أن فيها الترك، والأفلاق، والبلغار، واليونان، والعرب، والغجر. وهي الدولة الوحيدة المسلمة

في أوروبا، إلى جانب البوسنة والهرسك وسرايفوا المنشقة عن يوغوسلافيا مؤخراً.

*** الفليبين:**

كان أول دخول للإسلام إلى الفليبين على يد أحد الأشراف العلويين وهو حسن بن علي... بن علي العريضي، أتى مرسلاً من «جهور» الإسلامية ليدعو إلى الإسلام، فأسلم على يده ملك جزيرة «بوايان» وزوَّجه ابنته، وساعده ذلك على نشر الإسلام هناك.

*** إفريقيا:**

* جاء المسلمون العرب إلى إفريقيا عام ٦٧٠ ولم يكن أحد بعد قد قَدِمَ إليها، وأتوا مبشرين بالإسلام لا غازين طامعين كالمستعمرين الأوروبيين.

*** جنوبي افريقيا «زيمبابواي»:**

يعتبر «سيسل رودوس» أول إمبريالي مستعمر عرفه التاريخ.

مَلَكَ مناجم الذهب والفضة في روديسيا المعروفة اليوم بـ«زيمبابواي».

دعمته بريطانيا وكان أول رئيس مجلس وزراء لجنوبي أفريقيا.

ولا زالت سياسة التمييز والفصل العنصري موجودة رغم مظاهر الإدعاءات بإلغائها، ومجيء نلسون منديلاً رئيساً لها، وتولي غيره لها بعده وإن كان أسوداً ومن سكانها. إنها الهيمنة العنصرية التي لا تدين بدين ولا تؤمن إلا بحق نفسها في الوجود.

* أودى انفجار البركان في أندونسيا عام ١٨١٥ بحياة ١٠,٠٠٠ شخص، وكان أعظم كارثة في العالم. وفسَّروه بالطبيعة الغاضبة كما يفسرون غيره من الحوادث العظيمة كالزلازل ونحوها. عجباً كيف أن الطبيعة تغضب! ألا يبدو أنها ستحاسب العباد يوماً ما كما تعاقبهم في الدنيا؟!

* يحتفل الصينيون بعيد الفئران، ويقدمونها طعاماً في المطاعم، كما يقدمون لحم الكلاب والقطط وفي تايلند، ويأكلون لحم التماسيح، وفي الهند يأكلون أيضاً الفئران والصراصير والحشرات.

وكذا في بلادٍ أخرى من العالم «المتحضر» وغيره

أذاقهم الله شرَّ البلاء والأمراض بما كفروا وعصوا، ولكل فعلٍ ردُّ فعل، ولا شيء سيحدث بلا سبب.

* في أوروبا تُزيَّنُ الكلاب والقطط وتعيش في أحلى دلالٍ ونعيم. وتجري في أميركا كذلك مسابقات للكلاب، لأحسنها وأفضلها.

وأيم الله إنما هم أهل دنيا ظالمون، مستكبرون، وستدنو شمسهم من الغروب ـ بإذن الله ـ إلا أن الصبر جميل!

* ما كاد العالم ينجو من إنفلونزا الطيور وقبله جنون البقر حتى أطلَّ عليه إنفلونزا الخنازير «Swine flue».

يا لسخرية القدر! لا يلتفت الإنسان إلى حكمة ما أحلَّ الله له وحرَّم. وليذق بلاء عصيانه، ولله الحجة البالغة على عباده.

ومن الخبر

*** القهوة:**

استعمل المسلمون القهوة في القرن الرابع عشر. وربما انتقلت إليهم من الحبشة.

ربما استخدموها في الأصل بغية مساعدتهم على استمرار اليقظة والتنبّه أثناء تعبدهم كما رأى البعض[1]. ولم يرد لها ذكر على لسان أي كاتب أوروبي قبل سنة ١٥٩٣م.

*** الشطرنج:**

يُذكر من فتاوى سهل بن سهل مفتي نيسابور المتوفي عام ٤٠٤هـ ـ ١١٠٣م في قوله في الشطرنج: إذا سَلِم المال من الخسران، والصلاة عن النسيان، فذلك أُنس بني الخِلاَّن.

وكان الصَّولي (٣٠٠هـ ـ ٩١٢) ـ أحسن لاعب للشطرنج في العهود العباسية، حيث مهَّد له ذلك دخول دار الخلافة.

ومن فقهاء الشيعة من يفتي اليوم (٢٠٠٩) بجواز اللعب بها إذا لم يدخلها رهان أو شرط، وذلك على أساس خروجها في العصر الحاضر عن كونها آداة للعب القمار، إلا أن الأكثر على حرمتها تمسكاً بالنص ولو من غير رهان.

---

(١) قصة الحضارة ـ وِل ديورانت.

الفصل الثامن عشر

الألمان - البريطان

الألمان

من الملفت للنظر تاريخياً أن الألمان كانوا أكثر الشعوب دعوة وتعصباً لقوميتهم. فالقوميون الألمان في أوائل القرن التاسع عشر أمثال: «أرندت» و«جوهن» و«غورس» و«فيخته» ـ وإن لم يكونوا عنصريين بمعنى العنصرية، إلا أنهم كما قال «أرندت» ادَّعوا بأن الألمان «لم تتسخ دماؤهم بالتزاوج من شعبٍ أجنبي غريب، وأنَّ الألمان السعداء كانوا شعباً أصيلاً».

وفي المقابل، فإنه مع اعتراف بعض المؤرخين الألمان الكبار ـ أمثال: «فردريش مينكه» (١٨٦٢ ـ ١٩٥٤) ـ بأن امتزاج الشعوب بعضها مع بعض أمر لا بد منه، فإنه يدَّعي رغم ذلك: «أن هناك نواة طبيعية ظلت قائمة بالرغم من اختلاط وامتزاج الدم».

وفي مجال العلوم والفنون، ادَّعى الألمان أيضاً بأنهم متفوقون على غيرهم من الشعوب الأخرى. فقد قال الفيلسوف والرياضي الألماني الكبير ليبنتز (١٦٤٦ ـ ١٧١٦): «أنهم يتفوقون على غيرهم في الفنون والعلوم التطبيقية، وأن الله منحهم من العقل أكثر مما منح غيرهم من الشعوب».

وعلى صعيد اللغة الألمانية يقول «فيخته»: «إنَّ مرونة ودقة اللغة الألمانية جعلت من الألمان أمة متفوقة»[1].

أين المرونة فيها وقواعدها أعقد من أية لغة أخرى؟ وكفى بالمرء تبجُّحاً أن يقول: إني أفهم وأفضل من غيري والأدلة العلمية التجريبية تثبت أن لا علاقة للفروق العنصرية (الدم والجينات) بالقوميات لأنها متماثلة في الشعوب على مختلف أجناسها. والحمد لله أنهم نالوا جزاء تغطرسهم في الحرب العالمية الأولى والثانية. والنازيون الجدد إن حكموا ـ كما يحاولون اليوم ـ فسيدفعون ثمن نازيتهم وعنصريتهم أيضاً.

*** البريطان:**

* في عام ١٠٦٦ عبر وليام دوق نورماندي ـ من شمال فرنسا ـ القنال الإنكليزي على رأس جيشٍ صغيرٍ مؤلف من بضعة آلاف مقاتل في محاولةٍ ليصبح حاكم إنكلترة المطلق.

ونجحت هذه المحاولة وتكللت بالنجاح، وكانت هذه آخر غزوة أجنبية تغزو بريطانيا.

وقد كان الغزو النورماندي لبريطانيا أكبر تأثيراً من حصول النورمانديين على تاج بريطانيا، فقد أثر تأثيراً كبيراً على التاريخ الإنكليزي بأجمعه بشكلٍ لم يكن حتى وليام الفاتح يتصوره.

جمع وليام أسطولاً لغزو بريطانيا، وقبل نهاية النهار استطاعت

(١) للتوسع في هذا المجال يُراجع كتاب «القومية»، لـ «بويد شيفر».

خيَّالة ورماة جيش وليام أن تهزم الجيش الأنجلو سكسوني، وعند هبوط الليل كان الملك هارولد نفسه قد قُتل وقُتل أخواه قبله في أوائل المعركة. ولم يعد هناك أي قائد إنكليزي يلم شعث الجيش المنكسر لمقاومة جيش الفاتح. وهكذا تُوِّج وليام ملكاً في لندن صبيح يوم عيد الميلاد.

* البريطانيون خبثاء معروفون في حقدهم على المسلمين، فهم أول مَن أنشأ الكيان الصهيوني في فلسطين كما هو معلوم.

* من أهم وأصعب الأعمال التي قام بها شارلمان أو شارل الكبير (٧٤٣ ـ ٨١٤) هزيمته السكسون (البريطان) شمال المانيا. وقد احتاج فتح تلك البلاد إلى ثماني عشرة حملة عسكرية.

وكانت العوامل الدينية تلعب دورها في هذه الحرب. فقد كان السكسون وثنيين، أمَّا شارلمان فأراد أن يُدخل الديانة الكاثوليكية إلى بلاد السكسون.

* احتل البريطانيون إيرلنده واحتقروا شعبها، وجعلوا شعبها ينزح ويهاجر إلى أميركا وغيرها من البلاد.

من مناضلي الشعب الإيرلندي كان «نيد كيلي» الذي أُسر زمن الملكة فكتوريا ـ ملكة بريطانيا ـ بجيشٍ كثيفٍ، وقتالٍ عنيف، ورفض الإرتشاء والتنازل عن حق الشعب الإيرلندي، وأُعدم شنقاً عام ١٨٨٠.

و«بوبي ساندز» من الجيش الجمهوري الإيرلندي لتحرير إيرلندة في القرن العشرين. اعتُقل، وسُجن وقضى في السجن ممسكاً عن الطعام

والشراب، وجُعل له في «طهران» شارع بإسمه لنضاله ضد الإستعمار البريطاني.

* كانت الشرارة الأولى لاندلاع الحرب الدموية بين البريطان والإيرلنديين الشماليين عام ١٩٤٣ عند إطلاق الجنود البريطانيين النار على تظاهرة إيرلندية شمالية قتل فيها الجنود البريطانيون أربعة عشر شخصاً إيرلندياً. عندها قال زعيم الحزب السياسي للجيش الجمهوري الإيرلندي «الشّين فين»: **«أقتلوا الجنود البريطانيين أينما كانوا»**.

*** هونغ كونغ:**

* وأخيراً عادت «هونغ كونغ» إلى الصين بعد ١٠٥ سنين من استعمارها من قِبل البريطانيين، وبعد اقتراحٍ من قبل الشعب الصيني بضمها إلى الصين أو بقائها تحت حكم البريطانيين. وكانت نتيجة الإقتراع فشلاً ذريعاً للبريطانيين. وقد عرضت بريطانيا منح الجنسية البريطانية على من يرغب بها من الصينيين القاطنين في هونغ كونغ، إلا أن النسبة كانت ضئيلة جداً.

* حكمت بريطانيا بلاداً ولم تُحكم ـ خصوصاً وأنها ما وراء البحار ـ فهم لا يحتفلون بعيد تحريرٍ ولا استقلال لأن في اعتقادهم أنهم لم يُستعمروا من أحد. وهم اليوم كلاب الأميركيين.

الفصل التاسع عشر

حروب وفشل

الحرب الأولى والثانية

كان الطيَّارون الأميركيون والأوروبيون في الحرب العالمية الأولى يتفاخرون فيمن يُسقط من طائرات عدوه أكثر من غيره. لكنّ «ريختهوفن» الطيَّار الألماني الأسطورة كان الأكثر شهرة حيث لُقِّبَ بالبارون الأحمر بعد أن كان قد أسقط بمفرده (١٩١٦) ثمانين طائرة لبريطانيا وفرنسا الحليفتين ضد المانيا. ويفتخر سلاح الجو الألماني به، وفي إسلوبه القتالي، فهو رمز القوة الجوية عندهم. كما أن هناك فرقة جوية ألمانية تتسمى بإسمه أو تترمَّز برمزه الأحمر اليوم.

القدوة حق شرط أن تكون قدوة حق.

* عام ١٩١٧ من شهر نيسان قضى سلاح الجو الألماني على مائة وتسعة وثلاثين طائرة تابعة لسلاح الجو البريطاني الملكي، وسُمِّي آنذاك وحتى اليوم ـ بنيسان الدموي لما تكبد فيه البريطانيون من خسائر في الأرواح ـ ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ والحمد لله.

* قتلت قاذفات القنابل الألمانية على العاصمة لندن ١٩١٧ مائة واثنين وستين قتيلاً وأصابت عدداً كبيراً من الجرحى. وكان هذا

الحدث فتحاً لبداية حربٍ مستقبلية مرعبة تُصنع فيها الطائرات لإلقاء القنابل والقاذفات النووية المحرقة، والمدمرة.

*** بشرى للبشرية!**

* بعث «آينشتاين» إلى الرئيس الأميركي «روزفلت» عام ١٩٣٩ برسالة تشير إلى إمكانية تطوير الأسلحة الذرية، مؤكداً على أهمية دور أميركا في تطوير مثل هذه الأسلحة قبل أن تقوم المانيا بذلك، وقد ساعدت هذه الرسالة في إخراج مشروع منهامتن إلى الوجود، وهو الذي انتهى إلى صنع أول قنبلة ذرية في العالم.

* ولد آينشتاين في عام ١٨٧٩ في مدينة آلم في المانيا. ودرس في المدارس العالية في سويسرة، وأصبح مواطناً سويسرياً في عام ١٩٠٠. وفي تلك السنة نشر نظريته النسبية وهي التي جلبت له الشهرة. ولكن نظرياته كَثُر الجدل حولها، ولم تتعرض أية نظرية في العالم للجدل كما تعرضت له نظريات آينشتاين.

في عام ١٩٣١ مُنح جائزة نوبل في الفيزياء. ولكن عندما استلم هتلر السلطة في المانيا فرَّ آينشتاين إلى نيوجرسي في الولايات المتحدة الأمريكية لأنه كان يهودياً، وتوفي عام ١٩٥٥ هناك.

آمن آينشتاين باليوم الآخر من طريق العلم، إذ رأى أن بمقدور الإنسان بما فيه من طاقة روحية (كهربائية) أن يصل إلى الإستغناء عن آلاته الجسمية في يومٍ من الأيام. فمن أين له هذه الطاقة؟

* في الحرب العالمية الثانية ١٩٣٦ ـ ١٩٤٦ ـ ألقت أميركا على مدينتي ناغازاكي وهيروشيما قنبلتين ذريتين.

قتلت قنبلة ناغازاكي ٤٥,٠٠٠ شخصٍ من المدنيين. وقتلت قنبلة هيروشيما ٧٨,٠٠٠ ألف شخص من المدنيين أيضاً، عدا عن المصابين المعاقين مدى الحياة.

ويقيم اليابانيون كل سنة ذكرى عن أرواحهم وطلبوا ولو اعتذاراً من الأميركيين على فعلهم هذا، **ولا اعتذار لأن الإعتذار خطأ وجريمة وحشية.**

* أربعة آلاف ياباني انتحروا خوف عار هزيمة الحرب العالمية الثانية.

عقيدة رهيبة ولكن لا تُرجى.

* خسرت أميركا في حربها مع ڤيتنام (١٩٧٥) ٥٨٤٦ جندياً أميركياً، وبينما كانت أضخم حاملة طائرات أميركية في العالم «الفورستر» عائدة من تلك الحرب إلى إحدى قواعدها في اليابان شبّ فيها حريق أودى بحياة ١٢٤ شخصاً من طاقمها.

فأحرقهم الله بنار الدنيا قبل الآخرة، كما يحرقون شعوب العالم.

* خسرت أميركا في الحرب الكورية (١٩٥٠ ـ ١٩٥٣) ٥٥٠٠ جندي أميركي، وقتل جنودها ٣٠٠ شخصٍ كوري بين رجال ونساء وأطفال كانوا مختبئين في نفقٍ من نار الحرب، قتلهم الأميركيون بحجة وجود مقاتلين كوريين مختبئين بينهم. وطالبت ـ بعد الحرب ـ كوريا أميركا بتقديم اعتذارٍ على هذا العمل. ولكن كالعادة... **القوي لا يقدم اعتذاراً للضعيف.**

* قامت الإستخبارات الأميركية بـ٢٦ محاولة فاشلة لاغتيال «فيدل كاسترو» أبان حرب أميركا مع كوبا. وحاولت إحراق مناطق

قصب السكر في كوبا لضرب الإقتصاد الكوبي القائم عليه، وخلق جو من المعارضة الداخلية، ومع ذلك لم تُفلح.

ولا يحيق المكر السيء إلا بكل غازٍ ومعتدٍ وماكر.

* بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران ١٩٧٩ واحتجاز الجنود الأميركيين في السفارة الأميركية رهائن ـ بغية استرداد أرصدة الشاه وأمواله في البنوك الأميركية مقابل فك أسر الرهائن ـ قامت أزمة بين إيران وأميركا، وحاولت أميركا تحرير الرهائن بعملية كوماندوس لكنها فشلت حيث اصطدمت الطائرات المروحية العسكرية ببعضها واستيقظ الإيرانيون على جثثٍ محترقة بطائراتها المروحية في صحراء طبس من خلال سائق باص إيراني شاهدهم وهو يسوق الباص من هناك. وعلت الصيحات من على رؤوس الأبنية والسطوح بـ الله أكبر على هذا الفشل الذريع.

فمكروا ومكر الله والله خير الماكرين.

* بعد الحادي عشر من أيلول ٢٠٠٢ وتَعَرُّض أميركا للهجوم غزا الأميركيون العراق وأُعدم صدام حسين وأعوانه وغرقوا في الوحول العراقية.

مَن يدري! قد تكون فيتنام ثانية لهم.

* في عدوان تموز ٢٠٠٦ على جنوب لبنان والضاحية الجنوبية من بيروت أرسلت أميركا بقذائفها وصواريخها الذكية إلى إسرائيل لتجربها وتقصف بها المدنيين في الجنوب والضاحية الجنوبية من بيروت فماذا حققت؟

لقد دمرت الحجر ولم تدمر إرادة البشر.

* في العام ١٩٩٦ أثناء حرب الخليج أسقطت البحرية الأميركية طائرة الركاب الإيرانية (رحلة ٦٥٥) فوق المياه الإقليمية في محيط أربعة كلم من المياه الإيرانية، وذلك باعتراف جنرال المدمرة الذي أمر بإسقاط الطائرة بأمرٍ من الرئيس الأمريكي المقبور «رونالد ريغان». وعاد جنود البحرية بعد ذلك على متن المدمرة إلى «سان دييغو» ليُستقبلوا استقبال الأبطال. وقامت منظمة الأمم المتحدة بعد ذلك بالتعويض عن أرواح المدنيين الإيرانيين الذين تناثرت أجسادهم في الجو لتسقط في البحر.

تلك هي عادة الولايات المتحدة الأميركية في حروبها مع الآخرين، فعندما تجد نفسها خاسرة ـ ولو معنوياً ـ تنتقم من الأبرياء بذرائع كاذبة. وسينتقم الله ممن ظلم.

يريدون اصطياد السمك حتى في الماء العَكر ولكن لن يكون من دون ثمن.

الروس

كانت قبائل المغول تتجمع تحت قيادة جنكيز خان، واجتاح الصين، وغزا خوارزم، ودخل بخارى وأحرقها، واكتسح روسيا وجعلها ولاية مغولية عام ١٢٣٥م واستولى على بولنده والمجر، ووصلت جيوشه إلى فلسطين وهُزمت في معركة عين جالوت ١٢٦٠ على أيدي المماليك. وبعد هذه الهزيمة توقفت فتوحات المغول.

وورث التتار إمبراطورية المغول بعد حروب طاحنة فيما بينهم واحتفظ تيمورلنك لنفسه بلقب أمير، وفتح فارس والعراق والشام وآسيا الصغرى وقسماً من الهند. وبعد موت تيمورلنك عام ١٤٠٥ اختلف الأمراء على العرش، ووجدت روسيا في هذا الإختلاف والإنقسام فرصة للإستقلال والإنفصال، فتحررت عام ١٤٨٠ على يد أمير موسكو.

وفي عهد إيفان الرهيب الرابع تمَّ ضم المدن التتارية الكبرى إلى إمارة موسكو الواحدة تلو الأخرى. وفي عام ١٥٨٠ استولت روسيا على مدينة «سيبر» وضمتها إليها.

وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر بدأ الروس بضم

المناطف الإسلامية. ففي عام ١٧٧٧ ضمت منطقة القرم، وجورجيا (١٨٠١) ثم بقية مناطق قفقاسيا. وقضت على مقاومة الشراكسة، وضمت مناطق الأوزبك، والقوازق الذين كانوا قد اعتنقوا الإسلام، واستولت على فرغانة التي كانت تابعة للصين، واحتلت بخارى وسمرقند (١٨٦٨) وعلى خيوه (١٨٧٣) وعلى خوقند (١٨٧٦) كما احتل الروس طاشقند (١٨٦٥) وسقطت مرو عام (١٨٨٤) وظلوا متقدمين حتى سيطروا على المنطقة بأكملها. وأبقى الروس الجماعات الإسلامية تحت حكمهم وسيطرتهم حتى غدوا يشكلون جزءاً من روسيا كسائر الشعوب الأخرى التي كانت خاضعة لهم.

لقد كان من ذكاء الروس أنه عندما غزا المغول بلادهم لم يقاوموهم بل تعايشوا معهم وسايسوهم، واختلطوا بهم، وتزوجوا منهم لكي يحافظوا على وجودهم، لذلك تجد في دماء الروس وبعض ملامح وجوههم شبهاً بالمغول شكلاً وشراسة كما لاحظ بعض المفكرين والعلماء.

* لم يستطع الروس القضاء على الحركات الوطنية في الجبال إلا سنة ١٨٨٧، وضموا البلاد الجبلية إلى الإمبراطورية الروسية. وظلَّ أهل تلك الجبال ـ التي ما استطاع الروس احتلالها إلا بعد القضاء على آخر مقاومة داغستانية ـ محافظين على معتقداتهم وعاداتهم الإسلامية حتى جاءت الثورة الشيوعية فجرفت معها مَن جرفت منهم.

* في مطلع القرن التاسع عشر سلخ الروس ما وراء القفقاس الشرقية المسلمة عن الإمبراطورية الإيرانية من دون أية مقاومة تُذكر.

* كانت بلاد تركستان آخر المناطق الإسلامية التي استولى عليها الروس. وهي مناطق تسكنها قبائل بدوية تركمانية، وأوزبكية من الترك، والإيرانيين (تاجيك).

* كانت المدن الرئيسة: بخارى، وسمرقند، وطاشقند، وخوجنت مراكز للثقافة الإسلامية الزاهرة، وحيث كان أمراء تلك البلاد في حروب مستمرة فيما بينهم، فقد كان ابتلاع الروس لهم أمراً سهلاً جداً[1].

وما أنكر أحد أن في الوحدة قوة وفي الفُرقة لقمة سائغة للعدوّ.

* كانت روسيا في حكمها قيصرية ردحاً طويلاً من الزمن ثم تغيّرت إلى إشتراكية - شيوعية عام ١٩١٧ بالثورة الماركسية - اللينينية المعروفة. ثم كانت الحرب العالمية الثانية التي حوّلت روسيا القيصرية إلى الإتحاد السوفياتي الكبير والدولة النووية العظمى قبال الولايات المتحدة الأميركية. وبعد سنين من حكم الجيش السوفياتي الأحمر وسيطرته على معظم دول أوروبا الشرقية، انهار ذلك الإتحاد والحكم الشيوعي فجأة أمام إرادة وحرية الشعوب، ليثبت بذلك فشل الأنظمة الشيوعية.

---

(١) للتوسع يُراجع كتاب: «المسلمون في الاتحاد السوفياتي» تعريب د. إحسان حقي.

الفصل العشرون

صهيونيات

الفكر الصهيوني

ليس الفكر الصهيوني إلا مجموعة من المعتقدات المنتشرة بين غير اليهود، والتي تهدف إلى تأييد قيام دولة قومية يهودية في فلسطين بوصفها حقاً لليهود، طبقاً لبرنامج «بازل» الذي وُضع عام ١٨٩٧. وعلى ذلك فالصهيونيون هم أولئك الذين يؤيدون أهداف الصهيونية، ويشجعونها بشكلٍ صريح.

وظهرت الصهيونية على مسرح أوروبا السياسي لأول مرة كإيديولوجية سياسية وكحركة سياسية منظمة في أواخر القرن التاسع عشر. وتعود في تاريخها إلى ثلاثمائة عام قبل المؤتمر الصهيوني الأول الذي عُقد في «بازل» عام ١٨٩٧ حين التفّت مجموعة من اليهود الأوروبيين حول اللواء الصهيوني.

وبدأت الصهيونية تتخذ شكلاً مميزاً في أوائل القرن السادس عشر حينن أثار الإهتمام بالأدب التوراتي وتفسيره اهتماماً عاماً باليهود وحق عودتهم إلى فلسطين.

وحركة الإصلاح الديني البروتستانتي هي التي ابتدأت سجلاً جديداً للصهيونية كعنصرٍ مهمٍّ في اللاهوت البروتستانتي والإيمان بالأخرويات.

والتغييرات التي جاءت بها حركة الإصلاح هي التي ساعدت وأكدت على حق عودة اليهود إلى أرض فلسطين. وقد ساهم المناخ الديني الجديد في القرن السادس عشر ـ بالإضافة إلى سلسلة من الهزّات السياسية ـ على ظهور الأفكار الصهيونية التي ترعرعت في بيئة مشبعة بروح العهد القديم. وتطور الإهتمام بالتوراة باعتبارها كلمة «الله» تحت شعار «العودة إلى الكتاب المقدّس». وأصبح العهد القديم هو المرجع الأعلى للسلوك والإعتقاد.

ومن بين النتائج الواضحة للإصلاح الديني البروتستانتي ظهور الإهتمام بتحقيق النبوءات التوراتية المتعلقة بنهاية الزمان. وكان جوهر «العصر الألفي السعيد» هو الإعتقاد بعودة المسيح المنتظر الذي سيقيم مملكة «الله» على الأرض والتي ستدوم ألف عام.

واعتبر المؤمنون بهذا العصر مستقبلَ الشعب اليهودي أحد أهم الأحداث التي تسبق نهاية الزمان.

وكان الإضطهاد الشديد الذي يتعرض له كثير من الفرق البروتستانتية على يد الكنيسة الرسمية يفسر علامة أخرى من علامات آخر الزمان.

* كان اللورد «بالمرستون» (١٧٨٤ ـ ١٨٦٥) أهم نصير سياسي لمشروع اللورد «شافتسبري» الخاص بإعادة اليهود إلى فلسطين. وكان اليهود في نظره ـ كوزير للخارجية البريطانية ـ يمثلون عنصراً أساسياً ضد أية خطط «شريرة» يفكر بها «محمد علي» أو من يخلفه.

وفي نهاية القرن التاسع عشر أصبحت الوحدة القومية للشعب اليهودي إحدى التأكيدات المعطاة للصهيونية اليهودية.

ويشير المؤرخون الصهيونيون الحديثون إلى أن غير اليهود من أمثال «بالمرستون «ومتفورد» «وغولر» «وتشرشل» كانوا يؤذنون بمجيء الحركة الصهيونية الحقيقية، وكانوا أكثر من مجرد روّاد لهذه الحركة، إذ كانوا مخلصين في صهيونيتهم كـ «وايزمان» أو «هرتزل» أو «نوردو».

* وفي عام ١٨٦٥ أنشأ الصهاينة الإنكليز «صندوق استكشاف فلسطين» ليبرهنوا على مبادئهم الدينية من خلال العلم الحديث، وقام كثير من المكتشفين وعلماء الآثار والمغامرين برحلات إلى فلسطين وعادوا منها بتقارير تتحدث عن البؤس والإهمال والدمار والكسل والغباء المطبق عند القبائل العربية، بما يتماشى مع السياسة الصهيونية وحاجاتها إلى سكانها الأصليين «اليهود» لإحيائها وإعمارها من جديد.

وكان صندوق استكشاف فلسطين واحداً من المؤسسات الكثيرة التي ازدهرت في إنكلترا في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر بهدف مساعدة اليهود الراغبين في الإستيطان في مستعمرات زراعية في فلسطين، لإعادة قومية يهودية فيها.

* كان أقوى ممثل للصهيونيين غير اليهود هو «لورنس أوليفنت» (١٨٢٩ ـ ١٨٨٨) عضو البرلمان البريطاني ووزير الخارجية والصحفي، وفوق ذلك كله المتدين المتطرف، وهو أول من أقام اتصالات بين الصهيونيين اليهود وغير اليهود. وكان أول اتصالٍ له مع يهود يشاركونه تفكيره نفسه هو ذلك الذي تم مع حركة «حب صهيون» المؤلفة من الأوروبيين الشرقيين. وحضر عدة اجتماعات لها في روسيا ورومانيا والتقى بزعمائها.

* كان تعاون وليام هشلر (١٨٤٥ ـ ١٩٣١) القسيس الإنجليكاني الملحق في السفارة البريطانية في ڤيينا، والمحب لليهود «الشعب الله القديم» مع «الورنس أوليفنت» أولى الحلقات في سلسلة طويلة من الإتصالات بين الصهيونيين اليهود وغير اليهود في مطلع القرن العشرين.

* مع ميلاد المنظمة الصهيونية في آب ١٨٩٧ في المؤتمر الصهيوني الأول في «بازل»، وضع اليهود أنفُسهم للمرة الأولى مسودة البرنامج السياسي الذي كان أساساً للحركة الصهيونية في القرن العشرين. فتحقيق برنامج «بازل» سيحل مشكلة لاجئي أوروبا دون أن تكون هناك حاجة لاستيعابهم في إنكلترا.

* كان «جوزيف تشامبرلين» (١٨٣٦ ـ ١٩١٤) يجسد النمط الجديد للصهيونيين غير اليهود، واختار «تشامبرلين» بقعة مؤقتة لليهود قبل فلسطين هي «أوغندا» إلا أن المؤتمر الصهيوني السادس عام ١٩١٣ رفض عرض أوغندا حتى ولو كانت ملجأ مؤقتاً لليهود في وقت الخطر.

* كانت أهمية الصهيونية للعالم غير اليهودي ـ كما يُقوِّمها بلفور ـ تكمن في محاولتها التقليل من الويلات التي أصابت الحضارة الغربية نتيجة وجود جسم كان يعتبر غريباً بل معادياً، ولكنه في الوقت نفسه غير قادرٍ على إبعاده أو استيعابه. ومع أن مشروع «تشامبرلين» لتوطين اليهود في «أوغندا» كان نابعاً من نية طيبه إلا أن عيبه الكبير أنه لم يكن صهيونياً ـ أي: لم تكن فلسطين في صهيونيته كما كانت في صهيونية «بلفور».

لقد كان «بلفور» يشجع الصهيونية قبل إعطائه وعده عام ١٩١٧ إلا أن ذلك لم يكن ناتجاً أو معبراً عن عدائية للسامية، بل عن مشروع

سياسي ـ ديني حاقد على المسلمين، مضافاً إلى أن الصهيونية اليهودية كانت تتماشى مع فلسفته وفكره المحافظ.

فالعرق، والدين، والوطن كانت بالنسبة إليه أموراً متداخلة.

* أعطت معاهدة «سايكس بيكو» عام ١٩١٦ لفلسطين هوية جغرافية لأول مرة في التاريخ الحديث، إذ قسمت الإمبراطورية العثمانية فيما بين روسيا وبريطانيا وفرنسا، ووضعت فلسطين تحت إدارة دولية.

* كان «روزفلت» متعاطفاً مع اليهود. وكانت سياستهُ أساساً سياسة التأجيل. فالشرق الأوسط منطقة تقع ضمن المسؤولية البريطانية، وأي قرارٍ نهائي بخصوص فلسطين يجب أن يؤجل لما بعد الحرب، ثم يتم التشاور بشأنه مع اليهود والعرب. ولم يفِ روزفلت قط بأيٍّ من وعوده للصهيانة لأنه لم يُسلم أبداً بأن المصالح الصهيونية والأميركية متفقة في الشرق الأوسط.

لكن لمَّا تولى «هاري ترومان» منصب الرئاسة بعد وفاة «روزفلت» في ١٢ نيسان ١٩٤٥، كان ـ بإجماع التواريخ الصهيونية ـ تجسيداً للصهيونية الأميركية غير اليهودية على المستوى السياسي.

وقد لخَّص سياسته اتجاه إسرائيل في ٢٨ تشرين الأول عام ١٩٤٨ وتعهد بتقديم دعمه. وضرب الرئيس «جيمي كارتر» ـ كمن سبقه، وأتى بعده ـ على الوتر نفسه في حديثٍ ألقاه أمام الكنيست الإسرائيلي في آذار عام ١٩٧٩:

«لقد آمن وأظهر سبعة من رؤساء الجمهورية أن علاقة أميركا

بإسرائيل أكثر من مجرد علاقة خاصة. لقد كانت ولا تزال علاقة فريدة، وهي علاقة لا يمكن تقويضها لأنها متأصلة في وجدان وأخلاق وديانة ومعتقدات الشعب الأميركي نفسه... إننا نتقاسم معاً ميراث التوراة...».

* كان «وليام بلاكستون» من أبرز الأميركيين الصهيونيين غير اليهود (١٨٤١ ـ ١٩٣٥). لقد كان المموّل، والرَّحالة العالمي، والمؤلف، والمبشر الإنجيلي الذي كان ينفق الملايين على التبشير، ويُعد بطل الصهيونية البارز. وكان لكتابه «عيسى قاوم» ١٨٧٨ ـ أثر كبير في الديانة المسيحية البروتستانتية.

* إنَّ اللوبي الصهيوني في أميركا لا يخلق مواقف مؤيدة لإسرائيل، ولكنه يعمل على تقوية المواقف والإتجاهات القائمة، خاصة وأن وجهة النظر المعاكسة ليست ممثلة بشكل فعَّال. والتأكيد على مدى تأثير «اللوبي» الصهيوني في الكونغرس ووسائل الإعلام، وفي كل المراكز الإجتماعية الحساسة، أمر يخفي في الواقع القوة الحقيقية للصهيونية، وهي اندماجها في الثقافة الغربية والأميركية. فكثير من المواقف والنشاطات الصهيونية غير اليهودية ذاتية وليست مجرد استجابات للضغوط الصهيونية أو الإسرائيلية.

وإذا كان يمكن تحقيق الأهداف من خلال مدّ الجسور مع أميركا وأوروبا كما استطاعت الصهيونية اليهودية ذلك، فهل يمكن ذلك للعرب والمسلمين؟

هناك دعوات للبعض إلى ذلك، ولكن هل الولايات المتحدة الأميركية صديق وحليف استراتيجي وفي للعرب والمسلمين؟

وهل هي عادلة في حلّها؟

إن التحيز الكبير لدولة الكيان الصهيوني لا يقدم أيَّ ضماناتٍ لأي اتفاق أو سلام مع هذا الكيان، عدا عن الكراهية المتغلغلة في النفوس للمسلمين، والإزدراء للعرب كشعوب متخلفة.

ويبقى الأمل والرجاء في نفوسنا كمسلمين في زوال الكيان الصهيوني من فلسطين وفقاً لقوله تعالى:

* ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾[1].

إعلام وإنذار من الله سبحانه على أن اليهود لن يستقروا أينما حلُّوا، وأن سُنَّة العذاب على أيدي الآخرين جارية عليهم في الدنيا سواء من المؤمنين أم من غيرهم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ دعوة إلى نيل مغفرة الله ورحمته لمن يعود إلى ربه ويتوب منهم.

وهناك العديد من اليهود لا يرغبون الإستيطان والعيش في فلسطين لأنهم يعتقدون بأنَّ حق العودة لهم إليها مسألة صهيونية بحتة. كيف وقد هجروها وتركوها منذ أمد طويل، وتحوَّلت إلى حاضرة مسيحية ثم إلى حاضرة إسلامية!

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٦٧.

الأكراد

ينقل المؤرخون القدامى عن اللوائح السومرية تأكيدهم على أن الأكراد من أقدم المجتمعات الأرستقراطية في العالم، وأنهم شعب محب للقتال وينحدر من سلالة كوردیوني التي تمتد إلى ٤٠٠ سنة قبل الميلاد، إذ ينتسبون عرقياً إلى الآريين الذين يتحدثون اللغة الهندو ـ أوروبية كما أورد عن «هيرودوتس».

ولعلَّ أبرز يهودي كردي في الحياة العسكرية هو الجنرال إسحاق موردخاي وزير الدفاع الإسرائيلي السابق وهو من مواليد «عقرة» الكردية العراقية. وفي الحياة السياسية حبيب شيموني الرئيس لمنظمة يهود كردستان، والذي كان نائباً عن حزب العمل في البرلمان الإسرائيلي.

وقبل تأسيس الدولة اليهودية ١٩٤٨ كان في إسرائيل نحو عشرين ألف يهودي كردي.

وبين ١٩٥٠ و١٩٥١ هاجر إليها نحو أربعين ألف يهودي كردي من كردستان، وإيران، والعراق.

عسى الله أن يهدي مَن ضلَّ منهم وينتبهوا لمحاولات استغلالهم من قِبل أعداء الإسلام والمسلمين.

الجزء الثاني

الفصل الأول

قرآنيات

قرآنيات

* القرآن لغةً مصدر مرادف للقراءة، ومنه قوله تعالى:

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ أي جمعه وقِراءته.

* للقرآن تسمياتٌ منها:ـ

١ ـ الكتاب ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾.

٢ ـ الفرقان ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾.

٣ ـ الذّكر. ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾.

٤ ـ التنزيل. ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾﴾.

*** ظاهرة الوحي:**

الوحي ليس كشفاً باطنياً ولا إلهاماً روحياً لأن في كل وحي وعياً وفي كل نبوة شعوراً وإدراكاً، ولأن النبوة تخضع بطبيعتها إلى ذات متكلمة آمرة، وأخرى مأمورة متلقية.

*** الوحيُ المنَجَّم:**

نزل القرآن وحياً منجمّاً (على مراحل) لأنه أدْعَى إلى قبوله مما لو نزل دفعة واحدة، الأمر الذي يوجب نفور الناس منه لما فيه من الأوامر

والنواهي الكثيرة، ولما في النزول على مراحل من اشتياق بعد كل انقطاع، وتيسير لحفظ القرآن.

*** التدرّج في التشريع:**

لم يكن التدرّج في التشريع أمراً مأخوذاً على وجه الإطلاق، وإنما على وجه الخصوص، وذلك فيما يتعلق بالعادات وبعض الحاجات والمصالح التي تقتضي ذلك كما في مثل الخمر والميسر. لذلك لم يكن هناك تدرج في مسألة الزنا، وقتل الناس واغتصاب أموالهم، بل كان أمراً قاطعاً.

١ ـ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ۝٣٢﴾[١].

٢ ـ ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾[٢].

٣ ـ ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِالْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا بِهَآ إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١٨٨﴾[٣].

*** حروف القرآن:**

اختُلِفَ في تفسير حروف القرآن. والصحيح ما جاء عن علي عليه السلام أنه قال: «لكل كتابٍ صفوةٌ وصفوةُ هذا الكتاب حروف التهجي».

*** النسخ:**

النسخ لغةً النقل والتحويل. وفي عرف الفقهاء رفع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم. وأكثر المسلمين على ذلك.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٢.
(٢) سورة النساء، الآية: ٩٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٨.

وقد أخبر القرآن الكريم عن النسخ بقوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾(١).

والإنساء تأجيل البيان إلى وقت الحاجة.

ووقع النسخ في القرآن، كما في القبلة. ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾(٢).

المنسوخة بقوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾(٣).

والإعتداد للوفاة: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾(٤).

المنسوخة بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾(٥).

وثبات الواحد للعشرة، بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾(٦). المنسوخة بقوله تعالى: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١١٥.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٤.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٤٠.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٣٤.
(٦) سورة الأنفال، الآية: ٦٥.

يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾[1].

ووجوب تقديم الصدقة على المناجاة، بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾[2]. منسوخة بقوله تعالى: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾[3].

والثابت عند الشيعة: رفع الحكم بالنسخ لا رفع الحكم والآية معاً لاستلزامه وقوع التحريف في القرآن[4].

فيما ادُّعي من نسخ آياتٍ مع عدم ثبوته وبطلانه:

١ - ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾[5]. المدَّعى نسخها بآية ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾[6].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٦.
(٢) سورة المجادلة، الآية: ١٢.
(٣) سورة المجادلة، الآية: ١٣.
(٤) البيان في تفسير القرآن، الخوئي(قده).
(٥) سورة البقرة، الآية: ١١٥.
(٦) سورة البقرة، الآية: ١٤٤.

﴿وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾[1].

بـآيـة ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[2].

ونقل المحقق الخوئي (قده) ٣٨ آية من جملة ما استُدل به على دعوى النسخ في القرآن، لم يثبت نسخها.

*** القراءات والنسخ:**

لم تثبت القراءات السبع أو العشر لأنها من طريق أخبار الآحاد ولا تواتر يثبت القطع فيها. وصفوة القول: أنه تجوز القراءة في الصلاة بكل قراءة كانت متعارفة في زمان أهل البيت عليهم السلام.

*** نزول القرآن على سبعة أحرف:**

لم يثبت نزول القرآن على سبعة أحرف بعد ما دلّت أحاديث الصادقين عليهما السلام على تكذيبها، وأن القرآن إنما نزل على حرفٍ واحد وأن الإختلاف إنما جاء من قبل الرواة.

* إن القول بنسخ التلاوة هو نفس القول بالتحريف، ومستند هذا القول أخبار آحاد لا يمكن الأخذ بها.

والمراد من أخبار الآحاد هو أن خبر الواحد بنفسه لا يفيد إلا

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٨.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٥.

الظنّ، والظنّ لا يمكن الإعتماد عليه ولا الأخذ به، ومهما كثر هذا الخبر الواحد عدداً فإنه لا يفيد قطعاً ولا يقيناً، لأن سنده واحد من حيث نفس الأشخاص؛ فلا بدّ من الثبوت بالتواتر الصحيح السند المختلف نوعاً من حيث الرجال الثقات، وكمّاً من حيث العدد الذي لا يقلّ عن ثلاث روايات.

*** النسخ في الشرائع السابقة:**

وقع النسخ في شرع اليهود كتحريم كثيرٍ من الحيوان على لسان موسى عليه السلام مع إباحة الجميع ما عدا الدم على لسان نوح عليه السلام: فإنه جاء في التوراة: أنَّ الله تعالى قال لنوحٍ عند خروجه من الفلك: إني جعلت كل دابة مأكلاً لك ولذريتك، وأطلقت لكم كنبات العشب، ما خلا الدم فلا تأكلوه. ثم حرّم الله تعالى على بني إسرائيل كثيراً من الحيوان. وأيضاً العمل كان مباحاً يوم السبت ثمَّ حُرّم عليهم لمَّا حرَّموه على أنفسهم وجعلوه يوم عطلة لهم.

خطوط عامة

***الدين فطرة الله في الإنسان مهما حاول التهرب منه:**

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ ـ لا تبديل لما خلق فيه من غريزة التدين.

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾[2].

*** تغيير الواقع مربوط بتغيير النفس:**

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[3].

فالشرط هو فعل الإنسان وإرادته.

*** وفرة العطاء بشرط الطاعة والإستقامة:**

﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾[4].

---

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.
(٢) سورة الشورى، الآية: ١٣.
(٣) سورة الرعد، الآية: ١١.
(٤) سورة الجن، الآية: ١٦.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾(١).

* ربط الشرط (العصيان) بالجزاء (التدمير والهلاك):

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾(٢).

* التكذيب سُنَّة:

﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾(٣).

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾(٤).

والدعوة إلى الله لازمة رغم التكذيب.

* السرعة التاريخية والسرعة الإعتيادية:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾(٥).

العذاب سُنَّة، سُنَّة ثابتة لكنها ليست بتحديد البشر، لأنه كلمة الله ولا مبدل لكلمات الله عن موعدها.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٦.
(٣) سورة الزخرف، الآية: ٢٣.
(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٣٣.
(٥) سورة الحج، الآية: ٤٧.

اليوم الواحد عند ربّ العالمين يوازي ألف سنة من حياتنا الإعتيادية، أما يوم القيامة، فخمسين ألف سنة.

﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[1].

هناك مبررات موضوعية لمسار التاريخ الموجبة للعقاب التاريخي في العمر الطويل بعد تحديه في المدى القصير.

هناك إجراءات تاريخية أولى وإجراءات أخروية ثانية.

«. . . ولئن أمهل الله الظالم فلن يفوته أخذه، وهو له على مجاز طريقه، وبموضع الشجى من مساغ ريقه»[2].

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۝١٨﴾[3].

القرآن يسمي العطاء الدنيوي: بالعاجل، أي: مكاسب عاجلة، لأنه عطاء قصير محدود سوف ينتهي بسرعة.

* ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝١٢٣﴾[4].

سيطرة الزعماء والكبار في كل بلد، وسيطرة كل زعيم على البلاد الأخرى، ووقوع الحرب فيما بينهم بغية المكاسب، والنهاية دمار

---

(١) سورة المعارج، الآية: ٤.

(٢) خطبة: ٩٥ من نهج البلاغة.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٨.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٢٣.

ووبال عليهم. وما يمكرون إلا بأنفسهم! هذا مكر وخداع سياسي ينتهي عليهم بالسوء.

* ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[1].

البشرية، الإنسانية كلها سألت وطلبت، وعلى مرّ التاريخ كانت محتاجة لحياة الإقتصاد، لقانون التبادل والعلاقة مع الغير.

ونشوء الصراع والظلم إنما كان من خلال عدم عدالة الحكم والتوزيع.

* ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ﴾[2].

اعتاد اليهود أن يضعوا الدنيا كلها في ساحتهم، من خلال نظرتهم العنصرية الضيقة. غيرهم ليسوا بشراً، بل أميّون، همج لا يعقلون.

فلا عجب إن أراد هتلر محوهم من الوجود إذن!

* ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾[3].

يطغى على مستوى الإستغلال للآخرين. هناك علاقات مع الطبيعة تتناسب عكسياً مع العدالة وعدمها. هناك ازدهار مع مجتمع العدل وويلات مع عدمه.

* ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾[4].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٥.
(٣) سورة العلق، الآيتان: ٦ ـ ٧.
(٤) سورة الجن، الآية: ١٦.

* ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾[1].

* ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾[2].

أسرة بشرية واحدة، لكن الطواغيت تمزقها وتدمرها لتبعثر إمكانياتها وطاقاتها، وينشأ الظَلَمة والمستكبرون.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾[3].

هدف سياسي فرعوني مستمر على مدى القرون، ضربُ وتمزيق الأمم والشعوب كي لا تقوى ويبقى المستكبر الأعلى.

* ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾[4].

هؤلاء لم يظلموا أحداً، ولا من المستضعفين المقهورين، بل من المهادنين الذين يشعرون بأنهم مستضعفون، فظلموا أنفسهم لأنهم لم يقوموا بالهجرة والبحث عن مستلزمات العيش بالعزة والكرامة ويكونوا من المبدعين في تطوير المجتمع.

* ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾﴾[5].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٢

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٥٢.

(٣) سورة القصص، الآية: ٤.

(٤) سورة النساء، الآية: ٩٧.

(٥) سورة النساء، الآية: ٥.

الأموال إنما هي لإقامة الحياة، ولمَّا كان السفيه لا يصلح لتحقيق هذه الأهداف، فقد منع الله سبحانه وتعالى من إطلاق يده في الأموال.

* ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾.

تقاسم الثروة المنتجة بين الفقراء وأصحاب المال أمر ضروري لتوازن المجتمع، ولأجر الآخرة أكبر.

* ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[1].

إعطاء صلاحية للأمة بممارسة دورها عن طريق الشورى، والأخذ برأي الأكثرية عند الإختلاف.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾[2].

كل مؤمن ولي الآخر بالإهتمام لأمره، بقرينة تفريع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه. والنص ظاهر في سريان الولاية بين كل المؤمنين والمؤمنات بصورة متساوية.

* ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[3].

الإنسان المحدود لا يمكن أن يصل إلى الله المطلق ولكنه كلما توغل في الطريق إليه اهتدى إلى جديد وامتدَّ به السبيل إلى المزيد.

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٨.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾[1].

ليس الذهب والفضة إلا مثالين للنقد، والمال هو الذي من شأنه أن يُنفق.

ومقاومة الإكتناز تكمن شرعاً بوضع ضريبة على النقد والمال المكتنز وإنفاقه.

والهدف: التوازن، وانتشار المال وعدم حصره في عددٍ محدودٍ من الناس كي لا يظلمون ويستغلون.

* ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[2].

الله تعالى يعلم ما تزخر به نفس الإنسان من إمكانات ومشاعر، وما يتأثر به من مغريات وشهوات، وما يُصاب به من ألوان الضعف والإنحلال، وإذا تُرِكَ الإنسان ليمارس دوره من دون توجيه ورعاية كان خَلْقُهُ عبثاً، ومجرد تكريس للنزوات، والشهوات، والإستغلال.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾[3].

فكان لا بد من تدخل رباني لهداية الإنسان في مسيرته ببعث الأنبياء والرسل، وإلا لم تكن حكمة من خلقه.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٤.
(٢) سورة ق، الآية: ١٦.
(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١١٥.

* ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1].

المعنى: فضلناهم على جميع مَن خلقنا. والعرب تضع الأكثر والكثير في موضع الجمع، كقوله تعالى: ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ - أي: وكثير منهم كاذبون.

ولا بدَّ لكل جماعةٍ أو أمةٍ من قائدٍ يرشدها ويقودها. لا بدَّ لها من إمرة وقيادة، وهذا أمر ضروري بالوجدان والفطرة، ومسؤولية للقيادة، فهي أول ما تُدعى وتُحاسَب مع جماعتها وعداً ووعيداً من الله.

﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾﴾[2].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧١ - والمراد بالإمام: الرئيس، إمام هدى كان أو إمام ضلالة. والذين كانوا من أصحاب الهدى والصلاح، والمعبَّر عنهم بمن أُوتي كتابه بيمينه، يقرأون كتاب حسناتهم وأعمالهم ولا يُظلمون مقدار فتيلٍ في شِقّ النواة.

في أحوال الجنة

* ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۝٧٠﴾[1]. أي: خيْرَاتُ الأخلاق، حسان الوجوه.

* ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ۝٧٦﴾[2].

رَفْرَف: جمع، والمفرد: رفرفة. وهي الوسادة أو المحابس فوق الفُرش.

عبقري: جمع، واحدهُ: عبقرية. كما تقول: تمرة، وتمر، ولوزه، ولوز، وهي البُسط.

* ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥﴾[3] هي السرر المنسوجة نسجاً.

* ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥﴾[4].

فإن قيل: التأثيم لا يُسمع فكيف ذكره سبحانه مع المسموع؟

---

(١) سورة الرحمن، الآية: ٧٠.
(٢) سورة الرحمن، الآية: ٧٦.
(٣) سورة الواقعة، الآية: ١٥.
(٤) سورة الواقعة، الآية: ٢٥.

فالجواب: إنَّ العرب يقولون: «أكلتُ خبزاً ولبناً، واللبن لا يؤكل، وإنما حَسُنَ هذا لأنه كان مع ما يؤكل.

وقال الفرَّاء: أنشدني بعض العرب:

إذا ما الغانيات برزن يوماً   وزجَّجن الحواجب والعيونا

قال: والعين لا تُزجَّج إنما تُكحَّل، فردَّها على الحاجب لأنها تُعرف.

وأنشدني آخر:

ولقيتُ زوجَكِ في الوغى   متقلِّداً سيفاً ورُمحاً

فالرمح لا يُقلَّد ويوضع جنباً كالسيف، ولكنه جاء مع السيف لمعرفته كذلك.

* ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾﴾[1]: هو نبات السدر لا شوك فيه.

* ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾[2]: دائم لا يغيب.

* ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾﴾[3]: جارٍ لا ينقطع.

* ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾﴾[4].

إنشاؤهن: إيجادهن عن غير ولادة وهن حور العين.

﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾[5].

---

(١) سورة الواقعة، الآية: ٢٨.
(٢) سورة الواقعة، الآية: ٢٩.
(٣) سورة الواقعة، الآية: ٣٠.
(٤) سورة الواقعة، الآية: ٣٥.
(٥) سورة الرحمان، الآية: ٥٦.

تفسير بعض المتشابه والغامض

* ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾[1].

متاعاً: منفعة.

المقوين: المسافرين. قاله إبن قتيبة ـ من القُوْيِ أي: القَفْر. سُمُّوا بذلك لنزولهم في المكان المقفر. وقال إبن زيد: المقوي: الجائع في كلام العرب.

* ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ أي: ما ردَّ عليه ﷺ.

﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾[2].

الإيجاف: الإيضاع. يقال: وجف الفرس وأوجفته. وهو الإسراع في السير. والركاب: الإبل.

والمعنى: وما ردَّ الله على رسوله ﷺ من غنائم وجُعل له، فما حصلتم عليه من طريق الحرب والقتال ليكون لكم حصة فيه.

فالذي يأتي لرسول الله ﷺ من غير قتالٍ ولا حرب كالتي يُسلم أهلها طوعاً يكون ملكاً لرسول الله ﷺ يصرفه ويضعه حيث يشاء.

---

(١) سورة الواقعة، الآية: ٧٣.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٦.

* ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[1].

قيل في تفسير الآية:

١ ـ إنَّ مقدار الخلق للسموات والأرض يوازي ستة أيام من أيام الدنيا لأنه لم تكن الشمس وقتئذٍ، أو لا زمن حيث اليوم يُعرف بطلوع الشمس وغروبها.

٢ ـ إنَّ التعجيل أبلغ في القدرة، والتثبيت أبلغ في الحكمة، فأراد سبحانه إظهار حكمته، كما يُظهر قدرته في قول: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾.

٣ ـ تعليم عباده التثبت وهم أهل الزلل والتسرع.

٤ ـ حتى لا يعتقد العباد وقوع ذلك بالإتفاق، فكان الإمهال في خلق شيء بعد شيء.

* ﴿...ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾.

أي: استقر ملكه واستقام بعد خلق السماوات والأرض.

كقول العرب: استوى الملك على عرشه. إذا انتظمت أمور مملكته، وإذا اختلَّ أمر ملكه، قالوا: ثُلَّ عرشه.

* ﴿أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾:

ثلاثة متوالية للحج «شوال» و«ذو القعدة» و«ذو الحجة» و«رجب» وقد حرَّم الله سبحانه القتال في الثلاثة للحج، وفي رجب، للإعتمار، لكثرة فضيلته فيه.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾[1].

فإذا حال ودخل في حريم القلب لا يمكن التخطي عنه، أي: عن إرادته وأمره.

* ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾[2].

* ﴿كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾، إسمها «رائطة» أو «رَيطة».

وعن إبن الأنباري: رَيطة بنت عمرو المروية، ولقبها: الجعراء. وكانت متناهية الحمق، تغزل الصوف ثم تأمر جاريتها بتقطيعها أنكاثاً، أي أنقاضاً، واحدها: نِكثٌ.

﴿دَخَلًا﴾: مكراً وخديعة، وكل شيء دخله عيب فهو مدخول، وفيه دَخَلٌ.

*﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾: أي: لتكون أمة هي أكثر من أمَّة. إذ كانوا يحالفون الحلفاء، فإذا وجدوا مَن هو أكثر عدداً ممَّن حالفوهم نقضوا حلفهم وحالفوا غيرهم الأكثر عزاً وعدداً.

﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾: يختبركم بالكثرة.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.
(٢) سورة النحل، الآية: ٩٢.

* ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾.

﴿بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: وهو نقضكم العهد مع رسول الله ﷺ.

* ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾[1].

﴿ٱلَّذِى﴾: هنا وُحِّدُ أولاً، وجُمع بعد لمعناه، كقول الشاعر:

فإنَّ الذي حانت بفلجٍ دماؤهم   هم القوم كل القوم يا أمَّ خالد

وصحَّ ضرب مثل الجماعة بالواحد، كما قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾[2].

﴿بِنُورِهِمْ﴾ جُمع لأن المعنى ذاهب إلى المنافقين.

وعُبِّر بالنور بدل الضوء، لأن بضوئهم يوهم الذهاب بمجرد الضوء وبقاء ما يسمى نوراً.

* ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾[3].

﴿مُرَٰغَمًا﴾: مُزَحْزَحاً كثيراً عمَّا يكره وسعة من الرزق.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧.
(٢) سورة الجمعة، الآية: ٥.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٠٠.

أو: متحوَّلاً ومتقلباً كثيراً في الأرض، وسعة في الرزق.

* ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾[1].

* ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾[2].

على بصر القلب غشاوة، وتلك الغشاوة هي الهوى، وذلك الغطاء هو الهوى أيضاً. فإذا منَّ الله سبحانه على الإنسان صاحب الهوى، والغشاوة، والغطاء، بنور الهداية خرق تلك الحجب واستقر الإشراق مكانها، واستنار القلب، وزكا. قال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ أي: احتظَّ مَن خرق ظلمة هوى النفس والكفر وفلح، وخاب عن نصيب الهداية وخسر مَن دسَّ تلك الروزنة بتلك الظُّلَم النفسية الدامسة.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾[3].

فكلما عَمِلَ العبد طاعة، فإنما يعملها اهتداءً، فيزيده الله هدىً، أي: نوراً يورثه التقوى، ولا تكون التقوى إلا من الخوف والخشية.

* ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾[4].

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٥٧.
(٣) سورة محمد، الآية: ١٧.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١١٠.

إنَّ الهدى جزاءٌ لا يستحقه إلا الذين يريدونه، والذين لا يؤمنون رغم الآيات المبثوثة في الآفاق والأنفس، هو صاحب قلب مقلوب، إن الله سبحانه هو الذي يُقلب القلوب، لأنه يعلم حقيقتها، فيذر المكذبين متقلبين جزاءً لعلمه أنهم لا يستجيبون، لذلك ولو أنزل إليهم سبحانه الملائكة كما يطلبون، ولو بعث إليهم الموتى يتكلمون، كما اقترحوا كذلك، فإنهم لا يؤمنون، لأنهم لا يريدون الإيمان ليهديهم إليه، فيذرهم في طغيانهم يعمهون يتحيرون كما لم يؤمنوا به أول نزوله.

* «الأمة» في القرآن الكريم:

١ - ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾[١] - أي: عصبة.

٢ - ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[٢] - أي: ملة واحدة.

٣ - ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾[٣] أي: سنين.

٤ - ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾[٤] - أي: لكل قوم.

٥ - ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾[٥] - أي: إماماً.

٦ - ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾[٦] - أي: لكل قوم..

٧ - ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[٧] - أي: خير ناس، وهي أمة محمد ﷺ

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٨.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٤٥.
(٤) سورة الحج، الآية: ٦٧.
(٥) سورة النحل، الآية: ١٢٠.
(٦) سورة يونس، الآية: ٤٧.
(٧) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

* ﴿خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾[1].

الندي والنادي، لغتان عند العرب. وهو مجلس القوم ومجتمعهم.

افتخروا عليهم بالمساكن والمجالس لكن مساكن الله سبحانه ومجلسه أجلُّ وأعظم!

* ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾[2].

أي: غير مائلٍ أو متجه نحوه. وهو نصب على الحال.

* ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاؤُا الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[3].

أراد قابيل قتل أخيه هابيل، فقال له هابيل:

إني أُريد أن تحتمل إثمي إن حاولت قتلك، وإثم قتلك لي: وكأنه قال: إن ظلمتني فلن أظلمك. والمدافع إنما يحسن منه المدافعة طلباً للتخلص من المفسدة من غير أن يقصد القتل، وهو لم يدفع.

* ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾[4].

إنما النفس كالزجاجة والعلم سراج وحكمة الله زيت

---

(١) سورة مريم، الآية: ٧٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٢٩.

(٤) سورة النور، الآية: ٣٥.

فـإذا أشـرَقَـتْ فـإنـك حـي   وإذا أظْـلَـمَـتْ فـإنـك مـيـت

ابن سينا.

* ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾[1].

أي: لغة الذي ينسبون إليه التعليم أعجمية، ولم يقل سبحانه «عجمي» لأن العجمي هو المنسوب إلى العجم، وقد يكون العجمي فصيحاً، كـ«سيبويه» والأعجمي هو الذي لا يفصح وإن كان عربياً.

* ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[2].

الحيوان والحياة واحد. والمعنى: لهي دار الحياة التي لا موت فيها ولا تنغيص.

* ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾[3].

أي: ما زاد على الحاجة. وهي مسؤولية على القادرين لسد حاجات المضطرين المعوزين. من هنا تنشأ حرمة التبذير والإسراف، شعوراً بالمسؤولية الملقاة على عاتق الأغنياء، ومن أجل إيجاد نوع من التكافل الناشىء من الشعور بالمواساة مع الفقراء.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.

الملائكة لاحظوا خط الخلافة بصورة منفصلة عن الخط المكتمل لها، فثارت مخاوفهم، وأما الخطة الربانية ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ فقد وضعت خط الخلافة مع خط الأنبياء الذي يحمل الهدى إلى الناس من أجل تحصينهم من الإنحراف، وهو خط الشهادة والرقابة على الأعمال والتوجيه، وهو تدخل ربَّاني يتمثل في الأئمة والمرجعية امتداداً.

* ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١﴾[1].

قيل: هي خولة بنت خويلد أو خولة بنت الصامت أو خولة بنت الدليج. وإسم زوجها: أوس بن الصامت.

جاءت تشتكي إلى رسول الله، وتقول: يا رسول الله: أبلى شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبُر سني، وانقطع وُلدي، ظاهر مني. اللهم إني أشكو إليك، قالت: فما برحتُ حتى نزل جبريل بهذه الآيات.

وتلا ذلك آية المظاهرة ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾.

وقد حرَّم الإسلام المظاهرة بأن يجعل الرجل زوجته حراماً عليه كظهر أمه، فيقول لها: أنتِ عليَّ كظهر أمي، فإن فعل ارتكب إثماً وعليه كفارة كبيرة قبل العود.

* ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٢٣﴾[2].

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ١.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٢٣.

﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾: الطاهر المنزه عن كل نقص وعيب.

﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾: الطاهر. ومنه سُمِّي بيت المقدس، ومعناه: المكان الذي يُتطهر فيه من الذنوب.

﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾: الذي سلم من كل عيب، وبريء من كل آفة.

﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾: الذي أمِن الناس من ظلمه، وأمِنَ عذابَه مَن آمن به.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[1].

﴿ٱلْخَٰلِقُ﴾: على غير سابق صورة.

﴿ٱلْبَارِئُ﴾: الخالق. برَأ، أي: خلق.

* ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[2].

له ﷺ أسماء كثيرة كما ورد في الروايات، من هذه الأسماء: «أحمد» أي: هو أكثر حمداً من غيره، وهو وصف مبالغة من الفاعل. و«محمَّد» أي: الذي كَثُرت خصاله المحمودة فهو المحمود أيضاً، والمصطفى: أي: الذي اصطفاه الله سبحانه على سائر البشر وجعله خاتم أنبيائه، والحبيب وغير ذلك من صفاته ﷺ.

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٢٤.

(٢) سورة الصف، الآية: ٦.

إكمال الشوط

* ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْـًٔا... ﴿١٤٤﴾﴾[1].

هذا يعني أن شوط الثورة على الجاهلية طويل وشاق ولا ينتهي بموت النبي، فلا بد أن يمتد دور النبي في قائدٍ رباني يمارس دور الخلافة على الأرض ويكمل الشوط، وهو الإمام، فالإمام كالنبي شهيد يُشرف على أعمال الأمة ويراقبها.

* ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَٰتِ﴾[2].

أئمة بمعنى أنهم أوصياء على الرسالة وليسوا أصحاب رسالة، وإن كانوا أنبياء يُوحَى إليهم.

﴿...وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.

(٣) سورة السجدة، الآية: ٢٣ ـ ٢٤.

هذه وصية بدون نبوة. وهذا هو الشكل الذي اتخذه الرسول ﷺ بأمرٍ من الله تعالى. فعيّن أوصياءه الإثني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

* ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ...﴾[1].

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾[2].

يُلاحظ في تاريخ العمل الرباني على الأرض أن الوصاية كانت تُعطي لأشخاصٍ يرتبطون بالرسول القائد مباشرة كذرية، وأبناء، كونهم قد تربوا وعاشوا في كنف النبوة والرسالة لا كصلة قرابة. إذ ليست النبوة تراثاً يتوارث، فإذا لم تحقق القرابة الهدف الرسالي للنبي الذي يعتبر قريباً لهم، فلا أثر لها في حساب السماء، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾[3].

والعهد هو الميثاق بالإلتزام بالدعوة إلى الله، والإصلاح لأمم وشعوب الأرض بمن اعتام الله سبحانه وتعالى واختار، وإعزاز الدين، ونصرة المستضعفين، وإذلال المستكبرين.

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٨٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

خلق الإنسان في القرآن الكريم

خَلْق الإنسان لطواراً لا تطوراً:

* ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ۝٥﴾[1].

* ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ۝١٣﴾[2].

* ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ۝٦﴾[3].

* ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾[4].

---

(١) سورة الحج، الآية: ٥.
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١٣.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٦.
(٤) سورة الإنسان، الآية: ٢.

«نبتليه»: نخلقه.

والأمشاج: النطفة المختلطة من الحيوان المنوي والبويضة بعد التلقيح. وهي: الأخلاط ـ يقال: إذا مشجت هذا بهذا: خلطته. ومشيج أي: مخلوط.

* ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾[1].

أي: لُعن الإنسان ما أشد كفره لو عرف من أي شيء حقير خُلق.

والنطفة لغة: الماء الصافي قلَّ أو كثُر، والجمع النِّطاف.

* ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾[2].

* ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾[3].

* ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾﴾[4].

والعلقة حسب أهل اللغة: هي الدم الغليظ، والقطعة منه علقة. وسُميت علقة لعلوقها بالرحم. واتفق الأطباء على أن العلقة هي المرحلة التي تعلق فيها الكرة الجرثومية بجدار الرحم وتنشب فيه. وحجم العلقة ربع ملم. وتتغذى من الدماء المحيطة بها في الرحم، ومن إفرازات الغدد الرحمية التي يبلغ عددها ١٥,٠٠٠ غدة، والتي تسمى لبن الرحم «Uterine Milk».

---

(١) سورة عبس، الآيات: ١٧ ـ ١٩.
(٢) سورة القيامة، الآيتان: ٣٦ ـ ٣٧.
(٣) سورة الواقعة، الآية: ٥٨ ـ ٥٩.
(٤) سورة السجدة، الآيتان: ٧ ـ ٨.

ويتكون منها الغشاء المشيمي «Chorion» وتكون له زغابات ويتفرع مثل الشجره، وغشاء السلمي (الأمنيون) وكيس المخ.

والمضغة: قطعة من اللحم تبدو وكأن أسنان الإنسان مغروسة فيها.

ومن الأسبوع الثاني من التلقيح تبدأ الكتل الداخلية الخلوية بالتكون، ويتوالى ظهورها تباعاً من الرأس إلى مؤخرة الجنين حتى ليبلغ عددها عند اكتمالها من ٤٢ إلى ٤٥ زوجاً من الكتل.

وهذه الكتل هي الأساس الذي يقوم عليه الجهاز الهيكلي والعضلي ومنه يتكون. ويظهر في هذه الفترة خمسة شقوق في الطبقة الخارجية (grooves) التي تسمى «أكتودرم» ويقابلها خمسة شقوق أو نتوءات مماثلة تسمى الأقواس البلعومية «Pharyngeal arches» بعد ظهور الطبقة الداخلية «أنتودرم» والمتوسطة «ليزودرم» نتيجة نشاط الشريط الأول.

فإذا نظرت إلى الجنين في هذه المرحلة لم تشك في أنه يشبه قطعة لحم ممضوغة.

ووصفُ القرآن الكريم بالمضغة، أدق من وصف علماء الأجنة بالكتل البدنية (...Somites) الشاملة للأقواس البلعومية، والقطع الداخلية.

والنطفة الأمشاج تنقسم إلى مثل التوتة وتسمى الكرة الجرثومية «Blastula» تعلق في الرحم في اليوم السادس فتصبح علقة، وتتحول العلقة إلى مضغة في اليوم العشرين أو الواحد والعشرين بظهور الكتل البدنية «Somites ...» ومن هذه الكتل يخلق الله سبحانه العظم واللحم.

والأغشية الثلاث «الظلمات» ـ كيس الأمنيون (السلي) والكوريون المشيمي الذي يغذي الجنين، والرحم أو جداره المسمى بالساقط ـ مهمة جداً في نمو الجنين، لأن الضوء يعيق مراحل النمو المختلفة.

بعد المضغة، والعظام، وكسو العظام لحماً، واكتمال الخلق للخروج إلى الحياة، وقد نُفخت في الجنين روح الحياة، تبارك الله أحسن الخالقين.

* ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[1].

وقبل نفخ الروح ـ الذي يُلاحظ أنه في الشهر الثالث أو قبل من خلال دقات القلب وتكوّنه ـ تكون حركة النمو في الجنين من خلال الإغتذاء من جسم الأم كنمو النباتِ من غير روح.

وعليه:

فلسنا جراثيم متطورة، ولا من أصل قرود. وسبحان مَن خَلَق وإليه النشور.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.

سُنّة الحياة

*** الحب:**

«الحب هو طلب الإكتمال. وهو ينطوي على أمرين:

الأول: حب الجسم.

والثاني: حب الروح.

وحب الجسم بين الرجل والمرأة: لا إثم فيه لأنه وسيلة للتناسل الذي هو نوع من أنواع الخلود، ولكنه مع ذلك هو صورة بدائية من الحب لا يستمر من دون علاقة روحية. أمّا حب الروح فهو الأساس الرابط بين الأحياء، وهو الذي ينبغي أن يكون.

*** الزواج:**

أولى الحاجات البدنية الجنس، وأولى الحاجات القلبية: الحاجة إلى رباط روحي حميم، حميم ما أمكن، هي حاجة لا يشبعها الإتصال الجنسي بقدر ما يشبعها وجود واتصال روحين.

*** في الشريعة:**

لا يخفى أن الزوجية المجعولة في عقد النكاح مقابل الفردية،

فكأنّ كل واحدٍ من الرجل والمرأة فرد، فإذا تزوج أحدهما بالآخر صار زوجاً بضم الآخر إليه. وهذا الضم كما يمكن لحاظه في الزوجة بأن تنضم إلى الرجل، كذلك يمكن لحاظه في الرجل بأن ينضم إلى الزوجة. لكن شرافة الذكر تقتضي الأول، لأن الضمَّ فيه تابعية ومتبوعية، والرجل أولى بالمتبوعية، كما أن الأنثى أولى بالتابعية، فلذلك تعارف إيجاب المرأة بقولها للرجل: «زوجتكَ نفسي»، ولم يتعارف إيجاب الرجل بقوله للمرأة: «زوجتكِ نفسي» وإن صحَّ أن يقول: أتزوجكِ على كتاب الله وسنة نبيهﷺ معبِّراً عن انضمامها إليه.

*** وقت الخطر:**

«. . . إن العقلاء لا يتفوهون بشيء في أوقات الخطر. إن الأسد دعا الشاة ليسألها إذا كانت ثمة رائحة تخرج من فمه، فلما أجابت بالإيجاب عضَّها فأكل رأسهالأنها غبيَّة حمقاء. فدعا الذئب وأعاد عليه نفس السؤال فأجاب بالنفي، فمزقه الأسد إِرْباً لأنه متملق. وأخيراً دعا الثعلب وناداه، وكرَّر عليه السؤال، فتعجب، وقال: إنه مصاب بالبرد، ولا يستطيع أن يشم»[1].

وما أكثر الثعالب في مثل هذه الأيام وفي كل زمن يشتد فيه الكَلَبُ على الناس!

---

(١) قصة الحضارة مجلد: ٢٧ ـ ٢٨ ـ وِل ديورانت.

الفصل الثاني

لغة وأحكام

رمضان
(٩)

الرَّمَضُ: شدة الحرِّ. وشهر رمضان مأخوذ من: رَمَضَ الصائم يَرْمَضُ إذا حرَّ جوفه من شدة العطش. وعن ابن دريد:

لمّا نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سمُّوها بالأزمنة التي هي فيها، فواق رمضان أيام رمض الحرِّ وشدته.

والجمع: رمضانات، ورمَاضين، وأرمِضاء، وأرمِضة، وأرْمُض.

وروى في الوسائل عن العلل وعيون الأخبار بإسناده عن الفضل بن شاذان عن الرضا عليه السلام قال: إنما جُعل الصوم في شهر رمضان خاصة دون سائر الشهور لأن شهر رمضان هو الشهر الذي أُنزل فيه القرآن إلى أن قال: وفيه نُبىء محمد صلى الله عليه وآله وفيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، وفيها يُفرق كل أمرٍ حكيم، وهو رأس السنة، ويُقدَّر ما يكون في السنة من خيرٍ أو شرٍ أو مضرةٍ أو منفعةٍ أو رزقٍ أو أجل، ولذلك سميت ليلة القدر...» الحديث[١].

---

(١) الوسائل: ج٧، أبواب أحكام شهر رمضان، ص١٧٣، ح٦.

بكة
(؟)

مكة في تسميتها ببكة ثلاثة أقوال:

أحدها: لازدحام الناس بها.

والثاني: لأنها تبكّ أعناق الجبابرة، أي: تدُقها، فلم يقصدها جبارٌ إلا قصمه الله.

والثالث: لأنها تضع من نخوة المتجبرين، يقال: بككت الرجل، أي: وضعت منه، ورددت نخوته.

وفي بكة أربعة أقوال:

الأول: أنها الكعبة.

والثاني: أنها إسم للبقعة التي فيها.

والثالث: أنها ما حول البيت، ومكة ما وراء ذلك.

والرابع: أنها المسجد، والبيت. ومكة: إسم للحرم كله.

والأول هو أرجح الأقوال.

واستدل على ذلك بلغة بعض العرب بإبدال الباء ميماً، إذ يقولون: شر لازم ولازب. وسمد رأسه، وسبد رأسه، أي: قطعها من أصلها.

عَرَفَة
(؟)

روى بعضهم أنه: لمَّا فرغ إبراهيم ﷺ من بناء البيت أتاه جبريل، فأراه الطواف ثم أتى به جمرة العقبة، فعرض له الشيطان، فأخذ جبريل

سبع حصيات، وأعطاها إبراهيم ﷺ، وقال له: إرم وكبِّر، فرميا وكبَّرا مع كل رمية حتى غاب الشيطان. ثم أتى به الجمرة الوسطى، فعرض لهما الشيطان، فأخذ جبريل سبع حصيات، وأعطاها إبراهيم ﷺ؛ فقال له: إرْمِ وكبرّ، فرميا وكبَّرا مع كل رمية حتى غاب الشيطان، ثم أتى به الجمرة الصغرى، فعرض لها الشيطان وفعلا كالسابق، ثم أتى به «مِنى» فقال: هاهنا يخلق الناس رؤوسهم، ثم أتى به عرفة؛ فقال: هاهنا يجمع الناس؛ فقال: أعرفت؟ قال: نعم. قال: فمن ثم سُمِّيت عرفات.

وروي عن علي ﷺ: أن الله تعالى بعث جبريل إلى إبراهيم فحج به، فلما أتى عرفات قال: قد عرفت، فسميت «عرفة».

وقال بعضهم: سُميت بذلك لاجتماع آدم وحواء، وتعارفهما بها.

وهو بعيد لسبق تعارفهما في الجنة..

الصفا والمروة

(؟)

الصفا في اللغة: الحجارة الصلدة التي لا تُنبت شيئاً، وهو جمع صفاة، كحصاة وحصى.

والمروة: الحجارة اللينة. وهذان الموضعان من شعائر الله.

شعائر الله

(؟)

الشعائر: جمع شعيرة. ولغةً: من شعرت بالشيء إذا علمت به. وبالمصطلح الشرعي: الشعائر هي: أعمال عبادية يؤجر المرء على إتيانها.

والصفا والمروة هي من شعائر الله وأعماله العبادية التي أمر بها المولى سبحانه وتعالى من حيث السعي بينها سبع مرات أو أشواطٍ من ضمن أعمال العمرة أو الحج. وقد أعلم الله سبحانه وتعالى بذلك وأشعر بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾(١).

الزكاة والصدقة

الزكاة في اللغة: الطهارة والنماء والبركة والمدح:

الطهارة: كقوله تعالى: ﴿أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾(٢) أي أطهر.

النمو: كقول أمير المؤمنين عليه السلام: «العلم يزكو على الإنفاق».

أي: ينمو عليه.

البركة: كقولهم: «زكا الزرع» أي: حصل منه نمو وبركة.

المدح: كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾(٣) ـ أي: يمدحونها.

والفرق بين الزكاة والصدقة: أن الزكاة فرض، والصدقة نفل وقد تجب بالنذر ونحوه.

وقد يراد بالصدقة: الزكاة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(٤).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.
(٢) سورة الكهف، الآية: ١٩.
(٣) سورة النساء، الآية: ٤٩.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٦.

الفيء
(؟)

الفيء في اللغة: الرجوع، ومنه ما يقال عنه: الفيء لرجوع الظل بعد زوال الشمس.

وفي الشرع: ما ردَّ الله من أموال إلى رسوله أو حصل عليه من الكفار بغير قتال بالجلاء أو بالمصالحة على جزية.

وأشار إلى ذلك قوله تعالى في سورة الحشر: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[1].

وهذه الآية وسورة الحشر كلها نزلت في بني النضير، اليهود في المدينة عندما نقضوا عهدهم مع رسول الله، وتآمروا على قتله بإلقاء صخرة عليه غدراً، فأخبره الوحي بذلك. فذهبﷺ مع عشرة من أصحابه يأمرهم بالجلاء ويخبرهم بغدرهم، فأبوا وتحفوا خمسة عشر يوماً ثم نزلوا على أن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح، وذهبوا إلى خيبر وغيرها، وجعل الله سبحانه كل ما خلَّفوه من مالٍ وسلاحٍ وخيلٍ وأراضٍ لرسول اللهﷺ، فقال عمر: ألا تخمس ما أصبت؟ فقال رسول اللهﷺ: لا أجعل شيئاً جعله الله لي دون المسلمين بقوله عزَّ وجل: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾.

وقال الواقدي وغيره:

«إنما كان ينفق على أهله من بني النضير، كانت له خالصة، فأعطى مَن أعطى منها وحبس ما حبس واستعمل على أمواله مولاه أبا رافع.

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.

وكانت للنبي ﷺ كذلك، فدك وخيبر خصَّه الله تعالى بها، حيث صالح أهل فدك وقرى، وهو محاصر قوماً آخرين فأرسلوا إليه بالصلح. قال تعالى: ﴿فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ﴾.

٣ الصفي

(؟)

ويُجمع على صفايا: وهي خالصة للنبي ﷺ دون المسلمين من أي شيء كان غير سهمه في الخمس.

الأنفال

(؟)

جمع النَّفْلُ وهو العطية أو الهبة ـ قال تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ...﴾ الآية.

وهي للرسول. والآية نزلت في بدر بعد اختلاف المسلمين في الغنيمة. فنزلت الآية، وأنها لله وللرسول ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾ ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ ثم قسَّمها رسول الله ﷺ من نفسه سوية بين المسلمين.

الغَلول

(؟)

من الإغلال وهي السرقة الخفية. والإسلال: السرقة.

قال سبحانه: ﴿وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ وهنا السرقة من المغنم.

الغنيمة

(؟)

كانت تستعمل قبل الإسلام عند العرب، على ما ظُفر به بلا مشقة من غير جهة العِدى، واستعملت كذلك في الفوز والظفر بالشيء من جهة العِدى، بعد نزول آية الخمس، لدى المسلمين خاصة ثم استعملت عند اللغويين بعد ذلك في عصر التدوين، في كل مظفورٍ به من جهة العِدى وغيرهم.

وكثرة الإستعمال حسب الإستقراء لكلمة «غنم» لم يُلحظ فيه قرينة مقالية أو حالية غالباً تدل على المعنى الشرعي (من جهة العِدى) بل الكثير من الموارد استعملت فيها بمعناها اللغوي دونما قرينة.

الخمس

(؟)

قال سبحانه: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

والآية وإن كانت نزلت في مورد خاص، لكنها أعلنت حكماً عاماً، وهو وجوب آداء الخمس من أي شيء غنموا، ولو كانت الآية تقصد خمس الغنيمة فقط، لقال عز مَن قائل: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾ من الحرب أو من العدى لا ﴿مِّن شَيْءٍ﴾.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤١.

وقد قرن سبحانه سهم ذي القربى بسهم رسوله وهو فضل للآل دون الأمة، فإن اليتامى والمساكين إذا انقطع يتمهم ومسكنتهم لم يكن لهم نصيب من المغنم، وسهم ذي القربى قائم فيهم إلى يوم القيامة فقرن سبحانه سهمهم بسهمه. ولما ولي أبو بكر تأول الآية وأسقط سهم النبي وسهم ذوي القربى، ومنع بني هاشم من حقهم في الخمس وجعلهم كغيرهم من يتامى المسلمين ومساكينهم وأبناء سبيلهم. وكذا فعل عمر.

ومما يدل على أن الخمس فَرْضٌ دفعه من مطلق الغنائم:

١ ـ إجماع المسلمين على أن الرسول أخذ الخمس من المال المستخرج من الأرض معدناً أو كنزاً، وهو ليس من العدى في الحرب.

٢ ـ أمْر الرسول ﷺ وفد عبد القيس بدفع الخمس من المغنم، عندما قدموا إليه طالبين تعليمهم أحكام الإسلام كي يعلموا قبيلتهم، والمغنم هنا مطلق المال المكتسب.

٣ ـ كتبه ورسائله إلى القبائل العربية التي أسلمت، وبعد إسلام أهل اليمن. وما ورد من كتاب الرسول ﷺ لقبيلة سعد: «أن يدفعوا الخمس والصدقة لرسولَيه».

فقد كان النبي ﷺ يطلب الخمس ممن أسلم من كل ما غنم عدا ما فُرضت فيه الصدقة.

والخمس ستة أسهم: سهم لله، ولرسوله، ولذوي قرباه، وأيتامهم، ومساكينهم، وأبناء سبيلهم. سهم الله للنبي يضعه حيث يشاء

وسهم النبي للنبي وأقربائه، والسهمان (الله والرسول) للإمام القائم مقامه. فنصف الخمس في هذه العصور لإمام العصر من حيث إمامته، والنصف الآخر منه لأيتام أقرباء النبي ومساكينهم وأبناء سبيلهم من جهة قرابتهم بالنبي من جهة الأب.

التعصيب
(؟)

وهو إعطاء ما زاد عن سهام الورثة المفروضة في الكتاب للعصبة، كميّت خلف بنتاً أو بنتين، فللواحدة بنص الكتاب النصف وللبنتين الثلثان، يبقى نصف أو ثلث.

فعندنا يُردُّ النصف على البنت فتأخذ جميع المال ويُردّ الثلث على البنتين، فيكون المال بينهما بالسوية وليس للعصبة أي: أخوه الميت أي شيء. وهكذا جميع المسائل التي يزيد المال فيها عن سهام الورثة يُردُّ الزائد فيه على أصحاب السهام بنسبة سهامهم، عدا الزوج والزوجة فلا ردّ عليهما في فرض وجود وارث غيرهما، كما لا ينقص نصيبهما عند العول، أي: الزيادة.

وعند من قال بالتعصيب يكون الزائد للطبقات المتأخرة من العصبة الذكور كالأخ وابن الأخ، والعم وابن العم دون الإناث فلا يرثن بالرد شيئاً وإن كن أقرب من الذكر في النسب.

ومحل الخلاف بين الإمامية وغيرهم، أمران على ما ذكر:

١ ـ أنه مع عدم وجود صاحب الفرض يُقدم العصبة على غير

العصبة عند غير الإمامية وإن تساويا في القرب، كمن مات وخلف عمًّا وعمَّة فالإرث للعم دون العمة وعند الإمامية يتشاركان.

٢ ـ أنه مع زيادة الفريضة على السهام يُرد الفاضل على ذوي الفروض بنسبة سهامهم عند الإمامية، ويُعطى للعصبة عند غير الإمامية وهم من يتقرب بالأب من الأخوة والأعمام الأقرب فالأقرب. ولا يُرد على جميع أهل الفروض عند الإمامية، بل يستثنى منهم خمسة أصناف لا يُرد عليهم أصلاً.

١ ـ الأم مع الحاجب لها من الأخوة.

٢ ـ الزوج والزوجة مع وجود وارثٍ غيرهما.

٣ ـ الأخت للأبوين أو الأختين مع واحدٍ أو أكثر من كلالة الأم فيُرَد على الأخت أو الأختين للأبوين. فإذا اجتمع أخت للأبوين مع أخت للأم، فللأخت للأبوين النصف وللواحد من كلالة الأم السدس، والباقي يُرد على الأخت للأبوين على المشهور عندنا.

وإذا اجتمع أخت للأبوين مع متعدد من الأم، فالنصف للأخت للأبوين، ولكلالة الأم الثلث يبقى واحد (١/٦) يُرد على الأخت للأبوين.

وللأختين من الأبوين ٢/٣ والـ١/٦ للواحد من كلالة الأم يبقى واحد ١/٦ يرد على الأختين. ولو اجتمع أخت أو اختان للأب مع المتقرب بالأم وحدها اختص الرد بالمتقرب بالأب على أحد القولين ويُرد على الجميع أرباعاً أو أخماساً على القول الآخر.

ولو خلف إبنة وأختاً كان المال كله للبنت دون الأخت.

واستدل المرتضى رحمه الله على بطلان التعصيب:

بقوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾﴾.

فمن قال بتوريث الرجال دون النساء كالعم مع العمة فجعل الميراث للعم دونها فقد خالف ظاهر الآية. واعتماد المخالفين على حديث رواه إبن طاووس عن أبيه عن إبن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «يقسم المال على أهل الفرائض على كتاب الله فما تُرِك فلذي قرب» خبر لم يروه أحد من أصحاب الحديث إلا من طريق إبن طاووس ولا رواه إبن طاووس إلا عن أبيه عن إبن عباس. ولم يقل إبن عباس فيه سمعت ولا حدَّثنا. وإبن طاووس تارةً يُسنده إلى إبن عباس في رواية وهب (وهيب) ومعمر وتارة يرويه عنه الثوري، وعلي بن عاصم عن أبيه مرسلاً غير مذكورٍ فيه إبن عباس.

ثم من أين لنا أن معنى العصبة ما يذهبون إليه وهو في اللغة أن العصبة مشتقة من الأعصاب المتفرقة في الجسم دون تخصيصٍ بعصبٍ دون عصب.

وفي الشرع فإن قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ نص على أن القربى وتداني الأرحام سبب في استحقاق الميراث، والبنت أقرب من الأخت وأدنى رحماً. والأحاديث التي رووها ضعيفة.

وقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا

تَرَكَ﴾ فلا ترث الأخت مع البنت، لأن البنت ولد، ومع فقدها ترث الأخت النصف كالبنت ويُرد عليها النصف الآخر.

لكن «عمر» فسّر الولد بالذكر خاصة فواسى في الميراث بين بنت الميت وأخته لأبيه وأمه فجعل النصف لكل منهما، مع أن الولد يعم الذكر والأنثى لغة وعرفاً.

نقول: تعلقوا في صحة التعصيب بخبرٍ رووه عن وهيب عن إبن طاووس عن أبيه عن إبن عباس عن النبيﷺ أنه قال: ألحقوا الفرائض فما أبقت الفرائض فلأولي عصبة ذكر. وخبر عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر أن سعد بن الربيع قُتل يوم «أحد» وأن النبيﷺ زار امرأته فجاءت بابنتي سعد، فقالت: يا رسول الله إن أباهما قُتل يوم «أُحد» وأخذ عمهما المال كله ولا تُنكحان إلا ولهما مال فقال النبيﷺ سيقضي الله في ذلك، فأنزل الله تعالى ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾. أعطِ الجاريتين وأعطِ أمهما الثمن وما بقي فلكِ.

وبقوله تعالى:

﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿...فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝﴾.

حيث سأل زكريا عليه السلام ربّه ولياً ولم يسأله ولية لأنها لا تمنع العصبة.

وأجاب الشيخ الطوسي رحمه الله:

١ ـ بآية: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝﴾.

وبآية: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ حيث أراد سبحانه بذلك الأقرب فالأقرب.

أما الحديث فمطعون فيه من حيث أنهم رووا عن إبن طاووس خلاف ذلك، إذ روي في هذا الخبر «وإنما هو شيء ألقاه الشيطان على ألسنة العامة» ـ رواه أبو طالب الأنباري حين سأل إبن عباس عن هذا الحديث المروي عنه وهو في العراق.

أما سؤال زكريا عليه السلام الولي دون الولية لأن الخلق كلهم حسب طباعهم يرغبون في البنين دون البنات مع أن الآية دليل واضح على أن العصبة لا ترث مع أحدٍ من الولد ذكوراً أو إناثاً مع وجود الموالي والأقارب، وهي حجة عليهم لا لهم.

أما ما ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في إبطال التعصيب فبالغ حد التواتر. وسُئل الصادق عليه السلام عن المال لمن هو للأقرب أم للعصبة؟ فقال عليه السلام: «المال للأقرب، والعصبة في فِيه التراب». وعليه انعقد إجماع الإمامية ولم يخالف فيه أحد منهم.

العول
(؟)

(العول): لغة إسم للزيادة والنقيصة فهو من أسماء الأضداد، وفي اصطلاح الفقهاء هو الزيادة في الفريضة عند زيادة السهام عنها ليمكن خروج تلك السهام منها وذلك أن السهام المفروضة في الكتاب ستة: النصف، الثلث، الثلثان، الربع، السدس، الثمن. فمن قال بالعول زاد على الفريضة بقدر ما عالت به ومن قال بعدم العول قال يقدم من فُرض له فرضان أعلى وأدنى، فيأخذ نصيبه تاماً ويدخل النقص على من فُرض له فرض واحد.

ولو قُدّم من قدّم الله وأُخر من أخّر الله ما عالت فريضة. فكل فريضة لم يهبطها عن فريضة إلا إلى فريضة فهذا ما قدَّم الله (كالزوج يرث النصف مع عدم الولد والربع معه. والزوجة لها الربع مع عدم الولد، والثمن مع الولد، والأم لها الثلث مع عدم الأخوة والسدس مع الأخوين وما فوق، وأما ما أخَّر الله فكل فريضة إذا زالت عن فرضها لم يبق لها إلا ما بقي كالبنات والأخوات لهم النصف والثلثان فإذا أزالتهن الفرائض عن ذلك لم يكن لهن إلا ما بقي.

مثلاً:

إمرأة توفيت عن زوج وأختين لأب، للزوج النصف ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ وللأختين الثلثان ﴿فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ﴾ والمال ليس له نصف وثلثان، والفريضة هنا من ستة: للزوج النصف ثلاثة، وللأختين الثلثان أربعة، عالت الفريضة

بواحد. فمن قال بالعول زاد على الفريضة واحد فجعلها من سبعة وأعطى الزوج ثلاثة من سبعة بعد ما كان له ثلاثة من ستة والأختين أربعة من سبعة بعد ما كان لهما أربعة من ستة، ومن قال بعدم العول أعطى الزوج النصف والأختين الباقي. وهو ما ذهب إليه الإمامية الإثني عشرية.

وهذه المسألة وقعت في أيام الخليفة الثاني. وهي أول مسألة وقعت في العول في الإسلام، فقال: إن أعطينا الزوج النصف لم يبق للأختين ثلثان وإن أعطينا الأختين الثلثان لم يبق للزوج نصف ولا أجد أوسع من إدخال النقص على الجميع فجعل الفريضة من سبعة. وقال بقوله الفقهاء الأربعة وباقي أكثر الفقهاء، وخالفه إبن عباس، والأئمة من أهل البيت ﷺ وجميع فقائهم.

وفي رواية عن الزُّهَري عن عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة، من طريق العامة، أنه قال: جالست ابن عباس فعَرض ذكر المواريث، إلى أن قال له «زُفر بن أوس» البصري، فَمَن أول مَن أعال الفرائض؟ فقال عمر بن الخطاب: وأيم الله لو قدّم مَنْ قدّم الله وأخَّر مَن أخر الله ما عالت فريضة... فقال «زفر»: فما مَنَعَك أن تشير بهذا الرأي على عمر، فقال: هِبته، والله! وكان امرىءً مهيباً» ـ الحديث.

فمنعه من ذلك الهيبة، أي: الخوف منه، وأظهر هذا الأمر بعد موته، ولم يُظهره في حياته.

والأخبار ببطلان العول: ودخول النقص على بعض أصحاب الفروض دون بعضٍ من طرق أئمة أهل البيت ﷺ مستفيضة فعن

الباقر ﷺ: «السهام لا تعول، لا تكون أكثر من ستة» إن الفرائض لا تعول على أكثر من ستة». «إن السهام ليس تجوز على ستة» «لا تعول على ستة». «أصل الفرائض من ستة أسهم لا تزيد عليها».

وظاهر أن مَن قال بالعول إنما قال به باجتهاد الرأي لمَّا جهل الحكم.

الخمر

(؟)

وفي تسمية الخمر خمراً أقوال:

أحدها: أنها سميت خمراً، لأنها تخامر العقل، أي: تخالطه.

الثاني: لأنها تخمر العقل.

الثالث: لأنها تخمر، أي: تغطي. والخمر في اللغة: ماستر على العقل، وخمار المرأة قناعها، سُمي خماراً لأنه يغطي.

وكل ما عمل عملها يقال له: خمر وهو حرام عند الفقهاء جميعهم. فالبيرة الخفيفة السكر، أوكل عصيرٍ أسكر وإن لم يكن خمراً فهو حرام.

الميسر

(؟)

«الميسر»: القمار. وكان في الجاهلية قبل الإسلام في الجَزَرِ[1] خاصة.

---

(١) الشيء المباح للذبح.

يقال: يَسَرتُ: إذا ضربتُ بالقِداح، ويقال للضارب بالقداح: ياسر وياسرون، ويُسُرٍ، وأيْسار. وكانوا في الجاهلية ينحرون جَزُوْرَاً[1] ويقطعونه أجزاءً ثم يضربون عليها بالقداح[2] وكانوا يتمادحون بأخذ القداح، ويتسابُّون بتركها، ويعيبون من لا يسير، فحرَّمَهُ الله ـ سبحانه وتعالى ـ بجميع أشكاله.

كتاب طريف
(؟)

ويسمى كتاب الديات، وكتاب ما أفتى به أمير المؤمنين إلى أمرائه ورؤوس أجناده، وكتاب الفرائض عن أمير المؤمنين عليه السلام وهو غير صحيفة الفرائض في المواريث عنه عليه السلام. وروى الكتاب عن أبي عبد الله عليه السلام محمد بن عمرو الطبيب، كما صرَّح بذلك الشيخ الطوسي في ترجمة محمد. وهو المنسوب إلى ظريف بن ناصح، لأنه طريقه. وتتصل أسانيد المشايخ في روايتهم كتاب الديات باثنين من أئمة أهل البيت عليهم السلام: الصادق والرضا عليهما السلام.

ووقع هذا الكتاب في سند الشيخ الصدوق، والشيخ الطوسي، والشيخ الكليني، وفي أسانيد الشيخ الكليني إليه سهل بن زياد.

*** دية الجنين ــ كتاب ظريف:**

نطفة: ٤٠ يوماً ٢٠ ديناراً ذهباً.

علقة: ٨٠ يوماً ٤٠ ديناراً ذهباً.

---

(١) ناقة معدَّة للجزر أو الذبح.

(٢) كالسهام.

مضغة: ١٢٠ يوماً ٦٠ ديناراً ذهباً[١].

عظم ولحم: دون نفخ الروح مائة دينارٍ، وإلا فدية كاملة: ألف دينار. أو عشرة آلاف درهم فضة.

ودية المرأة نصف دية الرجل. ودية الجنين دون سقوطه، وقد قُتلت المرأة ومات في بطنها ولم يُعلم أبعدها مات أم قبلها، ولم يُعلم أذكر هو أم أنثى، نصف دية الذكر ونصف دية الأنثى، ودية المرأة كاملة بعد ذلك.

روى الشيخ الكليني بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام: قال دية الجنين خمسة أجزاء: خمس للنطفة عشرون ديناراً، وللعلقة: خمسان أربعون ديناراً، وللمضغة: ثلاثة أخماس ستون ديناراً، وللعظم: أربعة أخماس ثمانون ديناراً فإذا تمَّ الجنين كانت له مائة دينار، فإذا أُنشأ فيه الروح فديته ألف دينار أو عشرة آلاف درهم إن كان ذكراً، وإن كان أنثى: فخمسماية دينار، وإن قُتلت المرأة وهي حبلى فلم يُدرَ أذكر كان أو أنثى فدية الولد نصفان: نصف دية الذكر، ونصف دية الأنثى، وديتها كاملة[٢].

(١) دينار الذهب يساوي: أربعين دولاراً تقريباً.

(٢) فروع الكافي ـ ج٧، ص٣٤٣، ح٢، باب: دية الجنين.

الفصل الثالث

في رحاب الشعر

بسم الله الرحمن الرحيم

ليس الشعر مجرد خيالٍ بل هو إحساس باطني منطلق من الروح، من المشاعر والأحاسيس، لذلك تراه متنوعاً في الفخر، والغزل، والمصيبة، والألم، والثورة، والدين، والأفراح، والأتراح وغير ذلك.

التكنولوجيا آلة، وسيلة للمصالح العامة أو الخاصة لكنه لا روح فيها تمد بالأحاسيس، والمشاعر الرقيقة.

إنها لا تمدك بالحب، والإنسانية، لا تملؤك عطفاً ومحبة اتجاه غيرك، أو تعطيك عزاء وأنساً لمن تحب. والحياة بلا روح ما نفعها؟

الشعراء ذمَّهم القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ وهؤلاء الشعراء الذين ذمَّهم كانوا شعراء الجاهلية، وشعراء الجاهلية كانوا يمدحون بباطلٍ، ويلغون ويكذبون، ويقولون فعلنا وهم لم يفعلوا.

فكانوا أصحاب فنٍ ولغوٍ كاذب، لهذا كان يجتمع إليهم الغواة من قومهم الذين على شاكلتهم فيستمعون إليهم ويروون الأشعار عنهم متبعين لهم. والذم الآخر:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾.

يذهبون إلى هنا وهناك، ويأخذون من هنا وهناك، ويُنشدون بكل لونٍ وكذب.

فهؤلاء هم الشعراء المذمومون ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ منهم ﴿وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ فلم يشغلهم الشعر عن ذكر الله، ولم يكن الشعر لديهم غاية بل وسيلة ﴿وَٱنتَصَرُوا۟﴾ من المشركين ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾ منهم حين بدأوهم بالهجاء وبدءوا بالنبي محمد ﷺ فأمرهم النبي ﷺ بهجائهم، وكان من شعرائه ﷺ: حسان بن ثابت الأنصاري، وكعب بن مالك وغيره.

ثم عقب سبحانه على ذلك بقوله: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ أي: الذين أشركوا، وهَجَوا رسول الله ﷺ والمؤمنين ﴿أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1].

فالشعر في الإسلام مطلوب لغيره لا لنفسه. ولا مانع منه ما لم يكن فيه مفسدة كالغزل القبيح الفاحش ولنا في هذا الباب إطلالة على بعض الشعراء، وعلى بعض ما ورد من ديوان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

*** نُصَيب بن رباح:**

بزينبَ ألمم قبل أن يرحل الركب   وقل إن تمليّنا فما ملَّكِ القلب

*** قال الشريف الرَّضي:**

أنتِ النعيم لقلبي والعذاب له   فما أمرَّكِ في قلبي وأحلاكِ

*** جميل بُثينة:**

لا لا أبوح بحبِّ بثينة إنها   أخذت عليَّ مواثقاً وعهوداً

(١) من سورة الشعراء، الآيات: ٢٢٤ ـ ٢٢٨.

* **امرؤ القيس:**

أفاطمُ مهلاً بعض هذا التدلل   وإن كنتِ أزمعتِ قتلي فأجملي

* **قال الأخطل:**

كذبتْكَ عينك أم رأيت بواسطٍ   غَلَس الظلام من الرَّباب خيالا

* **قال شاعر:**

أسربَ القطا هل من معيرٍ جنَاحه؟   لعلي إلى مَن قد هويت أطير

* **قلنا:**

هُنَّ كنوز بارقات لذيذات   فيهن عواقب سوءٍ من بعده نارُ
ابتُلينا بهن ولا مفرٌّ منهن   فيهن المنى والألم والصفو والكدرُ
مَن ذاق طعم الحب غصَّه الدهر   لكن الحبَّ باقٍ لمن أحبه الربُ

* **الفرزدق:**

قال الشاعر الفرزدق في قصة له مع الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك حين أراد الطواف بالبيت ولم يستطع استلام الحجر الأسود، وأقبل علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام وطاف بالبيت وتنحى الناس له حين رأوه حتى استلم الحجر، فسأل رجل من أهل الشام هشام مَنْ هذا الرجل الذي احترمه الناس وتنحوا له فأنكره، فأنشد الفرزدق حينئذٍ حين سمعه:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته   والبيت يعرفه والحِلُّ والحرمُ
هذا ابن خير عباد الله كُلِّهمُ   هذا النقي التقي الطاهر العلمُ
هذا علي رسول الله والده   أمست بنور هداه تهتدي الظُّلَمُ
إذا رأته قريش قال قائلها   إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ

ينمى إلى ذروة العزّ الذي قصُرت عن نيلها عرب الإسلام والعجمُ
يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلمُ
يغضي حياءً ويُغضَى من مهابته فما يُكَلَّم إلا حين يبتسمُ
ينشق نور الدجى عن نور غرته كالشمس ينجاب عن إشراقه الظلمُ
بكفه خيزرانٌ ريحها عبقٌ مَن كف أروعَ في عرنينه شممُ
مشتقة من رسول الله نبعته طابت عناصره والخيم والشيَمُ
حمَّال أثقال أقوامٍ إذا فدحوا حلو الشمائل تحلو عنده النعم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله بجده أنبياء الله قد خُتموا
وليس قولك مَن هذا بضائره العرب تعرف مَن أنكرت والعجمُ[1]

* يُذكر أن «أبا دلامة» كان شاعراً ماجناً مدمناً على الخمر فحظر عليه هارون الرشيد شربها، وأمر الشرطي بحبسه مع الدجاج إن وجده سكراناً، فحدث وفعل، ولما أصبح كتب إلى الرشيد:

أميرَ المؤمنين[2] فدتك نفسي علام حبستني ومزقتَ ساجي[3]
أُقاد إلى السجون بغير ذنب كأني بعضُ عمال الخراج
ولو معهم حُبست لهان ذاكم ولكنني حُبست مع الدجاج
دجاجاتٍ يطيف بهن ديك تُناجي بالصياح إذا يُناجي

فضحك منه الرشيد وأطلقه.

(١) وللقصيدة تتمة اقتصرنا فيها على المطلوب للمناسبة، وبغية عدم التطويل، ولذكرها في الكتب الأخرى.
(٢) أمير الفسق والمجون.
(٣) السَّاج: الطيلسان.

*** قال المتنبي:**

ولا تحسبن المجد زِقًّا[1] وقِنية[2] فما المجد إلا السيف والفتكة البكر[3]

*** قال الشاعر:**

خير إخوانك المشارك في المرّ وأين الشريك في المرّ أينا

*** وقال المتنبي:**

وإذا ما خلا الجبانُ بأرضٍ طلب الطعن وحده والنزالا

*** قال أحد الشعراء:**

ولا خيرَ في حُسن الجسوم وطولها إذا لم تزن حُسن الجسوم عقولُ

*** وقال آخر:**

عليكَ نفسك فتش عن معايبها وخلِّ عن عثرات الناس للناس

*** قال زهير بن ابي سلمى:**

ومَنْ يك ذا فضلٍ فيبخل بفضله على قومه يُستغنَ عنه ويُذمم

*** قال كعب بن زهير:**

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلةٍ حدباء محمول

*** وقال المتنبي:**

ماذا لقيتُ من الدنيا؟ وأعجبه إني بما أنا شاكٍ منه محسود

---

(١) خمراً.

(٢) مغنية.

(٣) التي لم يُسبق إلى مثلها.

*** وقال إبن الرومي:**

قد يشيب الفتى وليس عجباً أن يُرى النورُ في القضيب الرطيب[1]

*** قال الشاعر:**

أخاكَ أخاكَ إنَّ مَن لا أخا له كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح

*** قال شاعر يرثي ولده:**

يا كوكباً ما كان أقصر عمرَه وكذاك عمر كواكبِ الأسحار

*** وقال آخر:**

جاورتُ أعدائي وجاور ربه شتان بين جواره وجواري

*** قال ابو فراس الحمداني:**

سيذكرني قومي إذا جدَّ جيدهم وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدرُ

*** قال ابو تمام:**

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

*** قال ابو عُرَيف الكُلَيبي:**

وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيلُ

*** قال أحدهم:**

وما من يدٍ إلا يد الله فوقها ولا ظالم إلا سيُبلى بأظلم

*** وقال آخر:**

ما الحسن في وجه الفتى شرفاً له إذا لم يكن في فعله والخلائق

---

(١) يريد: أن الغصن الرطيب قد يُزهر فيه الزهر الأبيض من غير وقتٍ له.

*** قال أبو العلاء المعري:**

ما الخير صوم يذوب الصائمون له ولا صلاةٌ ولا صوف على الجسد
وإنـمـا هـو تـركُ الـشـر مـطَّـرحـاً ونفضك الصدرَ من غِلٍّ ومن حسد

*** قال المتنبي يرثي اخت سيف الدولة:**

غدرت يا موتُ كم أفنيت من عددٍ بمَن أصبتَ وكم أسكت من لجب[1]

*** أحد الشعراء:**

هـي الـدنـيـا تـقـول بـمـلء فـيـهـا حـذارِ حـذارِ مـن بـطـشـي وفـتـكـي

*** دون نسبة:**

تعزَّ فلا شيء على الأرض باقيا ولا وَزَرٌ مـمـا قـضـى الله واقـيـا

*** بشَّار بن برد:**

مَن ذا الذي تُرضى سجاياه كلها كـفى الـمـرء نـبـلاً أن تُـعـد مـعـايـبـه

أحد الشعراء:

عليك نفسك فتش عن معايبها وخلِّ عن عثرات الناس للناس

*** ابن نُفيل:**

واعـلـم وأيـقِـن أن مـلـكـك زائـل واعـلـم بـأنَّ كـمـا تُـديـن تُـدان

*** قال الأعشى لابنته حين واسته المرض:**

عليكِ مثل الذي صلَّيتِ فاغتمضي نوماً فإن لجنب المرء مُضطجعا

---

(١) صوت جلبة الفرسان.

*** قال كعب بن مالك الأنصاري:**

نـطـيـع نـبـيّـاً ونـطـيـع ربـاً ... هـو الـرحـمـن كـان بـنـا رءوفـا

وقال:

تـرى لـلـمـسـلـمـيـن عـلـيـك حـقـاً ... كـفـعـل الـوالـد الـرؤوف الـرحـيـم

*** قال المتنبي:**

مـا كـل مـا يـتـمـنـى الـمـرء يـدركـه ... تجري الرياح بما لا تشتهي السفنُ

*** قلنا:**

ولـو جـرت الـريـاح بـمـا اشـتـهـت ... ما كان الأذى ولا الأسى ولا النكد

*** وقال المتنبي أيضاً في فخر نفسه:**

أنـا تِـربُ الـنـدى وربُّ الـقـوافـي ... وسـمـامُ الـعِـدا وغـيـظُ الـحـسـودِ

*** قلنا:**

يـا مَـن آثـر الـدنـيـا عـلـى ديـنـه ... قد رمتك سمامُ العِدا وغيظ الحسود

*** على قبر:**

يـا واقـفـاً عـلـى قـبـري ... لا تـعـجـب لأمـري

بـالأمـس كـنـت مـثـلـك ... وغـداً تـصـبـح مـثـلـي

*** امرأة على قبر:**

مـقـيـم إلـى أن يـبـعـث الله خـلـقـه ... لـقـاؤك لا يُـرجـى وأنـت قـريـب

تـزيـد بـلـىً فـي كـل يـومٍ ولـيـلـة ... وتـبـقـى كـمـا تـبـلـى وأنـت حـبـيـب

*** البارودي يرثي زوجته:**

هـيـهـات بـعـدكِ أن تـقـرَّ جـوانـحـي ... أسـفـاً لـبُـعـدكِ أو يـلـيـنَ مـهـادي

*** أحد الشعراء:**

ولقد علمتُ لتأتين منيتي إنَّ المنايا لا تطيش سهامها

*** قال سليم بن سَلام الحنفي:**

فإن كنتِ لا تدرين ما الموت فانظري
إلى هانئ في السوق وابن عقيلِ
إلى بطلٍ قد عقَّر السيف وجهه
وآخر يهوي من طَمَارٍ[1] قتيلِ

*** قال ابو حيَّة النُّميري:**

أبالموت الذي لا بدَّ أني ملاقٍ لا أباك تخوفني[2]

*** قال أبو القاسم الشابي ثائر الإستعمار:**

أغرَّك أن الشعب مغضٍ على قذى لك الويل من يوم به الشر قشعمُ
سيثأر للشعب المحطَّمِ تاجُهُ رجال إذا جاش الرَّدى فهم هُمُ

*** قلنا:**

قد علموا أن شعبنا ذو نطاحٍ لا يخشى الموت ويلقاه بصدرٍ رحبْ
صبراً على القذى صبراً تأتي بعده راحاتٌ عن نَصَبْ
سيفتح الله بعد قراعٍ بنصرٍ يكون فواته من الأمر العجبْ
أبا الظلم والحكر تبَّت يداك فرجالنا في الحروب ذوو لهبْ

---

(١) طَمَارِ وطَمَارُ: إسم للمكان المرتفع. والبيتان إشارة إلى الحدث الذي قتل فيه عبيد الله بن زياد سفير الحسينﷺ مسلم بن عقيل ورماه من أعلى القصر فوقع في السوق، وقتلِهِ لهانئ بن عروة لإجارته وحمايته لمسلم.

(٢) أراد: لا أبا لك، فحذف اللام.

المختار من ديوان
أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

من نعم الله سبحانه وتعالى على عباده أن يختار منهم أنبياء ورسلاً، وأوصياء وأولياء، فلا تنقطع الحجة على خلقه، وكان من نعمة الله تعالى على عباده أن اختار من سلالة النبي ﷺ ذرية طاهرة مطهرة من عنده.

فكانت الزهراء عليها السلام وكان زوجها وابن عمها علي بن أبي طالب المختار من عند الله ورسوله ﷺ. صلّى قبل جميع الناس وهو يومئذٍ ابن عشر سنين أو أقل. ما عَبَدَ، ولا سجدَ لصنمٍ قط.

كان يرى نور الوحي، ويسمع الصوت، وما رآه، ولا سمع الصوت أحد غيره. وكفى بهذا نعمة على علي عليه السلام.

روى أهل السِّيَر أن أبا طالب كان كثير العيال؛ فقال رسول الله ﷺ لعمه العباس وقد نزل بقريش بأس وقحط شديد ـ: يا عباس! إنَّ أخاك

أبا طالب كثير العيال وقد نزل بالناس قحط شديد فانطلق نخفف عن عيلة أبي طالب، آخذ أنا من بنيه ولداً، وتأخذ أنت ولداً. فقال العباس: نعم. وانطلقا حتى أتيا أبا طالب وسألاه التخفيف عنه حتى ينكشف الأمر والبلاء.

فوافق أبو طالب، وأخذ رسول الله ﷺ علياً، وأخذ العباس جعفراً. ولم يزل عليٌّ مع رسول الله ﷺ وتحت ظل رعايته وتوجيهاته حتى بُعث الرسول محمد ﷺ نبياً خاتماً، وهادياً للبشرية.

هذه نبذة يسيرة عن حياة أمير المؤمنين علي عليه السلام ومكانته الفضلى منذ الصِّغر. ولمناسبة الباب (في رحاب الشعر) لا يمكننا أن نطوي صفحاً عن بعض ما ورد من شعره أو نُسب إليه، وهو سيِّد الفصحاء والبلغاء. وقد ذُكر له ديوان أعدَّه «عبد العزيز الكرم» نقتطف بعضاً منه للفائدة الروحية والأدبية.

*** قال عليه السلام في العقل:**

رأيت العقل عقلين	فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع	إذا لم يكن مطبوع
كما لا تنفع الشمس	وضوء العين ممنوع

*** وقال عليه السلام في القناعة:**

أفادتني القناعة كل عزٍ	وهل عز أعز من القناعة
فصَيِّرها لنفسِك رأس مالٍ	وصيِّر بعدها التقوى بضاعة
تحُز ربحاً وتُغنى عن بَخيل	وتنعم في الجنان بصبر ساعة

*** وقال عليه السلام في الفقر:**

غالبت كل شديدة فغلبتها ... والفقر غالبني فأصبح غالبي
إن أبدِهِ يصفح وإن لم أبده ... يقتل فقُبّح وجهُه من صاحب

*** وقال عليه السلام أيضاً:**

فلو كانت الدنيا تنال بفطنة ... وفضل وعقل نلت أعلى المراتب
ولكنما الأرزاق حظ وقسمة ... بفضل مليك لا بحيلة طالب

*** وقال عليه السلام في العقل والحسب:**

ليس البليَّةُ في أيامنا عجباً ... بل السلامة فيها أعجب العجبِ
ليس الجمال بأثواب تزيننا ... إن الجمال جمال العقل والأدب
ليس اليتيم الذي قد مات والده ... إن اليتيمَ يتيم العلم والأدب

*** وقال عليه السلام أيضاً:**

كن ابن من شئت واكتسب أدباً ... يغنيك محموده عن النسب
فليس يغني الحسيب نسبته ... بلا لسان له ولا أدب
إن الفتى من يقول ها أنا ذا ... ليس الفتى من يقول كان أبي

*** وقال عليه السلام في فضل العلم:**

الناسُ من جهة التمثال أكفاءُ ... أبوهم آدم والأمُّ حواءُ
وإنما أمهات الناسِ أوعيةٌ ... مستودعاتٌ وللأحساب آباءُ
فإن يكن لهمُ من أصلهم شرفٌ ... يفاخرونَ به فالطينُ والماءُ
ما الفضلُ إلا لأهلِ العلمِ إنهُمُ ... على الهدى لمن استهدى أدِلاءُ
وقيمةُ المرءِ ما قد كان يحسنُهُ ... والجاهلون لأهل العلم أعداءُ
فقم بعلمٍ ولا تطلبْ به بدلاً ... فالناسُ موتى وأهلُ العلم أحياءُ

* **وقال عليه السلام في الأصدقاء والزمن:**

تـغـيـرتِ الـمـودةُ والإخـاءُ ... وقـلَّ الـصـدقُ وانـقـطـعَ الـرجـاءُ
وأسـلـمـني الـزمـانُ إلى صـديـقٍ ... كـثـيـرِ الـغـدرِ لـيـس لـهُ رعـاءُ
ورُبَّ أخ وفـيـت لـه بـحـق ... ولـكـن لا يـدومُ لـه وفـاءُ
أخـلَّاءٌ إذا اسـتـغـنـيـتُ عـنـهـمْ ... وأعـداءٌ إذا نـزلَ الـبـلاءُ
يُـديـمـونَ الـمـودة مـا رأونـي ... ويـبـقـى الـوُدُّ مـا بـقـيَ الـلـقـاءُ
وإنْ أغنيت عن أحد قلاني[1] ... وعـاقـبـنـي بـمـا فـيـه اكـتـفـاءُ
سيغنيني الذي أغناه عني ... فـلا فـقـرٌ يـدومُ ولا ثـراءُ
وكـل مـودةٍ لـلَّـه تـصـفـو ... ولا يـصـفـو مـن الـفـسـق الإخـاء
وكـل جـراحـة فـلـهـا دواء ... وَسُـوءُ الـخُـلْـقِ لـيـسَ لـه دواءُ
ولـيـسَ بـدائـم أبـداً نـعـيـمٌ ... كـذلـك الـبـؤسُ لـيـس لـه بـقـاءُ
إذا أنـكـرتُ عـهـداً مـن حـمـيـمٍ ... فـفـي نـفـسـي الـتـكـرمُ والـحـياءُ
إذا مـا رأس أهـل الـبـيـت ولـي ... بـدا لـهُـمُ مـن الـنـاس الـجـفـاءُ

* **وقال عليه السلام في جمع المال:**

وكـم سـاعٍ لِـيُـثْـري لـم يـنـلـه ... وآخـر مـا سـعـى لـخـلـق الـثـراءَ
وسـاعٍ يـجـمـع الأمـوالَ جـمـعـاً ... لـيـورثَـهـا أعـاديـه شـقـاءَ
ومـا سـيـان ذو خُـبْـرٍ بـصـيـرٌ ... وآخـر جـاهِـلٌ لـيـسـا سـواءَ
ومن يستعتب الحدثان[2] يوماً ... يـكـنْ ذاك الـعـتـابُ لـه عَـنـاءَ
ويُزري بالفتى الإعدام[3] حتى ... متى يُـصِـب الـمـقـالَ يُـقَـل أسـاءَ

---

(١) قلاني: أبغضني.
(٢) الليل والنهار وحوادثهما.
(٣) الإعدام: الفقر.

* وقال ﷺ في الدنيا:

تحرز من الدنيا فإن فِناءَها[1]	محل فَناء لا محلُّ بقاءِ
فَصفوتُها ممزوجةٌ بكَدُرَة	وراحتُها مقرونةٌ بعناءِ

* وقال ﷺ في الثبات أمام تصرفات الدهر:

هي حالان شدة ورخاءُ	وسجالان نعمة وبلاء
والفتى الحاذق الأديب إذا ما	خانه الدهر لم يخنه عزاء

وروي أنه ﷺ لما أراد الهجرة إلى المدينة قال له العباس إن محمداً ما خرج إلا خفية وقد طلبته قريش أشد طلب، وأنت تخرج جهاراً في أثاثٍ، وهوادجٍ، ومالٍ، ورجالٍ، ونساءٍ تقطع بهم السباسب، والشعاب بين قبائل قريش ما أدري لك ذلك وأرى لك أن تمضي في خفارة خزاعة. فقال علي ﷺ:

إنَّ المنيَّة شربة مورودة	لا تجزعن وشد للترحيل
إن ابن آمنة النبيّ محمداً	رجل صدوق قال عن جبريل
إرخ الزمان ولا تخف من عائق	فالله يرديهم عن التنكيل
إني بربي واثق وبأحمد	وسبيله متلاحق بسبيلي

* وقال ﷺ يذكر مبيته على فراش رسول الله ﷺ ليلة الغار:

وقيت بنفسي خير من وطيء الحصى	ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
محمدُ لما خاف أن يمكروا به	فوقاه ربي ذو الجلال من المكر
وبتُّ أراعيهم متى ينشرونَني	وقد وطنت نفسي على القتل والأسر
وباتَ رسول الله في الغار آمِناً	هناك وفي حفظ الإلَه وفي سِترِ

---

(١) الفِناء: الساحة أمام البيت.

أقام ثلاثاً ثمَّ زمت قلائص		قلائص يفرين الحصى أينما يفري
أردتُ به نصرَ الإلّه تبتُّلاً		وأضمرته حتى أوسد في قبري

* وقال عليه السلام:

دواؤكَ فيك وما تشعرُ		وداؤكَ منك وما تُبصِر
وتحسبُ إنك جرمٌ صغير		وفيك انطوى العالمُ الأكبر

* وقال عليه السلام:

أنا علي فاسألوني تخبروا		سيفي حسام وسناني يزهرُ
منا النبي الطاهر المطهَّرُ		وحمزة الخير وصنوي جعفر
له جناح في الجِنان أخضر		وفاطم عرسي وفيها مفخَرُ
هذا لهذا وابن هندٍ محجر		مذبذب مطرد مؤخر

* وكان عليه السلام ينشد أمام رسول الله صلى الله عليه وآله ويقول:

أنا أخو المصطفى لا شك في نسبي		معه رُبيت وسِبطاه هما ولدي
جدي وجَدُّ رسول الله متحدٌ		وفاطمٌ زوجتي لاقول ذي فَند
صدَّقتُه وجميع الناس في ظلم		من الضلالة والإشراك والنكد
الحمد لله فرداً لا شريك له		البر بالعبد والباقي بلا أمد

* ولمَّا هاجر عليه السلام من مكة إلى المدينة ومعه الفواطم وأدركه الطلب وهم ثمانية فوارس شدَّ عليهم بسيفه شدة ضيغم، وقال:

خلوا سبيل المؤمن المجاهد		آليت لا أعبد غير الواحد

* وقال عليه السلام:

إذا ما عرى خطب من الدهر فاصطبر		فإن الليالي بالخطوب حوامل
وكل الذي يأتي به الدهر زائلٌ		سريعاً فلا تجزع لما هو زائل

* **لما آخى رسول الله ﷺ بين الصحابة وترك علياً قال له في ذلك فقال له النبي ﷺ إنما أخرتك لنفسي أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة فبكى علي عليه السلام عند ذلك، وقال:**

أقيك بنفسي أيها المصطفى الذي ... هدانا به الرحمن من غُمّة الجهل
وأفديك حوبائي وما قدر مهجتي ... لمن أنتمي فيه إلى الفرع والأصل
ومَنْ ضمني مذ كنت طفلاً ويافعاً ... وأنعشني بالعل منه وبالنهل
ومَنْ جده جدي ومن عمه أبي ... ومَنْ أهله أمي ومَنْ بيته أهلي
ومن حين آخى بين من كان حاضراً ... هنالك آخاني وبين من فضلي
لك الفضل إني ما حييت لشاكرٍ ... لإتمام ما أوليت يا خاتم الرُّسل

* **وقال عليه السلام بنصر رسول الله ﷺ في بدر:**

ألم ترَ أن الله أبلى رسولَه ... بلاء عزيز ذي اقتدارٍ وذي فضل
بما أنزل الكفار دار مذلةٍ ... فذاقوا هواناً من أسارٍ ومن قتل
وأمسى رسول الله قد عزَّ نصره ... وكان رسول الله أرسل بالعدل
فجاء بفرقانٍ من الله مُنزلٍ ... مبينةٍ آياته لذوي العقل
فآمن أقوامٌ بذاك وأيقنوا ... وأمسوا بحمد الله مجتمعي الشمل
وأنكر أقوامٌ فزاغت قلوبهم ... فزادهم في العرش خبْلاً على خبل
وأمكن منهم يوم بدر رسوله ... وقوماً غضاباً فعلهم أحسن الفعل
بأيديهم بيضٌ خفاف قواطعٌ ... وقد حادثوها بالجلاء وبالصقل
فكم تركوا من ناشيءٍ ذو حميةٍ ... صريعاً ومن ذي نجدة منهم كهل
تبيتُ عيون النائحات عليهمُ ... تجود بأسباب الرشاش[1] وبالويل
نوائح تنعى عتبة الغيّ وابنَه ... وشيبة تنعاه وتنعي أبا جهل

---

(١) الرشاش: البكاء

وذا الذحل تنعى وابن جذعان منهم ... مسلبه حرى مبيَّنة الشكل
ثوى منهم في بئر بدر عصابة ... ذوو نجدات في الحروب وفي المحل
دعا الغيَّ منهم من دعا فأجابه ... وللغيِّ أسبابٌ مقطعة الوصل
فأضحوا لدى دار الجحيم بمنزلٍ ... عن البغي والعدوان في أشغل الشغل

* **وقال عليه السلام:**

إنما الدنيا كظل زائل ... أو كضيف بات ليلاً فارتحل
أو كطيف يراه نائمٌ ... أو كبرق لاح في أفق الأمل

* **وقال عليه السلام يخاطب الوليد بن المغيرة:**

يهددني بالعظيم الوليد ... فقلت أنا ابن أبي طالب
أنا ابن المبجل بالأبطحين ... وبالبيت من سلفي غالب
فلا تحسبنِّي أخاف الوَليد ... ولا إنني منه بالهائب
فيا ابن المغيرة إني امرؤٌ ... سموح الأنامل بالقاضب
طويل اللسان على الشائنين ... قصير اللسان على الصاحب
خسرتم بتكذيبكم للرسول ... تعيبون ما ليس بالعائب
وكذبتموه بوحي السماء ... ألا لعنة الله للكاذب

* **قال عليه السلام عند قتل الوليد بن عتبة يوم بدر:**

تبّاً وتعساً لك يا ابن عُتبهْ ... أسقيك من كأس المنايا شربَهْ
ولا أبالي بعد ذلك غِبَّهْ

* **وقال عليه السلام:**

يا رب ثبِّت لي قدمي وقلبي ... سبحانك اللهمَّ أنت حسبي

* برز طلحة بن أبي طلحة العبدري من بني عبد الدار يوم أُحد

ونادى يا محمد تزعمون أنكم تجهزونا بأسيافكم إلى النار ونجهزكم بأسيافنا إلى الجنة فمن شاء أن يلحق بجنته فليبرز إلي فبرز إليه أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول:

يا طلح إن كنت كما تقول		لكم خيولٌ ولنا نصول
فاثبت لننظر أيُّنا المقتول		وأيُّنا أولى بما تقول
فقد أتاك الأسد الصؤول		بصارمٍ ليس له فلول
ينصره القاهر والرسول

*** وقال عليه السلام في يوم خيبر:**

ستشهد لي بالكر والطعن راية		حباني بها الطهرُ النبيُّ المهذبُ
وتعلم أني في الحروب إذا التظى		بنيرانها الليث الهموس[١] المرجب
ومثلي لاقى الهول في مفظعاته		وفل له الجيش الخميس العطبطب[٢]
وقد علم الأحياءُ أني زعيمها		وأني لدى الحرب العذيقُ المرجب[٣]

*** ولمّا قتل أمير المؤمنين عليه السلام حيي بن أخطب، قال لمن جاء به ما كان يقول حيي وهو يقاد إلى الموت؟ قالوا كان يقول:**

لعمرك ما لأم ابن أخطب نفسه		ولكنه من يخذل الله يُخذلِ
فجاهد حتى بلغ النفس جهدها		وحاول يبغي العز كل مقلقل

*** فقال أمير المؤمنين عليه السلام:**

لقد كان ذا جدٍ وجدٍ بكفرِه		فَقِيدَ إلينا في المجامع يعتلِ
فقلدته بالسيف ضربة محفظ		فسار إلى قعر الجحيم يكبل

---

(١) الهموس: الخفي الوطء.

(٢) الشديد.

(٣) العذيق: ذو العز والفخر. المرجب: المهيب المعظم.

فذاك مآب الكافرين ومن يطع | لأمر إله الخلق في الخلد ينزل

*** وقال عليه السلام في حمزة:**

رأيت المشركين بغوا علينا | ولجّوا في الغواية والضلال
وقالوا نحن أكثر إذ نفرنا | غداة الروع بالأسل الطوال
فإن يبغوا ويفتخروا علينا | بحمزة وهو في الغُرف العوالي
فقد أودي بعتبة يوم بدرٍ | وقد أبلى وجاهد غير آلي[1]

*** وروي أن علياً عليه السلام بعد رجوعه من وقعة أحد ناول فاطمة عليها السلام سيفه، وقال: اغسلي عنه الدم فوالله لقد صدقني اليوم ثم قال:**

أفاطمُ هاكِ السيف غير ذميم | فلستُ برعديد ولا بلئيم
أفاطمُ قد أبليت في نصر أحمد | ومرضاة ربٍّ بالعباد رحيم
أريد ثواب الله لا شيء غيره | ورضوانه في جنةٍ ونعيم
وكنت امرءاً أسمو إذا الحرب شمرت | وقامت على ساق بغير مليم
أنمت بن عبد الدار حتى ضربته | بذي رونق يفري العظام صميم
فغادرته بالقاع فارفض جمعه | واشفيت منهم صدر كل حليم
وسيفي بكفي كالشهاب أهزُّه | أجزُّ به من عاتقٍ وصميم

*** قال مرحب اليهودي يوم خيبر:**

قد علمت خيبر أني مرحب | شاكي السلاح بطلٌ مجرّب
أطعن أحياناً وحيناً أضربُ | إذا الليوث أقبلت تلتهبُ

*** فأجابه علي عليه السلام:**

أنا الذي سمتني أُمي حيدَرَه | ضرغامُ آجام وليث قسوَرَه

---

(١) غير آلي: غير مقصر.

عبل الذراعين شديد القصرَه كليث غاباتٍ كريه المنظرَهْ
أكيلكم بالسيف كيل السندره أضربكم ضرباً يبين الفقره[1]
وأترك القرن بقاعٍ جزره[2] أضرب بالسيف رقاب الكفره
ضرب غلامٍ ماجد حزورَه من يترك الحقَّ يقوم صغره
أقتل منهم سبعة أو عشرة فكلهم أهل فسوق فجَرَه

*** روي أن عمرو بن عبد ود نادى يوم الخندق من يبارز فقام علي عليه السلام وقال أنا له يا نبي الله. . . قال: إجلس إنه عمرو ثم كرر عمرو بن ود النداء وجعل يوبخ المسلمين، ويقول: أين جنتكم التي تزعمون مَنْ قتل منكم دخلها، أفلا يبرز إلي رجل، وقال:**

ولقد بُححت من الندا ء بجمعكم هل من مبارز
ووقفت إذ جَبُن الشجا ع بموقف القرن المناجز
ءني كذلك لم أزَل متسرعاً نحو الهزاهز
إن الشجاعة والسما حة في التي خير الغرائز

*** فبرز إليه علي عليه السلام وهو يقول:**

يا عمرو ويحك قد أتا ك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نيَّةٍ وبصيرةٍ والصدق منجى كل فائز
إني لأرجو أن أقيـ ـم عليك نائحة الجنائز
من ضربةٍ نجلاء يبـ ـقى صيتها عند الهزاهز

---

(١) أي: يزيلها.
(٢) الجزرة: الشاة. والجَزَرُ: الشيء المباح للذبح. والمراد: أترك القرن، أي: الفارس العظيم، بأرضٍ عُرضة لأن تُجزر وتُذبح.

* وقال ﷺ في قتله عمر بن عبد ود:

يا عمرو قد لاقيت فارس همة　　عند اللقاء معاود الأقدام
من آل هاشم من سناءٍ باهرٍ　　ومهذبين متوجين كرام
يدعو إلى دين الإله ونصره　　وإلى الهدى وشرائع الإسلام
بمهنَّدٍ عضب رقيق حدُّه　　ذي رونق يفري الفقار حسام
ومحمد فينا كأنَّ جبينه　　شمس تجلت من خلال غمام
والله ناصر دينه ونبيه　　ومعين كل موحدٍ مقدام
شهدت قريش والبراهمُ كلها　　أن ليس فيها من يقوم مقامي

* وقال ﷺ بعد أن قتل عمرو بن عبد ود وانكشف عنه:

عَبَدَ الحجارةَ مِن سفاهةِ رأيه　　وعبدت ربَّ محمدٍ بصواب
فصَدَدْتُ حين تركتُهُ متجدِّلا　　كالجذعِ بين دكادِكٍ وروابي
وعففت عن أثوابه ولو أنني　　كنتُ المقطر[1] بَزَّني[2] أثوابي
لا تحسَبنَّ الله خاذل دينِهِ　　ونبيُّهُ يا معشرَ الأحزاب
أعليَّ تقتحم الفوارس هكذا　　عني وعنهم خبروا أصحابي
فاليومَ تمنعُني الفرارَ حفيظتي　　ومصمم في الرأس ليسَ بنابي
أدى عمير حين أخلص صقله　　صافي الحديد يستفيض ثوابي
فغدوتُ التمس القراعَ بمرهَفٍ　　عَضبٍ من البتراء في أقراب
آلى ابن عبد حين جاءَ محارباً　　وحلفت فاستمعوا مِن الكذاب
أن لا يفر ولا يهلل فالتقى　　رجلان يلتقيان كل ضراب
وغدوت ألتمس القراع وصارم　　عضب كلون الملح في أقراب

---

(١) الملقى على القِطر أي: الجانب.

(٢) بزَّني: سلبني.

عرفَ ابنُ عبدٍ حين أبصر صارماً　　يـهـتـز أنَّ الأمـر غـيـر لِـعـاب

*** وقال عليه السلام حين زار القبورَ:**

سلام على أهل القبور الدوارس　　كأنهم لم يجلسوا في المجالس
ولم يشربوا من بارد الماء شربةً　　ولم يأكلوا من خير رطب ويابس
ألا خبروني أين قبر ذليلكم　　وقبر العزيز الباذخ المتنافس

*** وقال عليه السلام في فرقة الشباب والأحباب:**

شيئان لو بكت الدماءَ عليهما　　عـيـنـايَ حتى تأذنا بـذهـابِ
لم تبلغ المعاشر من حقيهما　　فَقْد الشباب وفرقة الأحباب

*** وقال عليه السلام**

وما الدهر والأيام إلا كما ترى　　رزيـةُ مـال أو فـراقُ حـبـيـب
وإنَّ امرءاً قد جرب الدهر لم يخف　　تـقـلـب حـالـيـه لـغـيـر لـبـيـب

وقال عليه السلام:

إذا رمت أن تُعلى فزر متواتراً　　وإن شئت أن تزداد حباً فزر غبا
منادمة الإنسان تحسن مرة　　وإن أكثروا إدمانها أفسدوا الحبا

*** وقال عليه السلام:**

إلبس أخاك على عيوبه　　واستر وغط على ذنوبه
واصبر على ظلم السفيه　　وللزمان على خطوبه
ودع الجواب تفضلاً　　وكِلِ الظَّلومَ إلى حسيبه

*** وقال عليه السلام:**

صبر الفتى للفقره يجلُّه　　وبذُله لوجهِه يذلُّه

يكفي الفتى من عيشه أقله ... الخبز للجائع أدم كلُّه

*** وقال عليه السلام في المنجمين:**

خوَّفني منجم أخو خبَل ... تراجع المريخ في بيت الحَمل
فقلت دعني من أكاذيب الحيل ... المشتري عندي سواء وزحل
أدفع عن نفسي أفانين الدول ... بخالقي ورازقي عزٍّ وجل

*** وقال عليه السلام في رثاء خديجة أم المؤمنين وأبي طالب رضي الله عنهما:**

أعينَيَّ جوادا بارك الله فيكما ... على هالكين لا ترى لهما مثلا
على سيِّد البطحاء وابن رئيسها ... وسيدة النسوان أول من صلى
مهذبةٌ قد طيَّب الله خيمها ... مباركة والله ساق لها الفضلا
لقد نصرا في الله دين محمدٍ ... على من بغى في الدين قد رعيا إلًّا[1]

*** وقال عليه السلام يرثي أباه أبا طالب:**

أبا طالب عصمة المستجير ... وغيث المحول ونور الظلم
لقد هد فقدك أهل الحفاظ ... فصلى عليك وليُّ النِّعم
ولقاكَ ربُّك رضوانه ... فقد كنت للمصطفى خير عم

*** وقال عليه السلام:**

ليبك على الإسلام من كان باكياً ... فقد تُركَت أركانه ومعالمه
لقد ذهب الإسلام إلا بقية ... قليل من الناس الذي هو لازمُه

*** وقال عليه السلام يرثي النبي صلى الله عليه وآله:**

أمِنْ بعدِ تكفين النبي ودفنِهِ ... نعيشُ بآلاءٍ ونجنحُ للسلوى

---

(١) عهداً. الإل: العهد.

رزئنا رسول الله حقاً فلن نرى بذلك عديلاً ما حيينا من الردى
وكنت لنا كالحصن من دون أهله له معقلٌ حرز حريزٌ من العدى
وكنا بمرآكم نرى النورَ والهدى صباحَ مساء راح فينا أو اغتدى
لقد غشِيَتْنا ظلمةٌ بعدَ فقدِكم نهاراً وقد زادت على ظلمة الدجى
فيا خيرَ من ضمَّ الجوانحَ والحشا ويا خيرَ ميْتٍ ضمَّه التربُ والثرى
كأن أُمورَ الناس بعدكَ ضُمنتْ سفينة موج حين في البحر قد سما
وضاق فضاء الأرض عنا بِرحْبهِ لفقدِ رسول الله إذ قيلَ قد مضى
فقد نَزَلَتْ بالمسلمين مُصيبةٌ كصدع الصفا لا شعبَ للصدع في الصفا
فلن يستقلَّ الناسُ ما حلَّ فيهمُ ولن يُجبرَ العظمُ الذي منهُ وهى
وفي كل وقت للصلاةِ يهيجها بلالٌ ويدعو باسمه كلما دَعا
ويَطلبُ أقوامٌ مواريثَ هالكٍ وفينا مواريثُ النبوةِ والهُدى

*** كان علي عليه السلام يغدو ويروح إلى قبر سول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاته ويبكي تفجعاً ثم يقول: يا رسول الله ما أحسن الصبر إلا عنك، وأقبح البكاء إلا عليك ثم يقول:**

ما غاض دمعي عند نازلةٍ إلا جعلتك للبكاء سببا
وإذا ذكرتك ميّتاً سَفَحتْ عيني الدموع فَفاضَ الدمعُ وانسكبا
إنـي أجـل ثـرىً حـلـلـتَ بِـهِ عـن أن أرى لـسـواهُ مـكـتـئـبـاً

*** روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما سار إلى غزوة تبوك واستعمل على المدينة علياً عليه السلام فتبعه علي وقال يا رسول الله زعمت قريش أنك إنما خلفتني استثقالاً لي؛ فقال صلى الله عليه وآله طالما آذت الأمم أنبياءها يا علي أما ترضى بأنك وزيري ووصيي وخليفتي وقاضي ديني ومنجز وعدي**

لحمك لحمي ودمك دمي. أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؛ فقال ﷺ رضيت، ثم أنشأ يقول:

ألا باعد الله أهل النفاق ... وأهل الأراجيف والباطل
يقولون لي قد قلاك الرسول ... فخلاك في الحالف الخاذل
وما ذاك إلا لأن النبيّ ... جفاك وما كان بالفاعل
فسرت وسيفي على عاتقي ... إلى الراحم الحاكم الفاصل
فلما رآني هفا قلبُه ... وقالَ مقال الأخ السائل
أممن أبِنَّ لي فأنبأته ... بإرجاف ذي الحَسد الداغل
فقال أخي أنت من دونهم ... كهارون موسى ولم يأتلِ

*** ووقف على قبر الزهراء ﷺ بعد دفنها وقال:**

مالي وقفت على القبور مسلماً ... قبرَ الحبيب فلم يرد جوابي
أحبيبُ ما لك لا تردُّ جوابنا ... أنسيتَ بعدي خلَّة الأحباب
قال الحبيب وكيف لي بجوابكم ... وأنا رهين جنادل وتراب
أكل الترابُ محاسني فنسيتُكم ... وحُجبتُ عن أهلي وعن أترابي
فعليكُم مني السلامُ تقطعت ... مني ومنكم خلة الأحباب

*** وقال ﷺ عند قبر فاطمة ﷺ:**

حبيب ليس يعدي حبيبٌ ... وما لسواه في قلبي نصيب
حبيب غاب عن عيني وجسمي ... وعن قلبي حبيبي لا يغيب

*** قال ﷺ في الخلافة:**

فإن كنت بالشورى ملكت أُمورهم ... فكيف بهذا والمشيرون غُيَّبُ
وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم ... فغيرك أولى بالنبي وأقرب

* وقال عليه السلام:

لـنـا مـا تـدَّعـون بـغـيـر حـقٍّ　　إذا مـيـز الـصـحـاح مـن الـمـراض
عـرفـتـم حـقَّـنـا فـجـحـدتـمـوهُ　　كـمـا عُـرِف الـسـواد مـن الـبـيـاض
كـتـابُ الله شـاهـدنـا عـلـيـكـم　　وقـاضـيـنـا الإلـه فـنِـعـمَ قـاض

* قال عليه السلام في طلحة والزبير:

إنَّ يـومـي مـن الـزبـيـر ومـن طلـ　　ـحة فـيـمـا يـسـوءنـي لـطـويـل
ظـلـمـانـي ولـم يـكـن عـلـم الـلَّـ　　ـه إلى الـظـلـم لي لـخـلـق سـبـيـل

* وقال عليه السلام لما نزل معاوية بصفين:

لـقـد أتـاكـمْ كـاشـراً عـن نـابـه　　يـهـمـطُ[1] الـنـاس عـلى اغـتـرابـه
فـلـيـأتِـنـا الـدهـرُ بـمـا أتـى بـه

* وقال عليه السلام وهو بصفين:

ألـم تـرَ قـومي إذ دعـاهـم أخـوهُـم　　أجابوا وإن أغضب على القوم يغضبوا
همُ حفظوا غيبي كما كنت حافظاً　　لـقـومي أُخرى مـثـلَـهـا إذ تـغـيَّـبـوا
بنو الحرب لم تعقد بهم أُمهاتهم　　وآبـاؤهـم آبـاءُ صـدقٍ فـأنـجـبـوا

* وقال عليه السلام في حرب صفين وهو يبارز حريث قبل أن يقتله:

أنـا عـليٌّ وأنـا ابـن عـبـد الـمـطـلـب　　نـحـن لـعـمـرُ الله أولى بـالـكـتـبْ
مـنـا الـنـبيُّ الـمـصـطـفى غـيـر كـذِب　　أهـل الـلـواءِ والـمـقـام والـحـجُـب
نـحـن نـصـرنـاه عـلى جـل الـعـرب　　يـا أيـهـا الـعـبـد الـغـريـر الـمـنـتـدب
أثـبـت لـنـا يـا أيـهـا الـكـلـب الـكـلِـب

---

(١) يهمط: يظلمهم حقهم.

*** وقال عليه السلام في سلمان:**

لعُمرك ما الإنسان إلا بدينه فلا تترك التقوى اتكالاً على النسب
فقد رَفع الإسلامُ سلمانَ فارسٍ وقد وضع الشركُ الشريف أبا لهب

*** وكان عليه السلام يخرج كل يوم بصفين حتى يقف بين الصفين ويقول:**

أي يومي من الموت أفر يوم لا يقدر أو يوم قدر
يوم ما قدر لا أرهبه وإذا قدِّر لا يُنجي الحذر

*** وقال عليه السلام عن الفرج بعد الضيق:**

إذا اشْتَمَلَتْ على اليأس القلوبُ وضاق لما به الصدر الرحيبُ
وأوطنَت المكارهُ واستقرَّتْ وأرسَتْ في أماكنها الخُطوبُ
ولم ترَ لانكشاف الضُّرِّ وجْهاً ولا أغنى بحيلته الأريبُ
أتاكَ على قُنوطٍ منك غوْثٌ يَمُنُّ به اللطيفُ المستجيبُ
وكلُّ الحادثاتِ إذا تناهتْ فموصولٌ بها فرجٌ قريبُ

*** وقال عليه السلام:**

إني أقولُ لنفسي وَهي ضيقةٌ وقَد أناخَ عليها الدهر بالعجبِ
صبراً على شدَّة الأيام إنَّ لها عُقبى وما الصبرُ إلا عند ذي الحسب
سيفتحُ الله عن قربٍ بنافِعةٍ فيها لِمثِلِك راحاتٌ مِنَ التعبِ

*** وقال عليه السلام:**

النفس تجزع أن تكون فقيرة والفقر خير من غنىً يطغيها
وغنى النفوس هو الكفاف وإن أبت فجميع ما في الأرض يكفيها

*** ندب علي عليه السلام أصحابه في بعض أيام صفين فتبعه منهم ما بين**

عشرة آلاف إلى اثني عشر ألفاً وهو أمامهم على بغلة رسول الله ﷺ فلم يبق لأهل الشام صف إلا وانتقض حتى أفضوا إلى مضرب معاوية وعلي يضربهم بسيفه، ويقول:

أضـربـهـم ولا أرى مـعـاويـة | الأبرح العين[1] العظيم الحاوية[2]
هـوت بـه فـي الـنـار أم هـاويـة | جـاوره فـيـهـا كـلابٌ عـاويـة

* وروي أن معاوية برز في بعض أيام صفين وكر على ميسرة علي وكان علي عليه السلام فيها يُعبأ الناس فغير لأَمَتَهُ وجواده وصمد له معاوية فلما تدانيا انتبه له معاوية فغمز برجليه على جواده، وعلي وراءه حتى فاته ودخل في مصاف[3] أهل الشام فأصاب علي رجلاً من مصافِّهم دونه ثم رجع وهو يقول:

يا لهف نفسي فاتني معاوية | فوق طمرٍ[4] كالعقاب الضارية

* وقال عليه السلام مخاطباً ولده الحسن عليه السلام:

تـردَّ رداءَ الـصـبـرِ عـنـد الـنـوائـبِ | تنل من جميل الصبر حُسْن العواقب
وكن صاحباً للحلم في كل مشهدٍ | فما الحلمُ إلا خير خُدنٍ وصاحب
وكن حافظاً عهد الصديق وراعياً | تذق من كمال الحفظ صفو المشارب
وكـن شـاكـراً لله فـي كـلِّ نـعـمـةٍ | يثِبْك على النعمى جزيل المواهب
وما المرء إلا حيث يجعلُ نفْسَهُ | فكنْ طالباً في الناس أعلى المراتب
وكن طالباً للرزق من باب حِلةٍ | يُضاعَفْ عليك الرزق من كل جانب

---

(١) الجاحظ العين.
(٢) البطن أو المعدة التي تحوي الطعام.
(٣) جموع.
(٤) مكانٍ مرتفع فرَّ إليه.

وَصن منك ماء الوجه لا تبذلَنّه　　ولا تسألَ الأرذال فضل الرغائب
وكن موجباً حق الصديق إذا أتى　　إليك ببرٍ صادقٍ منكَ واجبِ
وكن حافظاً للوالدين وناصراً　　لجارك ذي التقوى وأهل التقارب

* **وينسب إليه أنه قال مخاطباً ابنه الحسين(عليه السلام):**

أحسين إني واعظ ومؤدب　　فافهم فأنت العاقل المتأدب
واحفظ وصية والدٍ متحنن　　يغذوك بالآداب كيلاً تعطب
أبُنيَّ إن الرزق مكفول به　　فعليكَ بالإجمال فيما تطلب
لا تجعلن المال كسبك مفرداً　　وتُقى إلّهك فاجعلن ما تكسِبُ
كفِلَ الإلّه برزق كل بريَّةٍ　　والمال عاريةٌ تجيء وتذهب
والرزق أسرع من تلفُّت ناظرٍ　　سبباً إلى الإنسان حين يسبب
ومن السيول إلى مقر قرارها　　والطير للأوكار حين تصوب
أبُنيَّ إن الذكرَ فيه مواعظٌ　　فمن الذي بعظاته يتأدب
فاقرأ كتاب الله جهدك واتْله　　فيمن يقول به هناك وينصب
بتفكُّرٍ وتخشُّع وتقربٍ　　إن المقرَّب عنده المتقرب
واعبد إلّهك ذا المعارج مخلصاً　　وانصت إلى الأمثال فيما تضرب
وإذا مررت بآية وعظيَّة　　تصف العذاب فقف ودمعك يسكب
يا من يعذب من يشاء بعدله　　لا تجعلني في الذين تُعذب
إني أبوء بعثرتي وخطيئتي　　هرباً إليك وليس دونك مهرب
وإذا مررت بآية في ذكرها　　وصْف الوسيلةِ والنعيم المعجِب
فاسأل إلّهك بالإنابة مخلصاً　　دار الخلود سؤال من يتقرب
واجهد لعلك أن تحل بأرضها　　وتنال روح مساكن لا تخرب
وتنال عيشاً لا انقطاع لوقته　　وتنال ملك كرامة لا تسلب
بادر هواك إذا هممت بصالحٍ　　خوف الغوالب أن تجيء وتغلب

وإذا هممت بسيءٍ فاغمض له | وتجنب الأمر الذي يُتجنب
واخفض جناحك للصديق وكن له | كأب على أولاده يتحدب
والضيف أكرم ما استطعت جواره | حتى يعدَّك وارثاً يتنسب
واجعل صديقك من إذا آخيتَه | حفظ الإخاء وكان دونك يضرب
واطلبهم طلب المريض شفاءه | ودع الكذوب فليس ممن يصحب
واحفظ صديقك في المواطن كلها | وعليك بالمرء الذي لا يكذب
واقْلِ[1] الكذوب وقربَه وجواره | إن الكذوب ملطَّخ من يصحب
يعطيك ما فوق المنى بلسانه | ويروغ منك كما يروغ الثعلب
واحذر ذوي الملق اللئام فإنهم | في النائبات عليك ممن يخطب
يسعون حول المرء ما طمعوا به | وإذا نبا دهرٌ جفوا وتغيبوا
ولقد نصحتك إن قبلت نصيحتي | والنصح أرخص ما يباع ويوهب

*** وقال عليه السلام في أيام صفين:**

يا أيها السائل عن أصحابي | إن كنت تبغي خيرَ الصواب
أنبئك عنهم غير ما تكذاب | بأنهم أوعية الكتاب
صبرٌ لدى الهيجاء والضرابِ | فسل بذاك معشر الأحزاب

*** وقال عليه السلام بعد شهادة عمار بن ياسر:**

ألا أيها الموت الذي ليس تاركي | أرحني فقد أفنيت كل خليل
أراك مضراً بالذين أحبُّهم | كأنك تنحو نحوهم بدليل

*** وقال عليه السلام في الدهر:**

الدهر يخنق أحياناً قلادته | عليك لا تضرب فيه ولا تثب

---

(١) أبغض.

حتى يفرجها في حال مدتها		فقد يزيد اختناقاً كل مضطرب

* وقال عليه السلام:

لا تطلُبنَّ معيشةً بمذلةٍ		واربأ بنفسك عن دنيّ المطلَب
وإذا افتقرت فداوِ فقرك بالغنى		عن كل ذي دنَس كجلد الأجرب
فليرجعِنَّ إليك رزقُك كلُّه		لو كان أبعد من مقام الكوكب

* وقال عليه السلام في المال:

يُغطي عيوبَ المرء كثرةُ ماله		يُصدَّقُ فيما قال وهو كذوبُ
وُزري بعقل المرء قلةُ ماله		يحمِّقه الأقوام وهو لبيب

* وقال عليه السلام في الفَرَج:

وكم لله من لطفٍ خفيٍّ		يدق خفاه عنق فهم الذكي
وكم يسرٍ أتى من بعد عسر		ففرَّج كربة القلب الشجي
وكم أمرٍ تُساءُ به صباحاً		وتأتيك المسرَّة بالعشي
إذا ضاقت بك الأحوال يوماً		فثق بالواحد الفرد العليّ
توسَّل بالنبي في كل خطبٍ		يهون إذا تُوُسِّل بالنبي
ولا تجزع إذا ما ناب خطب		فكم لله من لطفٍ خفي

* ولما سامه الخوارج على أن يقر بالكفر ويتوب حتى يسير إلى الشام قال أبعد صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والنفقة في الدين أرجع كافراً وقال:

يا شاهد الله علي فاشهد		أني على دين النبي أحمد
من شك في الدين فإني مهتد		يا رب فاجعل في الجنان مورد

* حمل رجل من الخوارج يوم النهروان على أصحاب عليّ عليه السلام وهو يقول:

أضربكم ولو أرى علياً		ألبسته أبيض مشرفيا

*** فخرج إليه عليه السلام وهو يقول:**

يا أيهذا المبتغي عليّاً	إني أراك جاهلاً شقيّاً
قد كنت عن كفاحه غنياً	هلمَّ فابرز هاهنا إليّا

*** دخل جابر بن عبد الله الأنصاري على أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال له: يا جابر قوام الدنيا بأربعة: عالم يستعمل علمه، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم، وغني جواد بمعرفة، وفقير لا يبيع دينه بدنيا غيره. فإذا كتم العالم العلم لأهله وزهد الجاهل في تعلم ما لا بدّ منه، وبخل الغني بمعروفه، وباع الفقير آخرته بدنيا غيره حل البلاء وعظم العقاب. يا جابر من كثرت حوائج الناس إليه فإن فعل ما يجب لله عليه عرضها للدوام والبقاء، وإن قصر فيما يجب لله عليه عرضها للزوال والفناء، وأنشأ يقول:**

ما أحسن الدنيا وإقبالها	إذا أطاع الله من نالها
من لم يواس الناس من فضله	عرَّض للإدبار إقبالها
فاحذر زوال الفضل يا جابر	واعط من دنياك من سألها
فإنَّ ذا العرش جزيل العطا	يضعف بالحبة أمثالها
وكم رأينا من ذوي ثروةٍ	لم يقيلوا بالشكر إقبالها
تاهوا على الدنيا بأموالهم	وقيدوا بالبخل إقفالها
لو شكروا النعمة جازاهم	مقالة الشكر التي قالها
لئن شكرتم لأزيدنكم	لكنما كفرهم غالها

*** وقال عليه السلام في أدب النفس:**

صن النفس واحملها على ما يزينها	تعش سالماً والقول فيك جميل
ولا ترين الناس إلا تجمُّلاً[1]	نبا بك دهرٌ أو جفاك خليلُ

---

(١) صبراً.

وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غدٍ | عسى نكبات الدهر عنك تزول
يعز غني النفس إن قلّ ماله | ويغنى غني المال وهو ذليل
لا خير في ودِّ امرئٍ متلوّنٍ | إذا الريح مالت مال حيث تميل

*** وروي انه أتاه رجل فقال: يا علي اخبرني ما واجب وأوجب وعجيب واعجب، وصعب واصعب، وقريب واقرب، فقال:**

فرضٌ على الناس أن يتوبوا | لكن تركَ الذنوب أوجب
والدهرُ في صرفهِ عجيبٌ | وغفلةُ الناسِ فيهِ أعجب
والصبر في النائبات صعب | لكن فوت الثواب أصعب
وكل ما يرتجى قريب | والموت من كل ذاك أقرب

*** وقال ﷺ في الوفاء بين الناس:**

ذهبَ الوفاءُ ذهابَ أمس الذاهب | فالناسُ بينَ مخاتلٍ ومواربِ
يفشون بينهم المودة والصفا | وقلوبهم محشوةٌ بعقاربِ

*** وقال ﷺ في الحسب ايضاً:**

أيها الفاجر جهلاً بالنسب | إنما الناس لأم ولأب
هل تراهم خلقوا من فضة | أم حديد أم نحاس أم ذهب
بل تراهم خلقوا من طينة | هل سوى لحم وعظم وعصب
إنما الفخر لعقلٍ ثابت | وحياءٍ وعفاف وأدب

*** وقال ﷺ في الصبر:**

إني أقول لنفسي وهي ضيقةٌ | وقد أناخ عليها الدهر بالعجب
صبراً على شدة الأيام إنَّ لها | عُقبى وما الصبر إلا عند ذي الحسب
سيفتح الله عن قُرْبٍ بنافعةٍ | فيها لمثلك راحاتٌ من التعب

*** وقال عليه السلام في فضل السكوت:**

أدبت نفسي فما وجدت لها ... بغير تقوى الإله من أدب
في كل حالاتها وإن قصرت ... أفضل من صمتها على الكرب
وغيبة الناس إن غيبتهم ... حرَّمها ذو الجلال في الكتب
إن كان من فضة كلامك يا نفـ ... ـس فإن السكوت من ذهب

*** وقال عليه السلام في بعض أيام صفين حين ندب أصحابه فانتدب له عشرة آلاف إلى إثني عشر ألفاً فتقدمهم علي عليه السلام على بغلة رسول الله ﷺ** وهو يقول:

دُبوا دبيبَ النمل لا تفوتوا ... وأصبحوا بحربكم وبيتوا
حتى تنالوا الثأر أو تموتوا ... أو لا فاني طالما عُصيتُ
قد قلتم لو جئتنا فجئتُ ... ليس لكم ما شئتم وشيت
بل ما يريد المحيي المميت

*** وقال عليه السلام في الإنسان:**

قد كنتَ ميتاً فصرتَ حياً ... وعن قليل تصير ميتاً
بنيت بدار الفناء بيتاً ... فابنِ لدارِ البقاء بيتاً

*** وقال عليه السلام:**

صبرتُ عن الملذات لما تولت ... وألزمتُ نفسي صبرَها فاستمرت
وما المرءُ إلا حيث يجعل نفسَهُ ... فإن طَمَعَت تاقتْ وإلا تسلَّت

*** وقال عليه السلام:**

خليليَّ لا والله ما من مُلِمَّةٍ ... تدومُ على حي وإن هي جلّتِ
فإن نزلتْ يوماً فلا تخضعنْ لها ... ولا تكثر الشكوى إذا الفعل زلت
فكم من كريم يُبتلى بنوائبٍ ... فصابرها حتى مضت واضمحلت

* وقال عليه السلام في الصمت والكلام:

إن القليل من الكلام بأهله حسَنٌ وإنَّ كثيره ممقوتُ
ما زلّ ذو صمتٍ وما من مُكثرٍ إلا يُزل وما يعابُ صموت
إن كان ينطق ناطقاً من فضةٍ فالصمت درٌّ زانه ياقوت

* وقال عليه السلام:

قد رأيت القرون كيف تفانت دُرِسَتْ ثم قيل كانَ وكانت
هي دنيا كحية تنفُث السُّمَّ وإن كانت المجسة[1] لآنتْ
كم أمورٍ لقد تشددت فيها ثم هوَّنْتُها عليَّ فهانَتْ

* وقال عليه السلام في الدنيا:

إنما الدنيا فناء ليس للدنيا ثبوت
إنما الدنيا كبيت نسجَتهُ العنكبوت
ولقد يكفيك منها أيها الطالب قوت
ولعمري عن قليلٍ كل من فيها يموت

* وقال عليه السلام:

ألم ترَ أن الدهر يومٌ وليلةٌ يكرّان من سبت جديد إلى بت
فقل لجديد الثوب لا بد من بليً وقل لاجتماع الشمل لا بد من شت

* وقال عليه السلام:

إذا شئت أن تستقرض المال مُنفقاً على شهوات النفس في زمن العُسر
فسل نفسك الإنفاق من كنز صبرها عليك وإنظاراً إلى زمن اليُسر
فإن سمحَت كنتَ الغنيَّ وإن أبت فكل ممنوع بعدها واسع العُذر

---

(١) المجَسَّة هنا بمعنى: أحوال الدنيا وصحة الإنسان.

* **وقال عليه السلام في قريش:**

تلكم قريشُ تمناني لتقتُلني فلا وربك ما برّوا وما ظفِروا
فإن بقيت فرهن ذمتي لكُم بذات ودقين لا نعفو لها أثرُ
وإن هلكت فإني سوف أورثهم ذلّ الحياة فقد خانوا وقد غدروا
أما بقيت فإني لستُ متخذاً أهلاً ولا شيعة في الدين إذ فجروا
قد بايعوني ولم يوفوا ببيعتهم وما كروني بالأعداء إذ مكروا
وناصبوني في حرب مضرسة ما لم يلاق أبو بكر ولا عمرُ

* **وقال عليه السلام في عذاب القبر:**

والله لو عاش الفتى من دهرِه ألفاً من الأعوام مالك أمره
متلذذاً فيه بكل هنيةٍ ومبلّغاً كل المُنى من دهرِه
لا يعرف الآلام فيها مرّةً كلا ولا جرت الهموم بفكره
ما كان ذاك يفيده من عظم ما يلقى بأوّلِ ليلةٍ في قبرِه

* **أتى رجل إلى علي عليه السلام وقال له: قال عيل صبري فأعطني، قال عليه السلام أنشدك شيئاً أم أعطيك؟ فقال: كلامك أحب إليّ من عطائك؛ فقال عليه السلام:**

إن عضك الدهر فانتظر فرجاً فإنه نازلٌ بمنتظرِ
أو مسك الضرُّ أو بُليت به فاصبر فإنَّ الرخاء في أثره
كم من مُعان على تهوُّرِه ومبتلى ما ينام من حذرِه
وآمنٌ في عشاء ليلتِهِ دبَّ إليه البلاء في سَحَره
من مارس الدهر ذمَّ صحبته ونال من صفوِهِ ومن كدرِه

* **وقال عليه السلام في الدنيا:**

ما هذه الدنيا ولطالبِها إلا عناء وهو لا يدري

إن أقبلت شغلت ديانته | أو أدبرت شغلته بالفقر

* وقال عليه السلام في اللذة:

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها | من الحرام ويبقى الإثم والعار
تبقى عواقب سوءٍ في مغبتِها | لا خير في لذةٍ من بعدها النارُ

* وقال عليه السلام في الأدب:

حرِّض بنيك على الآداب في الصغر | كيما تقرَّ بهم عيناك في الكبر
وإنما مثل الآداب تجمعها | في عنفوان الصبا كالنقش في الحجر
هي الكنوز التي تنمو ذخائرها | ولا يُخاف عليها حادث الغيَر
إنَّ الأديب إذا زلت به قَدَمٌ | يهوي إلى فرش الديباج والسرر
الناس اثنان ذو علمٍ ومستمعٍ | واعٍ وسائرهم كاللغو والعكر

* وقال عليه السلام:

إصبر قليلاً فبعد العسر تيسير | وكل أمرٍ له وقت وتدبير
وللمهيمن في حالاتنا نظر | وفوق تقديرنا لله تقديرُ

* وقال عليه السلام:

غني النفس يكفي النفس حتى يكفَّها | وإن أعسرت حتى يضرَّ بها الفقرُ
فما عسرة فاصبر لها إن لقيتها | بدائمة حتى يكون لها يُسرُ

* وقال عليه السلام:

وهوِّن عليك فإن الأمو | ر بكف الإله مقاديرها
فليس بآتيك منهيُّها | ولا قاصر عنك مأمورُها

* وقال عليه السلام:

جميع فوائد الدنيا غرور | ولا يبقى لمسرورٍ سرور

فقل للشامتين بنا أفيقوا ... فإنَّ نوائب الدنيا تدور

* **وقال** عليه السلام:

أحسَنْتَ ظنك بالأيام إذ حسُنَتْ ... ولم تخفْ سوء ما يأتي به القَدَرُ
وسالمتك الليالي فاغتررتَ بها ... وعند صفوِ الليالي يحدث الكدَرُ

* **وقال** عليه السلام:

بلوت صروف الدهر ستين حجةً ... وجرَّبت حاليه من العسر واليُسرِ
فلم أرَ بعد الدين خيراً من الغِنى ... ولم أر بعد الكفر شراً من الفقرِ

* **وقال** عليه السلام:

إذا أَذِنَ الله في حاجةٍ ... أتاك النجاح بها يركض
وإن أذِنَ الله في غيرها ... أتى دونها عارض يعرضُ

* **وقال** عليه السلام:

ومن البلاء وللبلاء علامة ... أن لا يرى لك عن هواك نزوع
العبدُ عبد النفس في شهواتِها ... والحُرُّ يشبع تارة ويجوع
وكفاك من عِبَرِ الحوادث أنه ... يبلى الجديد ويحصد المزروع

* **وقال** عليه السلام:

وكن معدناً للحلم واصفح عن الأذى ... فإنك لاقٍ ما عملت وسامع
أحبّ إذا أحببت حباً مقارباً ... فإنك لا تدري متى أنت نازعُ
وأبغض إذا أبغضت بَغضاً مُقارباً ... فإنك لا تدري متى أنت راجع

* **وقال** عليه السلام:

الفضل من كرم الطبيعة ... والمّن مفسدةُ الصنيعة

والخيرُ أمنع جانباً ... من قمة الجبل المنيعة
والشرُّ أسرع جرية ... من جرية الماء السريعة
تركُ التعاهُدِ للصديـ ... ـق يكون داعيةَ القطيعة
لا تلتطخ بوقيعةٍ ... في الناس تلطخك الوقيعة
إنَّ التخلُّقَ ليس يمكـ ... ـث أن يؤول إلى الطبيعة
جُبِلَ الأنام من العبا ... د على الشريفة والوضيعة

* وقال عليه السلام:

لا تضع المعروف في ساقطٍ ... فذاك صنع ساقط ضائع
ضعه في حرٍّ كريمٍ يكن ... عرفك مسكاً عُرفه ضائع

* وقال عليه السلام:

مات الوفاءُ فلا رِفد ولا طمَع ... في الناس لم يبق إلا اليأس والجزع
فاصبر على ثقةٍ بالله وارضَ به ... فالله أكرمُ من يرجى ويُتبع

* وقال عليه السلام:

لا تجزعَنَّ إذا نابَتْكَ نائبةٌ ... واصبر ففي الصبر عند الضيق مُتسع
إنّ الكريمَ إذا نابته نائبة ... لم يَبْدُ منه على علاته الهلعُ

* وقال عليه السلام:

دَع الحرص على الدنيا ... وفي العيش فلا تطمع
ولا تجمع من المالِ ... فلا تدري لمن تجمع
ولا تدري أفي أرضِـ ... ـك أم في غيرها تُصرَع
فإنَّ الرزقَ مقسومٌ ... وسوء الظنّ لا ينفَع
فقيرٌ كل من يطمَع ... غنيٌّ كل من يقنَع

* وقال عليه السلام:

لك الحمد إمَّا على نعمةٍ ... وإمَّا على نقمة تُدفَع
تشاء فتفعل ما شئتَهُ ... وتسمع من حيث لا يُسمع

* وقال عليه السلام:

إغن عن المخلوق بالخالق ... واغن عن الكاذب بالصادقِ
واسترزق الرحمن من فضله ... فليس غير الله من رازقِ
من ظنَّ أن الرزق في كفِّه ... فليس بالرحمن بالواثقِ
أو ظنَّ أنَّ الناس يغنونَه ... زلَّت به النعلان من حالق[1]

* وقال عليه السلام:

رضيت بما قسم الله لي ... وفوَّضت أمري إلى خالقي
كما أحسن الله فيما مضى ... كذلك يحسن فيما بقي

* وقال عليه السلام:

أفٌّ على الدنيا وأسبابها ... فإنها للحزنِ مخلوقة
همومها ما تنقضي ساعة ... عن ملكٍ فيها وعن سوقة

* وقال عليه السلام:

لا تخضعنَّ لمخلوقٍ على طمع ... فإنَّ ذلك وهن منك في الدين
واسترزق الله مما في خزائنه ... فإنما الأمر بين الكاف[2] والنون[3]
إنَّ الذي أنت ترجوه وتأمله ... من البرية مسكين ابن مسكين

---

(١) أي: من فوق ويقصد ﷺ ربُّ العالمين.
(٢) الكاف: الكفر.
(٣) النون: الإيمان.

ما أحسن الجود في الدنيا وفي الدين وأقبح البخل فيمن صيغ من طين
ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا لا بارك الله في دنيا بلا دين
لو كان باللُّب يزداد اللبيب غنىً لكان كل لبيب مثل قارون
لكنما الرزق بالميزان من حكم يُعطي اللبيب ويعطي كل مأفون

*** وقال عليه السلام:**

إذا هبّت رياحك فاغتنمها فعقبى كل خافقة سكون
ولا تغفل عن الإحسان فيها فما تدري السكون متى يكون

*** وقال عليه السلام:**

تنكَّر لي دهري ولم يدرِ أنني أعز وروعات الخطوب تهون
فظل يريني الخطب كيف اعتداؤه وبتُّ أريه الصبر كيف يكون

*** وقال عليه السلام:**

هوِّن الأمر تعش في راحة كل ما هوَّنت إلا سيهون
ليس أمر المرء سهلاً كله إنما المرء سهولٌ وحزون
تطلب الراحة في دار العنا خاب من يطلب شيئاً لا يكون

*** وقال عليه السلام:**

عد من نفسك الحياة فصُنها وتوقَّ الدنيا ولا تأمننها
إنما جئتها لتستقبل الموت وأدخلتها لتخرُج عنها
سوف يبقى الحديث بعدك فانظر أيَّ أحدوثة تحب فكُنها

*** وقال عليه السلام لرجل كره صحبة رجل:**

فلا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه
فكم من جاهلٍ أردى حليماً حين آخاه

يُقاس المرء بالمرء إذا ما هو ماشاه
وللقلب على القلبِ دليلٌ حين يلقاه
وللشيء من الشيء مقاييسٌ وأشباه
وفي العين غنى للعين إن تنطق أفواه

* وقال عليه السلام:

الغنى في النفوس والفقر فيها إن تجزَّت فقلَّ ما يجزيها
علّل النفس بالقنوع وإلا طلبت منك فوق ما يكفيها
ليس فيما مضى ولا في الذي لم يأت من لذة لمستحليها
إنما أنت طول عمرك ما عمـ ـرت بالساعة التي أنت فيها

* وقال عليه السلام:

أرى حُمراً ترعى وتأكل ما تهوى وأسداً جياعاً تظمأ الدهر ما تروى
وأشراف قوم ما ينالون قوتهم وقوماً لئاماً تأكل المنَّ والسلوى
قضاءٌ لخلّاق الخلائق سابقٌ وليس على رد القضا أحدٌ يقوى
ومن عرف الدهر الخؤون وصرفه تصبَّر للبلوى ولم يُظهر الشكوى

* **أقول وما أنا من أمير المؤمنين:**

هو الكنز الذي تنمو ذخائره هو الديباجُ والذهبُ والسُّرَرُ
في جهله قبل الموت موت لأهله فأفيقوا فإنَّ جهله خسارة وغرورُ
قالوا: مات فما ينفع ذكرُهُ قلنا: إن امرءاً لم يحيَ بعلمه مقبورُ
مساكين أهل الدنيا مجاهيل والمال مستأثر بمن هو جديرُ

الفصل الرابع

في التصوف

غرائب

* كان للأغاني الروحية العاطفية شأن كبير في عبادات الصوفية.

ويحدثنا المقدسي عن حضوره مجالس الصوفية بمدينة السوس قائلاً: «فكرَّةً أزعق معهم، وتارةً أقرأ لهم القصائد».

وفي القرن الخامس الهجري زاد الرقص إلى جانب الغناء، ويقول الحجويري: أنه لقي طائفة من العوام يظنون أن مذهب التصوف ليس إلا الرقص. وكذلك يعيب المعري (المتوفى عام ٤٤٩هـ ـ ١٠٥٧م) ذلك على الصوفية، وهو يقول:

أرى جيل التصوف شرَّ جيل ... فقل لهمُ: وأهون بالحلول
أقال الله حين عبدتموه: ... كلوا أكل البهائم وارقصوا لي!؟

وسرعان ما اخترع خيال أهل التصوف أن في الجنة كراسي يجلس عليها الصوفية، وهي تميل بهم وتدور، فتكفيهم مؤونة الرقص، وذلك، كما قالوا. بأن الله يبعث لأهل الجنة مغاني من الحور العين، وتنصب لأهلها المراتب والمساند، ثم تغني الحور العين بأصواتٍ لم يُسمع أحسن منها، ويقول الله للحور العين: أسْمِعْنَ عبادي الذين نزَّهوا أنفسهم عن مطربات الدنيا، وتلذذوا بسماع كلامي وأحاديث

الرسول ﷺ! فيطرب القوم ويهيمون، فتقدم الملائكة إليهم كراسي من ذهبٍ، وتقول لهم: لا تزعجوا أعضاءكم بالرقص! فقد كفى ما تعبتم في الدنيا بالصلاة والعبادة، واجلسوا على تلك الكراسي، وهي تميل بكم وتدور! فيغيبون عن وجودهم من الطرب.

ويحكي ابن حزم: أنَّ من الصوفية مَنْ يقول: إنَّ مَنْ عرف الله سقطت عنه الشرائع؛ وزاد بعضهم: واتصل بالله تعالى. ويلغنا أن بنيسابور اليوم في عصرنا هذا رجلاً يكنى أبا سعيد أبا الخير من الصوفية، مرة يلبس الصوف، ومرة يلبس الحرير المحرم على الرجال، ومرة يصلي في اليوم ألف ركعة، ومرة لا يصلي فريضة ولا نافلة، وهذا كفر محض، ونعوذ بالله من الضلال.

* ويُحكى أن امرأة أحد الصوفية كانت سيئة الخلق، تستطيل عليه، وأعطته مرة درهمين من ثمن غزلها ليشتري الدقيق، فلقي في طريقه جارية تبكي، لأنها أضاعت درهمين لسيدها، فخافت أن يضربها، فدفع إليها الدرهمين، وقعد على حانوت صديق له يشق الساج، وذكر له الحال، وما يخاف من سوء خُلُق امرأته، فقال له: خذ من هذه النشارة في الجراب لعلكم تنتفعون بها في سجر التنور، إذ ليس في إمكاني مساعدتك بشيء آخر، فحمل الصوفي النشارة وفتح باب داره، ورمى بالجراب، وردَّ الباب، وذهب إلى المسجد إلى ما بعد العتمة، ليأخذ أهله النوم ولا تستطيل عليه زوجته، فلما فتح الباب وجدهم يخبزون الخبز، فقال: من أين لكم هذا الخبز؟ فقالوا: من الدقيق الذي كان في الجراب، لا تشترِ غير هذا الدقيق، قال: أفعل إن شاء الله، وهكذا لم ينقذه من سوء خُلق امرأته إلا كرامة.

* وحكي عن أبي عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي المشهور (المتوفى عام ٣٧١هـ ـ ٩٨١م) ـ وكان من أبناء الملوك ـ: أن بنات الملوك والرؤساء كُنَّ يتقربن منه تبركاً حتى يعقد عليهن، وقد عقد أربعمائة نكاح. وكان يقبل الزواج، ثم يطلقهن قبل الدخول بهن.

وفي سنة ٤٣٧هـ ـ ١٠٤٥م كتب عبد الكريم بن هوازن القشيري رسالته المشهورة إلى جماعة الصوفية ببلدان الإسلام، وذلك أنه لما رأى انقراض أكثر شيوخ الصوفية الحقيقيين، وفساد حال كثير من الباقين، ألَّف رسالته ومما قاله في أولها: «اندرست الطريقة بالحقيقة، ومضى الشيوخ الذين كان بهم الاهتداء؛ وقلَّ الشباب الذين كان لهم بسيرتهم وسنتهم اقتداء، وزال الورع وطُوي بساطُه، واشتد الطمع، وقوي رباطه، وارتحلت عن القلوب حرمة الشريعة، فعدّوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام، ودانوا بترك الإحترام، وطرح الإحتشام، واستخفوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصوم والصلاة، وركضوا في ميدان الغفلات، وركنوا إلى اتباع الشهوات، وقلة المبالاة بتعاطي المحظورات، والإرتفاق بما يأخذونه من السوقة، والنسوان، وأصحاب السلطان، ثم لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هذه الأفعال حتى أشاروا إلى أعلى الحقائق والأحوال، وادعوا أنهم تحرروا عن رق الأغلال، وتحققوا بحقائق الوصال، وأنهم قائمون بالحق، تجري عليهم أحكامه، وهم مُحْوٌ، وليس لله عليهم فيما يؤثرونه عتب ولا لوم، وأنهم كوشفوا بأسرار الأحدية، واختطفوا عنهم بالكلية، وزالت عنهم أحكام البشرية».

* وتُروى حكاية مشهورة عن الدرويش الذي وقع في دجلة، فقد

أبصره رجل من المارة، ورأى أنه لا يعرف السباحة، فقال له: أتريد أن أرسل إليك من ينقذك؟ فقال: لا، فقال له الرجل: أفتريد أن تغرق؟ فقال: لا، فقال له: فأي شيء تريد؟ فقال: أي شيء يريده الله لي.

وكان كتاب طبقات الصوفية للسلمي (المتوفى عام ٤١٣هـ - ١٠٣٤م) أول كتاب في تراجم الأولياء.

ولعلَّ ظهورهم كان في القرن الثالث فما بعده، وامتلأ منهم القرن الرابع.

* ويُحكَى عن شابٍ كان يكثر الصلاة عند الكعبة أنه سقطت عليه رقعة مكتوب فيها: من العزيز الغفور إلى عبدي الصادق: إنصرف! مغفور لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. وكان قد سُئل هذا الشاب من قبل في كثرة صلاته، فقال إنه ينتظر الإذن من ربه في الإنصراف.

* ويُذكر عن رجلٍ أنه كان يتعبد في غرفة ليس إليها سُلَّم ولا درج، فكان إذا أراد أن يتطهر يجيء إلى باب الغرفة، ويقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، ويمر في الهواء كأنه طير، ثم يتطهر، فإذا فرغ، يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، ويعود إلى غرفته.

* ويُروى عن آخر: أنه دخل الأتون، وهو مُوقد، وخرج من الباب الآخر لم يصبه شيء.

* وحكي عن بعض الصوفية أنه قال: كان في نفسي شيء من هذه الكرامات، فأخذت قصبة من الصبيان وقمت بين زورقين. ثم قلت: وعزتك لئن لم تخرج لي سمكة فيها ثلاثة أرطال لأغرقنَّ نفسي، قال:

فخرجت لي سمكة فيها ثلاثة أرطال، فبلغ ذلك الجنيد، فقال: كان حكمه أن تخرج له أفعى تلدغه.

وكان أبو سهل التستري (المتوفى عام ٢٧٣هـ أو ٢٨٣هـ ـ ٨٨٦م أو ٨٩٦م) لا يعتد بإظهار الكرامات، فكان جزاؤه أن أضيفت إليه كرامات. ويُحكى عنه أنه قال: أكبر الكرامات أن تبدل خُلُقاً مذموماً من أخلاقك.

* وجاء رجل إلى سهل، وقال له: إن الناس يقولون إنك تمشي على الماء، فقال: سل مؤذن المحلة، فإنه رجل صالح لا يكذب، قال: فسألته، فقال المؤذن: لا أدري هذا، ولكنه نزل الحوض في بعض الأيام ليتطهر، فوقع في الماء، فلو لم أكن أنا لبقي فيه.

* وفي عام ٣٠٩هـ ـ ٩٣١م ـ قُتل الحسين بن منصور «الحلاج» الصوفي المعروف، قتلة شنيعة، فَضُرب ألف سوط، وقُطعت يداه ورجلاه، وأُحرق في النار.

* ويُذكر لأبي حيان التوحيدي: ـ وكان صوفي السمت والهيئة، متفنناً في الكلام على مذهب المعتزلة ـ أنه ألّف حوالي عام ٣٨٠هـ ـ ٩٩٠م «كتاب الحج العقلي إذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعي».

* ويقول الحجويري نفسه في القرن الخامس الهجري ـ وهو مثال الصوفية المتساهلين المعتدلين ـ: الحج نوعان: الأول في الغيبة، والثاني في الحضور، فمن كان غائباً عن الله في مكة فهو كمن كان غائباً عنه في بيته، ومَنْ كان حاضراً مع الله في بيته فهو كمن كان حاضراً معه في مكة، فالحج مجاهدة لكشف المشاهدة، والمجاهدة

ليست علة للمشاهدة، ولكنها وسيلة لها . . . فليس المقصود من الحج رؤية البيت بل المقصود الحقيقي مشاهدة الله».

* قال قوم لمالك بن دينار الصوفي، وقد انقطع عنهم الغيث: أُدعُ لنا ربك يسقينا، فقال:

إنكم تستبطئون المطر وأستبطىء الحجارة.

* وقال صوفي: حججت للمرة الأولى فرأيت الكعبة، ولم أرَ ربَّ الكعبة، ولما حججت الثانية رأيت الكعبة ورب الكعبة، ولما حججت الثالثة رأيت ربَّ الكعبة ولم أرَ الكعبة.

فالحجة الأولى حجة الغافل، والحجة الثانية حجة الحاسِّ المتأمل، والحجة الثالثة حجة الفاني في الله.

وما عَهِدْنَا من رسول الله ﷺ حجًّاً وكلاماً من هذا النوع ومن كل ما مرَّ.

*** القُصَّاص:**

في الأخبار التاريخية الإسلامية ندبُ الخلفاء لرجالٍ يقصون القصص الديني على الناس بغية الوعظ أو التحميس على القتال، وإن كان يتجه القصُّ ـ أحياناً ـ نحو مدح الخليفة أو السلطان. ومن الذين خرجوا به عن غايته: معاوية الذي اتخذ من القُصَّاص الذين اشتراهم، غاية للتحريض على علي ﷺ. فكان يأمرهم باختراع الأحاديث ونشرها بين الناس لتشويه صورته ﷺ. ومما يدل على خِفة العامة في تصديق القُصَّاص وعبث هؤلاء بهم، ما حكي: من أن كلثوم بن عمرو

العتابي ـ الشاعر الذي عاش في أيام الرشيد والمأمون ـ كان يأكل خبزاً على الطريق ببغداد، فرآه عثمان الورَّاق، فقال له، ويحك! أما تستحي! فقال له كلثوم: أرأيت لو كنا في دارٍ فيها بقر، كنت تستحي، وتحتشم أن تأكل، وهي تراك؛ فقال: لا، قال: فاصبر حتى أعلمك أنهم بقر، فقام فوعظ وقصَّ، حتى كثر الزحام عليه، ثم قال للناس: روى لنا غير واحد: أن مَن بلغ لسانهُ أرنبة أنفه لم يدخل النار، فكأنما كان ذلك إشارة منه للناس، فلم يبقَ أحد منهم إلا وأخرج لسانه يومىء به نحو أرنبة أنفه، ليرى إن كان يبلغها أم لا.

وحلَّ محل القُصَّاص في عصورنا اليوم مقاهي النراجيل وطاولات الزهر، والورق، والفسق والفجور. وما أحلى أيام زمان بقصص البطولات والعنتريات، وإن كان كله سلوى للنفس بما لا تنتفع به ولا ترتقي إلا ما كان يجتمع منها مع تقوى الله، والصدق، وعدم لبس الحق بالباطل.

المتصوفة في أوروبا

غرس القرنان الرابع عشر والخامس عشر بذور الإصلاح الديني. وكابد ويكليف في إنكلترا، وهس في بوهيميا، التجربة قبل لوثر، وكالفن، ونوكس، وأصبح رجال الدين، وأملاك الكنيسة الواسعة المعفية من الضرائب عبئاً ثقيلاًعلى الشعب والحكومة. بل إن المسيحيين المحافظين كانوا ضد الكهنوت. أما في سويسرا فقد كان الاستقلال التام للولايات تمهيداً لظهور زونجلي، وكالفن. وفي عام ١٤٣٣ طردت مغديبرغ، (المانيا) كبير أساقفتها وكهانتها، وانتفضت بمبرغ على حكم الأساقفة، وحاصرت باسو أسقفها في قلعته.

وانتشرت أصداء من ثورة الهوسيين في بوهيميا المجاورة، إلى ألمانيا بأسرها، وحافظت الجماعات الولدنيزية، هنا وهناك، سراً على الهرطقة القديمة والأفكار الشبيهة بالشيوعية. واتجه الورع نفسه إلى تصوف يقترب من الهرطقة.

وأضحى التصوف عند جوهانس إيكهارت، مذهباً من مذاهب وحدة الوجود، لا يعبأ بالكنيسة، ويكاد يتجاهل القانون الديني المحدود. وكان هذا الراهب الدومينيكي على حظ من العلم جعل لقب

«أستاذ» جزءاً من إسمه. وصيغت كتاباته الفلسفية بلغة لاتينية، ولكنه كان يدعو بلغة ألمانية إلى مذهبه الجريء في وحدة الوجود، ممَّا عرضه لمحكمة التفتيش. وهذا الإله غير المحدود، لم يتصوّره إيكهارت، شخصاً أو روحاً، بل وحدة مطلقة خالصة... وجود بلا كيفية، وبلا شكل، للإله الصامت الواسع... حيث لا يُرى قط خلاف، لا أب ولا إبن ولا روح قدس، حيث لا يوجد أحد في داره، ولكن حيث تكون جذوة النفس في سلام أكثر مما تكون مع نفسها. ولا يوجد بصفة أساسية سوى هذا الإله الذي لا شكل له... الله كل شيء، وكل شيء هو الله. إن الأب ينجيني بلا توقف، فأكون إبنه. وأنا أقول أكثر من ذلك: إنه يُنْجِبُ في ذاته، وفي ذاته ينجبني. والعين التي أرى بها الله هي العين ذاتها التي يراني الله بها... وعيني وعين الله عين واحدة.

وفي كل فرد قطعة من الله، وعن طريقها تستطيع الإتصال به مباشرة وتستطيع أن تكون ذاته. لا عن طريق شعيرة الكنيسة، ولا حتى عن طريق الكتاب المقدس، ولكن عن طريق هذا الوعي الكوني وحده تستطيع النفس أن تقترب، وأن ترى الله. وكلما تجرد الفرد من أغراضه الذاتية والدنيوية، كلما أصبحت هذه الجذوة الإلهية أكثر شفافية، وأحدُّ بصراً حتى يكون الله والنفس واحداً آخر الأمر، ونتخول كلية إلى الله. فليست الجنة، والأعراف، والجحيم أماكن، ولكنها أحوال النفس.. فالإفتراق عن الله هو الجحيم، والإتحاد معه هو الفردوس. واشتم كبير أساقفة كلونيا من هذه الأقوال رائحة الهرطقة، فدعا إيكهارت للمحاكمة (١٣٢٦) فأكد الرجل صحة محافظته على العقيدة، واقْترح أن يحكم على أقواله باعتبارها مبالغات أدبية، ومع ذلك فقد أدانه الأسقف.

فاستأنف الراهب الحكم إلى البابا يوحنا الثاني والعشرين، ثم تخلص من المحرقة بالموت في الوقت المناسب (١٣٢٧).

وانتشر تأثيره على يد تلميذين دومينكيين، فقد عذب «هانيريخ سوسو» نفسه، ست عشرة ستة، في زهادة صارمة، وحفر إسم المسيح في لحمه على قلبه؛ وزعم أنه تلقى في فمه دماً من جراح المسيح، وألَّف كتيِّبَهُ في «الحكمة الخالدة» باللغة الألمانية، لأن الله كما قال، أوحاه إليه بهذه اللغة. أما «جوهانزتولر» فقد وصف إيكهارت بأنه «أستاذه الأقدس» ودعا في ستراسبورغ، وبازل إلى مذهب الإتحاد الصوفي بالله.

ونظرت الكنيسة بشيء من الاهتمام إلى المتصوفة الذين تجاهلوا أغلب تعاليمها، وأهملوا شعائرها وزعموا الوصول إلى الله بلا استعانة من القصص أو الأسرار المقدسة. وفي رأي الكنيسة أن الإيحاءات الخارقة قد تأتي من الشياطين، والمجاذيب كما تأتي من الله والقديسين، وأن الأمر يحتاج إلى إرشاد صارم يحفظ الدين من التحلل ومن ديانات، وعلوم دين فردية.

واعتزل القسيس «جان فان ريسبرويك» منصبه في بروكسل وهو في الخمسين من عمره (١٣٤٣) وآوى إلى دير أوغسطيني في غروينندايل، بالقرب من واترلو، حيث وقف نفسه على التأملات والتآليف الصوفية. وصرح بأن «روح القدس» هي التي كانت تهدي قلمه.

«فإن الله ذاته، يحل مع الأبرار، في غيبوبة الكيفيات. . . وهو فناء أبدي للنفس. . وتحصل الدرجة السابعة، عندما نكشف وراء كل

المعرفة أو وراء العارف بكل شيء، في أنفسنا لا عارف ليس له قرار. وعندما نتجاوز جميع الأسماء التي لله أو الكائنات، فإننا نحتضر، ونتحول إلى لا إسمية أبدية، حيث نفقد أنفسنا . . .

ونتأمل جميع هذه الأرواح المبرورة، التي فنيت ودخلت وغابت في جوهرها الأسمى، في ظلام غير معروف بلا كيفية».

وشهدت الأرض الواطئة[1] وولاية الراين الألمانية، وفرة من جماعات غير دينية ـ البيغارديين، والبيجوينيين، وإخوان الروح الحر ـ أثمرت أحوالها الصوفية غالباً التقوى، والخدمة الإجتماعية، والسكينة، والسلم، وإنكار الأسرار المقدسة، وإلى الرضى عن الخطيئة أحياناً لأنها ستفنى بالإتحاد في الله.

وكان «هيغويز» في «ديفنتر» (١٤٧٥ ـ ١٤٩٨) مثالاً يُحتذى في ذلك العصر، ولما توفي لم يترك شيئاً غير ملابسة وكتبه، ذلك أنه وهب كل شيء سواها للفقراء سراً. ومن بين طلاب العلم الذين نبغوا في ديفنتر: نيقولاس أكوساوي، وأرازموس، ورودلف أغريكولا، وجان دي غرسون، ومؤلف كتاب «محاكاة المسيح» المنسوب إلى توماس هموكن من مدينة كمبين Kampen من أعمال بروسيا ـ الذي شرح فيه التجرد من الدنيا بالتقوى، كما تصورها ويسبرويك روغروت، وأعاد صياغة هذا كله بلغة لاتينية شيقة وسهلة.

«ما الذي يجديك في أن تشغل نفسك بجدل عميقٍ في الثالوث؛ إن كنت مجرداً من التواضع، ومكروهاً من الثالوث؟ والحق: أن الكلمات

---

(١) ما يشمل بلجيكا وهولندة الحديثتين.

السامية لا تجعل الإنسان مقعداً، عادلاً، بيد أن الحياة الفاضلة هي التي تجعله أثيراً عند الله. وإنه لخير لي أن أحس وخز الضمير من أن أحفظ الكتاب المقدس وأقوال الفلاسفة جميعهم. فما الذي يفيدك، إن افتقرت إلى حب الله وإلى فضله؟ باطل الأباطيل والكل باطل، سوى أن تحب الله، وألا تخدم إلا إياه. وأسمى مراتب الحكمة، أن تحتقر الدنيا وتتجه إلى مملكة السماء ـ ومع ذلك فلا تثريب على التعلم. . . لأنه حسن في ذاته، كما أن الله قد أمر به، ولكن الضمير الصالح، والحياة الفاضلة مفضلان على الدوام.

العظيم بحق هو من يحمل في قلبه حباً عظيماً. والعظيم بحق هو الصغير في نظر نفسه، الذي لا يأبه برفعة الشرف. والحكيم بحق هو الذي يطرح جانباً جميع الأشياء الأرضية باعتبارها روثاً، حتى يغنم صحبة المسيح.

أهرب عن صخب الناس بأسرع ما تستطيع، لأن معالجة الأمور الدنيوية عائق عظيم. والواقع أن من التعاسة أن نعيش على هذه الأرض. . . وأنه لأمر عظيم أن نلتزم الطاعة في الحياة، وأن يكون فوقنا رئيس، وألا نكون مخيرين بمشيئتنا، وأمنٌ لنا أن نطيع من أن نحكم. . . وبذلك تبدو الصومعة التي نسكنها جميلة.

كلام يعكس البساطة الروحية العميقة بلا شك، وينطوي على رقة وخشوع لكنه فرار من الواقع المحتاج إلى رفع الظلم، والتغيير؛ والدرجات العليا من التواضع والتشامخ على النفس تدعو إلى التمازج مع النفوس المعذَّبة، لإنقاذها من بؤسها العقيم.

الفصل الخامس

قالوا مصطلحات

مصطلحات في علم الكلام والفلسفة

* الآن: اللحظة.

* الإرادة التكوينية: وتسمى الكونية، أي: إن الشيء يكون بفعل منه تعالى: كن فيكون. والإرادة التشريعية: نفس الأوامر والنواهي الشرعية لتعليم العباد كيفية سلوك طريق العبودية والطاعة له سبحانه وتعالى.

* الأزلي: ما لا أول له. والأبدي: ما لا آخر له. والسرمدي. ما لا أول له ولا آخر وهو الله عزَّ وجل.

* الإقتضاء: الدلالة أو الصلاحية.

* الأكوان الأربعة: الحركة، السكون، الإجتماع، الافتراق، بالنسبة للأجسام.

* الجوهر والعرض:

الجسم هو الجوهر القابل للقسمة إلى الأبعاد الثلاثة: الطول والعرض، والعمق. ويُعبر عن الجوهر بالمتحيز. والجوهر الفرد: هو غير القابل للقسمة إلى الأبعاد الثلاثة، كالنقطة. ويعرِّفها الشيخ المفيد: بالمتحيز الذي لا يقبل القسمة. والخط: المتحيز الذي يقبل

القسمة في الطول خاصة، والسطح: طول وعرض خاصة، والجسم: طول وعرض وعمق.

* والجوهر يقسمه الحكماء إلى:

١ ـ الهيولي: كلمة اصطلحها أرسطو على المادة الأولى، وهي كلمة يونانية الأصل.

وهي الجوهر القابل للصورة.

٢ ـ الصورة.

٣ ـ الجسم (مادة وصورة).

٤ ـ العقل: وهو المجرد عن المادة والصورة.

٥ ـ النفس. وهي الجوهر المجرد عن المادة ذاتاً المتعلق بها فعلاً لاحتياجها إلى الآلة للتأثير.

* المقولات عند الحكماء عشرة بضم الجوهر إليها، ودونه هي تسع وتسمى بأنواع الأعراض:

١ ـ مقولة الكم (الأعداد والمقادير).

٢ ـ مقولة الكيف (كالحرارة والبرودة).

٣ ـ مقولة الإضافة (الأبوة والنبوة).

٤ ـ مقولة الوضع (كالقيام والقعود).

٥ ـ مقولة الأين (نسبة الجسم إلى المكان).

٦ ـ مقولة المتى (نسبة الجسم أو الشيء إلى الزمان)

٧ ـ مقولة الجِدة (الملك). وهي نسبة الشيء إلى ما هو له.

٨ ـ مقولة الفعل.

٩ ـ مقولة الإنفعال.

* لا حكم للحس لا في الجزئيات ولا في الكليات إلا أن يكون المراد من حكم الحس حكم العقل على المحسوسات، وإذا كان كذلك كان الصواب والغلط إنما يعرضان للعقل في أحكامه، لأن الحس إدراك بآلة فقط، والحكم تأليف بين مدركاتٍ بالحس أو بغير الحس على وجهٍ يعرض المؤلَّف لذاته فيصفه إما بالصدق أو الكذب.

* الشيء إما أن يكون موجوداً أو غير موجودٍ ولا واسطة بين الوجود والعدم حتى يقال: هذا الجسم ليس بموجود ولا معدوم. أو هذا الجسم لا ساكن ولا متحرك، بل هو إما ساكن أو متحرك. وهذا مسلم واضح لمبدأ عدم التناقض.

* الماهية لا تخلو عن الوجود أو العدم في الخارج، أما عند التعقل فتخلو عن اعتبارهما. والإمكان صفة لها من حيث هي كذلك، مسندة إلى الوجود أو إلى العدم. والإمكان صفة عقلية لها.

* الزمان: إما الماضي وإما المستقبل، وليس له قسم هو الآن (اللحظة) إنما الآن فصل مشترك بين الماضي والمستقبل، كالنقطة في الخط. والماضي ليس بمعدوم مطلقاً، إنما هو معدوم في المستقبل والمستقبل معدوم في الماضي، وكلاهما معدومان في الآن. وكل واحدٍ منهما موجود في حدّه. فالآن موجود وهو عرض حالٌ في الزمان كالفصل المشترك في الخط، وليس بجزء من الزمان وليس فناؤه إلا بعبور زمان.

* الأعراض التي لا يتصف بها غير الحي عشرة:

الحياة، والقدرة، والإعتقاد، والظن، والنظر، والإرادة، والكراهة، والشهوة، والنفرة، والألم.

وأُضيف إليها: الشك، والرغبة أو الحب.

*** الخلأ:**

المراد به: كون الجسمين بحيث لا يتماسا، ولا يكون بينهما ما يماسانه.

* ما علم الله تعالى وقوعه فهو واجب المطابقة لعلمه لا واجب الصدور عنه، لأنه تعالى عالم بما سيوجده وليس بمجبور. كما أن المعدومات مطابقة لعلمه، لأنه تعالى يعلمها معدومة وهي كذلك.

*** الكلام:**

وإن كان صفة قديمة للباري عزَّ وجل، لكن الأصوات والحروف الدالة على تلك الصفة هي ما نزل على الأنبياء بواسطة الملك»[1].

*** الحركة:**

ليست مستقيمة بل مستديرة، لأنها إن كانت مستقيمة طبيعية وجب أن تطلب جهة فتسكن فيها» «وأيضاً فإن كل قوة فإنما تحرك بتوسط الميل، والميل هو المعنى الذي يُحس في الجسم المتحرك... فهو غير الحركة وغير القوة المحركة لأن القوة المحركة تكون موجودة عند إتمامها الحركة، ولا يكون الميل موجوداً حينئذٍ لأنه انتهى.

---

(١) تلخيص المحصَّل المعروف بنقد المحصَّل ـ نصير الدين الطوسي.

* الحدس

* إن الحدس ليس مما يدفعه العقلاء . . . فإن جميع العلوم جاءت بالحدس، فهذا حَدَسَ شيئاً، وذلك الآخر تعلَّم ما حَدَسَ، وحَدَسَ شيئاً آخر حتى بلغ العلم مبلغه . . . والنفس القوية كل مسألة عليها جائز . . . فتبيَّن من هذا أنه لا يمتنع أن يوجد من أشخاص الناس من يحدس المعقولات كلها أو أكثرها في أقصر الأزمنة.

والحدس أعلى من البرهان لعدم الحاجة إلى مقدمات، وفيه تظهر قوة الذكاء. ومَن يكون مؤيَّد النفس بشدة الصفاء، والإتصال يكون أقوى حدساً، وهو ضرب من النبوة، بل أعلى قوى النبوة. والأولى أن تسمى هذه القوة قدسية، وهي أعلى مراتب القوى الإنسانية(١).

* إنَّ غاية الميتافيزيقا هي معرفة الصور الجوهرية للأشياء ومَن يقبض عليها، ويتقلدها روحاً، وتمثيلاً للحياة.

وعن طريق هذه البصيرة تُتصور جميع الأشياء كأنها صور ونقط روحية من النور الروحاني الذي وهبها ذكاءً ربَّانياً متفاوت الدرجات، وأنجاها من كل حدٍ، وتذمر، وأعطاها السعادة التي هي الخضوع لإرادة الله سبحانه وتعالى.

---

(١) المبدأ والمعاد ـ إبن سينا.

اللـه

قالوا في الله جلَّ وعلا :

«إنه كله عقل لا غير، عقل مقدَّس لا ينطبق عليه وصف، يومض في طيَّات العالم كله وميض الفكر الخاطف».

«ما أضعف وما أضيق القوة المودعة في أعضاء الإنسان، وما أكثر المصائب التي تثلم حد التفكير، وما أقصر الحياة التي يكدح فيها الناس والتي تنتهي بالموت. فإذا حلَّ بهم زالوا من الوجود وتلاشوا كما يتلاشى الدخان وصاروا هواء. يعرفون أن ما يحلمون به ليس إلا الصغائر التي عثر عليها كل واحدٍ منهم أثناء تجواله في هذا العالم. ومع هذا تراهم جميعاً يفخرون بأنهم عرفوا كل شيء. ألا ما أشد حمقهم وأكثر غرورهم! ذلك أنَّ هذا الكلي الذي يفخرون بمعرفته لم تره عين ولم تسمعه أُذُن، ولا يمكن أن يدركه عقل إنسان»(١).

* «وهاتان العمليتان المتبادلتان عملية التطور والإنحلال مستمرتان إلى أبد الدهر في كل جزء على حدة وفي الكل مجتمعاً، وتتنازع

---

(١) أنبادوقليس.

القوتان قوة الائتلاف وقوة التفرقة، قوة الحب وقوة الكره، قوة الخير وقوة الشر، وتوازنات في نظام عالمي شامل هو نظام الحياة والموت.

لن نستطيع قط أن تكوَّن فكرة صحيحة عن القوة الخالقة الأساسية».

* «إن من أبعد الأشياء أن تنظم الذرات نفسها بلا هادٍ يهديها ولو ظلت تفعل كذلك أبد الدهر، ثم ينشأ من هذا التنظيم عالمنا الذي نعيش فيه. وشأنها في ذلك شأن الحروف الهجائية فإن من أبعد الأشياء كذلك أن تتجمع هذه الحروف من تلقاء نفسها فينشأ من تجمعها «جوليات إنيوس».

* «. . . فأنا لا أدرك الله بحسي، ولكن أستدل عقلاً على أنه كما أنَّ في أفعالي الإرادية عقلاً هو السبب المدرِك للحركة، كذلك هناك على الأرجح عقل كوني وراء تحركات الكون. إنَّ الله لا يمكن معرفته، ولكني أشعر أنه تعالى موجود وفي كل مكان. وأرى غاية في مئات الحالات، من تكوين عيني إلى حركات النجوم، وينبغي ألا أفكر في أن أنسب إلى الصدفة تكييف الوسائل وفق الغايات في الكائنات الحية ونظام العالم، أكثر مما أنسب إلى الصدفة تجميع الحروف تجميعاً لذيذاً في طبع الإليَاذة. فإذا كان هناك إله ذكي وراء عجائب الكون، فمحال أنه سيسمح بأن يهزم الحق هزيمة دائمة. ولا بد لي من الإيمان بإلهٍ خير يؤكد انتصار الخير، ولو لأتحاشى ذلك الإيمان الكئيب بانتصار الشر. إذن يجب أن أؤمن بحياة أخرى، بجنة تُجزى فيها الفضيلة. ومع أن فكرة الجحيم تقززني، وأوثر عليها الإعتقاد بأن الأشرار يَصْلَوْنَ نار جهنم في قلوبهم، فإنني متقبل حتى تلك العقيدة

الرهيبة إذا اقتضاها ضبط الدوافع الشريرة في الإنسان. وفي تلك الحالة أتوسل إلى الله ألا يجعل آلام الجحيم خالدة. وهبنا عاجزين عن البرهان على وجود الجنة، فيا لها من قسوة أن ننتزع من الناس هذا الرجاء الذي يعزيهم في أحزانهم ويشد من عزائمهم. ولو انعدم الإيمان بالله وبالآخرة، لتعرضت الفضيلة للخطر وتجردت الحياة من معناها، لأن الحياة في الفلسفة الملحدة صدفة آلية تمر بمئات الآلام إلى موتٍ أليم أبدي»[1].

* **يقول الحكماء:**

إن من شاء أن يتنبأ بالمستقبل فعليه أن يرجع إلى الماضي، لأن الأحداث البشرية تشابه دائماً وأبداً أحداث الأزمنة الماضية. ومنشأ هذا التشابه أنها ثمرة أعمال خلائق كانوا، ولا يزالون، وسيكونون على الدوام، تحركهم نفس العواطف والإنفعالات، ولهذا فإن هذه العواطف والإنفعالات لا بد أن تكون النتائج نفسها.

«إن عقولنا لأضعف من أن تعلم حقيقة الله سبحانه، وهي عاجزة عن فهم الكون الذي اختلط فيه ما هو في الظاهر خير وشر، وعذاب وجمال، ودمار وسمو، ولكننا إذا كنا في حضرة أم تحنو على طفلها، أو عبقري يخلق من الفوضى نظاماً، ويُكسب المادة معنى، والصورة أو الفكرة نبلاً وعظمة، أحسسنا بأننا أقرب ما نستطيع أن نكون إلى الحياة، والعقل، والقانون الذي يتكون منه عقل العالم الذي لا يمكن أن تدركه العقول».

---

(١) جان جاك روسو.

«إنَّ من الضعف على نفوسهم أن تغض الطرف صابرة عما في الطبيعة من قسوة ووحشية تصيب الناس خبط عشواء، وما يحدث في تاريخ العالم من منازعات ومن إراقة للدماء، وما يصيبهم هم أنفسهم من محنٍ وبلايا وحرمان، إذا لم يؤمنوا بأن هذه كلها جزء من خطة إلهية مرسومة يعز عليهم فهمها وإدراك سرها. إنّ العالم إذا لم يكن له سبب أو مصير يُعرف حقاً أشبه بسجنٍ للعقول، فنحن نتوق إلى الإعتقاد بأن للمسرحية الكبرى شيئاً عادلاً وغاية سامية»[1].

هي ليست مسرحية كبرى، ولكنها خلافة كبرى لو قُدِّرت!

*** المعرفة:**

هي نتاج طبيعي للحواس الخارجية، وإذا كان العقل يستمد معلوماته من الخارج المحسوس فهو مقصور العلم على المحسوس.

أما عالم ما فوق الطبيعة، حيث الله جوهر الأشياء، فليس في مقدور الإنسان أن يعرف عنه شيئاً إلا من طريق الوحي والعقل. وبوسعنا من طريق فهمنا الطبيعي للأشياء في ضوء العلل أن ندرك أن الله موجود، وأنه واحد.

* كل الكائنات تتكون من مادة وصورة، أما صورة الله فهي في صورة الخَلْق والكون المتجليان فيه ـ كما يقول الفلاسفة المتألهون.

*** الجوهر والوجود:**

الجوهر والوجود مختلفان. الجوهر ما لا بد منه لإدراك الأشياء، والوجود هو عملية الكينونة، فجوهر المثلث ـ أي: أنه ثلاثة خطوط

---

(١) قصة الحضارة ـ وِل ديورانت.

مستقيمة تضم بينها فراغاً ـ واحد لا يتغير سواء وُجد المثلث أو كان مجرد إدراك ذهني. أمَّا الله فالجوهر والوجود واحد، لأن جوهره هو أنه العلة الأولى والقدرة التي تقوم عليها الأشياء.

*** العودة إلى الله:**

النفوس البشرية منحة من الله، فهي لا تستريح إلا بعودتها إليه، إذ هو مصدرها، وهكذا يكون لا بد من دورة الخلق هذه والعود، وهي دورة مقدَّسة لازمة وإن خشيها الإنسان.

يقول أفلاطون: إنَّ الحكَّام المستبدين ينبتون من مغالاة الناس في التحلل من القيود تحللاً يسميه الناس حرية، كما ينبت النبات من الجذور. . . وإنَّ هذه الحرية تهوي بالأمة آخر الأمر إلى درك الإستعباد. . إنَّ كل شيء يزيد على حده ينقلب إلى ضده. . . وذلك لأن العامة التي ليس لها حاكم يسيطر عليها تختار من بينها في العادة زعيماً يقودها. ولمَّا كان هذا الرجل يخشى أشد الخشية أن يظل فرداً كغيره من الأفراد فإنهم يخلعون عليه حماية المنصب العام، ويحدِّدون له هذه الحماية على الدوام، فيحيط نفسه بحرس مطيع، وينتهي به الأمر إلى أن يصبح طاغية يستبد بالشعب الذي حباه القوة والسلطان.

وهذا صحيح، وقلما ينجو منه حاكم أو رئيس أو سلطان.

وهل تتعلم الشعوب من هذا يا ترى!

كلام أفلاطون قديم!

رؤية الله تعالى

ذهب الأشاعرة وتبعهم العامة إلى جواز رؤية الله تعالى يوم القيامة، مستندين في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ حيث جعلوها من الآيات المحكمات. كما استندوا في ذلك إلى الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ، التي منها ما ورد في صحيح البخاري صريحاً في هذا المعنى حيث جاء فيه قول الرسول ﷺ: «إنكم سترون ربكم عِياناً»، وأن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فأجابهم بأنهم سيرونه كما يرون القمر الآن ليلة البدر، والشمس ليس دونها سحاب».

وهو يختلف تماماً عن الرأي الذي ذهب إليه المشبِّهة من الحنابلة الذين قالوا بجواز رؤية الله لا في الآخرة فحسب بل في الدنيا أيضاً، مستوحين ذلك من ظاهر الآيات، والأحاديث الخاصة برؤية الله تعالى.

وأنكر الإمامية والمعتزلة ذلك، واعتبروه مستحيلاً، مستدلين بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾: وبيّنوا ذلك بأنه تعالى تمدَّح بنفي الإدراك ـ الذي هو رؤية البصر ـ عن

نفسه لسببٍ يرجع إلى ذاته، حيث إن ثبوت الرؤية له نقص وذم ولولا ذلك لما وقع النفي.

وأما آية: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ التي هي عماد استدلال الأشاعرة، فإن السيِّد المرتضى ﷺ من علماء الإمامية لا يرى فيها دلالة على جواز رؤية الله تعالى، إذ يذهب إلى أن المراد منها أن وجوه المؤمنين يوم القيامة ناعمة تنتظر عطف الله ورحمته في تلك الساعة الشديدة التي تهلع فيها النفوس. كما يستدل هذا العالم الأديب، بقوله تعالى:

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾.

ويزيد السيِّد المرتضى: بأن هذا التأويل تُقَوِّيهِ، وتشهد بصحته آيات أخرى، ومن هذه الآيات: قوله تعالى:

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ﴾[1]. وقوله تعالى:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾[2].

وقوله تعالى:

﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٥٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٥٥.

شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾[1].

يفيد استحالة الرؤية من خلال استحالة الرؤية بالتكليم حين أرادوها فأخذتم الرجفة (الحركة الشديدة) ثم كان هلاك جماعة منهم حين طلبوا الرؤية من موسى عليه السلام ولم يحذروا إنذار الرجفة، فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾[2].

بقيت آية:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾[3].

في هذه الآية نرى: أن الله ـ تعالى ـ يذكر أن صلته بالمصطفين من خلقه تكون على ثلاث حالات، أما الرابعة: وهي الإختصاص بالتكليم التي يُرى الله من خلالها، فقد نفاها القرآن الكريم بذكر الحالات الثلاثة فقط.

والنتيجة أن رؤية الله ـ سبحانه ـ مستحيلة.

وهذا، مضافاً إلى نفي جواز رؤية الله في الدنيا والآخرة، فمن غير المعقول أن يُرى شيىء بالعين إلا إذا كان في جهةٍ أو مكانٍ كالأجسام والهيئات. وهذا محال على الله تعالى أيضاً لأنه ليس بجسم ولا هيئة.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٥٥.
(٣) سورة الشورى، الآية: ٥١.

* **التأويل والتفسير:**

مثل قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾[1] فإن أُريد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيراً وإن أُريد به إخراج المؤمن من الكافر، أو العالم من الجاهل، كان تأويلاً. والتأويل في الأصل معناه: الشرح والتفسير إلا أنه تطور مع الزمن إلى اصطلاح عند أهل الكلام والمتكلمين.

ويتفق القرطبي مع الراغب في معنى التأويل، فقد فسَّر قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[2]: بالمقصود من آيات القرآن، أي: لا يعلم المقصود من آياته إلا الله. وذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾[3]: أنَّ المقصود بالتأويل: إمَّا ما وعد الله به في كتابه من العقاب والحساب، أو جزاء تكذيب الكافرين بما جاء في الكتاب، أو العاقبة التي تنتظر الناس في اليوم الآخر.

* علمه تعالى بالأسباب أو الجزئيات وما يتأدى عنها كأسباب، يقتضي كونه مدركاً لأمور الجزئية من حيث هي كلية ـ كما عند إبن سينا. فهو تعالى يدرك المخلوقات على شكلٍ كلي ينطبق في الخارج على الجزئيات، إدراكاً محضاً لا يحتاج إلى آلة جسمية، ولا يقترن بالزمان، لأنه متغير، فإذا اقترن به الإدراك أدَّى إلى تغيّر المدرِك بتغير المدرَك.

---

(١) سورة الروم، الآية: ١٩.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٣.

*** إبن سينا وصفات القدرة، والسمع، والبصر، والكلام.**

١ ـ القدرة: وهي عبارة عن أن ذاته مبدأ لفيضان الوجود عنه.

٢ ـ السمع والبصر: أي: إنه تعالى عالم بالمسموعات، والمبصَرَات.

٣ ـ الكلام: وهو علمه تعالى الفائض على قلب النبي بواسطة القلم النقاش الذي يُعبَّر عنه بالعقل الفعَّال، والملك المقرّب.

ويُرجع «إبن سينا» صفات الله تعالى التي ذكرها القرآن الكريم إلى صفة العلم حتى لا يتنافى مع الوحدانية، والبساطة، وعدم التركب.

الإضلال والهداية

هل يمكن أن يضل الله تعالى مَن يريد إضلاله من الناس، وأن يهدي منهم مَن يريد، حسب مشيئته ورغبته؟

يرى الأشاعرة: أنَّ الله تعالى هو الذي خلق الضلالة والهدى في نفس الإنسان. مستندين في ذلك إلى بعض الآيات الكريمة التي منها:

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾[1].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾[2].

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾[3].

فالتزيين والصَّدُّ والضلال من الله جلَّ وعلا.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٩.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٤.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٣٣.

وكذلك قوله تعالى:

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾[1].

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[2].

فالله يخلق الغفلة في قلوب من يشاء.

وفي المقابل يرى الإمامية الإثنا عشرية، والمعتزلة: أنَّ الله تعالى لا يمكن أن يضل عن الدين بخلق الكفر في نفوسهم وإرادته، بل الممكن هو أن يُضِلَّ من استحق الضلال بكفره وفسقه. وقد نص الله تعالى على ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ﴾[4] ثم بيّن ـ سبحانه ـ كيف حقّ ذلك؛ فقال في إثر هذا:

﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[5].

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٨.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٣٠.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ٣٠.

وعلى هذا الوجه قال تعالى أيضاً:

﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1] فخصَّهم بذلك لظلمهم.

وقال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾[2].

أي: لأجل إيمانهم وعملهم الصالح.

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾[3].

ثم إن من تمام عدل الله سبحانه أن يرعى لعباده ما هو أصلح لهم، وإلا لما كان رحيماً، ولا عادلاً. فهو خبير لطيف بهم.

وفي قوله تعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

يُحمل الإضلال على حرمانه اللطف، وإذا حرم الله اللطف أحداً من خلقه فلاستحقاقه ذلك، كما تحمل الهداية على منحه هذا اللطف.

فيعود الدور إلى الإنسان باكتسابه لهذا اللطف وحرمانه منه.

وفي آية: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ إشارة إلى أن الله تعالى عندما يترك الضال على ضلاله، ولا يتعرض له بمنحه لطف الهداية صار كأنه أضلّه، ولما أعان المهتدي باللطف صار كأنه هو الذي هداه.

وتكون النتيجة أن الله ليس هو الهادي أو المضلّ مباشرة بل الهدى والضلال حالتان يخلقهما العبد لنفسه إذا أعانه الله باللطف، لانقياده وطيب نفسه، أو خذله وحرمانه منه لعدم انقياده، وخُبث سريرته.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

(٢) سورة يونس، الآية: ٩.

(٣) سورة غافر، الآية: ٣٤.

وفي آية ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ إشارة واضحة إلى أن الله لا يهدي مَنْ هو مسرف في عصيانه مرتاب شاك في دينه، لأن مَن به هذه الصفة لا يمنحه الله سبحانه لطف الهداية.

*** الحسن والقبح:**

أنكر الأشاعرة قدرة العقل على تمييز الحسن من الأفعال عن قبيحها حتى في أوضح الأفعال حسناً أو قبحاً. فالعقل لا يملك القدرة على تمييز العدل من الظلم، وإنما صار الأول حسناً والثاني قبيحاً بالبيان الشرعي. ولو جاء الشرع يستحسن الظلم ويستقبح العدل لم يكن للعقل أيّ حق في الإعتراض على ذلك.

ولكن هل يمكن أن يتنافى حكم العقل مع البديهيات أقلّه مع الشرع؟

وما هو دور العقل في الإنسان إذن؟

*** البداء:**

تقسيم القضاء إلى محتوم وموقوف مأخوذ من روايات أهل البيت عليهم السلام. والقضاء الموقوف هو الذي يقع فيه البداء لآية ﴿يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ (٣٩)﴾، الواردة في سياق آية القضاء.

والقضاء الذي يصدر منه البداء هو القضاء الذي استأثر به الله تعالى ولم يطلع عليه أحداً من خلقه، كما دلّت عليه روايات أهل البيت عليهم السلام. وهذا علمه المخزون الذي لا يعلمه أحد إلا هو، منه البداء، أمّا العلم الآخر الذي علّمه ملائكته ورسله وأنبياءه، ويعلمه الأئمة والأولياء وحياً أو إلهاماً فهو غير البداء.

وهذا القضاء أو العلم البَدائي هو ما سمَّته الآية الكريمة بـ ﴿أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

*** الكلام بالنسبة لله تعالى:**

التكلم صفة فعل لا صفة ذات، كالخلق والرزق.

«... إنما كلامه سبحانه، فعل منه أنشأه ومثَّله...». أمير المؤمنين عليه السلام.

وعند الأشاعرة الكلام: معنى نفسي قائم بالذات.

وهذا لا يمكن تصوره.

*** خَلْقُ القرآن:**

القرآن أزلي غير مخلوق، وعليه إجماع السلف.

مخلوق حادث (الإمامية). وهو ما بين الدفتين.

*** الإتحاد والحلول:**

يقول العلويون النُّصيريون: إن الله اتحد بعلي وهو كفر، والشيعة منه براء. ويقول الصوفيون:

ـ إن الله اتحد بالعارفين به، وهو كفر أيضاً.

أنا مَن أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

الحلاّج

*** علم الله الأزلي:**

قالوا: إذا كان علم الله يشمل كل شيء فهو يرى المستقبل بكل ما فيه، فما سيقع مسبوق بعلمه فيه، فيحتم وقوعه وفقاً لعلمه، فهو مقرر إذن

من قبل، فلا يكون الإنسان مختاراً في عمله لأنه سيعمل وفق علمه تعالى.

فأجابوا: لكن الله سبحانه متصف بالخير وقادر عليه، ويستحيل أن يخلق الشر في الإنسان بأن يفعله الإنسان قسراً عليه لأنه يكون منافياً لحرية الإرادة المخلوقة فيه. والتمكين منه كالتمكين من الخير بلا فارق ـ كما هو واضح. وهذا ليس جبراً.

وفعل الشر والسوء من عند نفس الإنسان كفعل، وأمَّا الشر البلاء فمن عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ وهو الشر المأجور عليه.

قال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[1] والمراد بالسيئة هنا: فعل السوء والشر.

أمّا قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[2]. فالمصيبة هنا: البلاء.

وكذا قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾.

وتأتي المصيبة أيضاً بمعنى العذاب. وهو قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾[3].

* الشر:

الشر ـ كما يقول الشيخ الرئيس إبن سينا ـ في أشخاص الموجودات قليل، ومع ذلك فإن الشر في الأشياء ضرورة تابعة للحاجة إلى الخير...».

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٩

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٢.

فالنار مثلاً، وجود فيه شر وأذى لكنه ضرورة تابعة لتحقيق جهة الخير منه، كالتدفئة، والضوء، وصنع الطعام ونحو ذلك من فوائد أخرى.

«. . . فإن لم تكن الثواني لم تكن الأوائل، فالكل إنما رُتِّبت فيه القوى الفعَّالة والمنفعلة السماوية والأرضية، الطبيعية والنفسانية بحيث تؤدي إلى النظام الكلي مع استحالة أن تكون هي على ما هي عليه ولا تؤدي إلى شرور»[1].

فالإختلاف والتصارع أو التضاد إنما يسير نحو التكامل.

*** ابو الحسن الأشعري:**

ظل أبو الحسن الأشعري (٨٧٣ ـ ٩٣٥) يعلم الناس مبادىء المعتزلة نحو عشر سنين في البصرة، ولكنه انقلب عليهم حين بلغ الأربعين، وهاجمهم بسلاحهم وهو سلاح العقل والمنطق، وسلَّط عليهم سيلاً جارفاً من الجدل المنتصر لعقائد السنَّة. وقد آمن أبو الحسن ـ الذي تنتمي إليه فرقة الأشاعرة ـ إيماناً قوياً بالجبرية، فقال: إنَّ الله قدَّر منذ الأزل على كل عملٍ وكل حادث، وأنه علتها كلها، وأنه يعلو على القوانين، والأخلاق، وأنه يُصرِّف شؤون خلقه كما يشاء، فإذا بعث بهم جميعاً إلى النار فليس في ذلك خطأ قط. . .

وهل يجوز عليه ذلك جلَّ وعلا؟

وأين حكمته وعدله وإن كان سبحانه قادراً مختاراً؟

---

(١) الشفاء ـ الإلهيات.

الوعد والوعيد

* وقع الخلاف بين المتكلمين في «الوعد والوعيد».

فمذهب الأشاعرة[1]: أن ما وعد الله تعالى به من الثواب وما توعّد به من العقاب، لا مانع من أن يتغير بأن يعاقب المؤمنين ويغفر للكافرين بحيث يفعل ما يشاء، ولا يجب عليه ثواب ولا عقاب سواء للمؤمنين أم للكافرين. ويذكر الغزالي: «أن الله تعالى لا يُبالي لو غفر لجميع الكافرين، وعاقب جميع المؤمنين، ولا يستحيل ذلك في نفسه، ولا ينقض صفة من صفات الألوهية»[2].

أما مذهب الإمامية والمعتزلة[3] معهم، فثواب المطيع وعقاب العاصي بلا توبة صحيحة منه، واجبان على الله تعالى، وإلا لما كان

(١) أتباع متكلم الأشاعرة أبو الحسن الأشعري الذي كان معتزلياً ثم انقلب، واليوم يتبنّى آراءه أكثر علماء العامة في العقيدة والكلام.

(٢) إحياء علوم الدين ـ الغزالي.

(٣) الإمامية: هم الشيعة القائلون بالأئمة الإثني عشر بعد النبي ﷺ. والمعتزلة: سُمُّوا بالمعتزلة لاعتزالهم وتركهم أيَّ مبدأ يخالف العقل. ويقولون: بأن الشريعة لا يمكن أن تتنافى مع العقل. ولذلك قالوا: بأحقية علي ؑ بالخلافة حكماً عقلياً كونه أعلم الصحابة وأكفأهم.

عادلاً. ولكان ما أخبر به تعالى من هذا الثواب أو العقاب كذباً، والكذب في خبر الله محال بلا إشكال لدى جميع المتكلمين.

واستدل الأشاعرة ومَن تبعهم لمذهبهم من القرآن بآيات كثيرة، منها: قوله تعالى:

﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾[1].

إذ استفادوا منها: أن صَرف العذاب يوم القيامة يكون برحمة الله لا بعمل الإنسان الخيّر، لذلك لا يحسن أن يقال: رَحِمَه، إذا كان بسبب عمل الخير والطاعة.

ومثل هذا آية أخرى:

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾[2].

حيث قالوا: إنَّ الجنَّة لو كانت جزاءً مستحقاً لهم على أعمالهم، لما كان الأمر بحاجة إلى أن يعدهم الله بها، فإن ما يجب للإنسان من جزاء إنما يناله من غير أنَّ يتقدم له أحد بالوعد به.

وذكر الإمامية وكذلك المعتزلة سنداً لمبدأهم، وهو قوله تعالى:

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[3].

أي: إنَّ تعذيب ما لا يستحق العذاب ظلم. كما أن المطيع يجب أن يثاب.

وأصرح من هذا قوله تعالى في موضعٍ آخر:

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ١٥.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٤٦.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٧﴾[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ٤٠﴾[2].

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ١٦١﴾[3].

وهذا دليل على أنه لو نقص من الأجر شيء أو زاد في العقاب شيء لكان ظلماً، والله تعالى لا يفعل الظلم، لا لأن ذلك مستحيل على قدرته، بل لأنه مستحيل على حكمته وعدله.

والآيات التي يستدل بها الأشاعرة ومَن تبعهم على مذهبهم، لا تدل في رأي الإمامية والمعتزلة عليه، بل هي على مذهبهما أدلُّ؛ ذلك أنَّ الوعد للمتقين بجنة الخلد مُشعِرٌ بالعِلِّيَّة، وكذلك كلمة «جزاء» في قوله تعالى عن جهنم: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ١٥﴾[4]. أما الوعد بمحض التفضّل من الله ـ سبحانه ـ فلا يسمى مطلقاً جزاءً. هذا من ناحية.

أما من الناحية الأخرى: فهي أن الآيات التي تضمنت الوعيد على المعصية. فيرى الإمامية أنَّ عقاب العاصي من غير توبة صحيحة واجب على الله تعالى لأنه أخبر بذلك.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٧.
(٢) سورة النساء، الآية: ٤٠.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦١.
(٤) سورة الفرقان، الآية: ١٥.

قال تعالى:

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ١٤﴾[1].

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ٩٣﴾[2].

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٩٠﴾[3].

وأمثالها كثير في القرآن.

هذه خلاصة المعركة.

*** التقمص او تناسخ الأرواح:**

لا أساس للنظرية المعروفة بالتقمص أو التناسخ الذي يراد به انتقال النفس الإنسانية من بدنٍ إلى آخر أو إلى بدنٍ حيواني أو نباتي كما هو مأثور عن الهنود، والفيثاغوريين، وأفلاطون بحجة التطهير من أدران الشر، وذلك لأنه:

أولاً: لا دليل على أن المعاصي يجب أن يُكفر عنها في هذه الحياة.

وثانياً: لا شهادة بحسب الوجدان على أننا قد مررنا بحيوات سابقة.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٣.

(٣) سورة النمل، الآية: ٩٠.

وثالثاً: تفاوت استعدادت البشر التي يلزم منها تفاوت النفوس.

ورابعاً: إنَّ النفس بنشأتها تخرج من القوة إلى الفعل التي هي مرحلة الإكتمال، وما اكتمل لا يمكن أن يعود إلى الوراء إلى القوة والإمكان ليحل ويتطور من جديد.

أما كيف تعيش النفس في عالم الخلود قبل البعث؟

فيمكن أن يقال:

إن النفس يُفاض عليها ما تعقله في عالمها، خيراً بخير تنتعش به، أو شرّاً بشرٌ تتألم به.

يضاف إلى ما تقدَّم: أن يقال ـ كما في رواية عن الإمام الصادقعليه السلام حين سُئل عن التناسخ فقال: **«مَن نسخ الأول؟»**.

أي: من أين أتى نَسْخُهُ حتى يكون منسوخاً فيوجد؟

واستدل على خلود النفس:

أولاً: بكونها جوهراً مستقلاً عن البدن بذاتها، وحدوثها لا يلزم منه بطلانها لبطلان الحادث معها (البدن) إذ لا تلازم بينهما.

وثانياً: كونها جوهراً بسيطاً غير مركب لأن الأشياء التي تقبل الفساد والبطلان هي الأشياء المركبة المادية التي تسير من طور القوة إلى الفعل والكمال.

ثالثاً: بما يراه الإنسان في المنام الدال على جوهرية النفس واستقلالها عن البدن[١].

---

(١) المبدأ والمعاد ـ إبن سينا.

النفس الإنسانية
الروح

إن النفس الإنسانية (الروح) بطبيعتها بسيطة غير مركبة من أجزاء يمكن أن ينفصل بعضها عن بعض. لذا فهي روحانية، وهذه الروحانية بَادِية في التفكُّر التعقل، والتذكر، التي هي من أفعال النفس الروحية. ولخلود النفس أدلّة منها :ـ

١ ـ عدم ماديتها لكونها لا تفنى بعد الجسد.

٢ ـ الميل الطبيعي في الإنسان إلى البقاء والخلود، والإحساس بأن الإنتهاء لا يمكن أن يكون عبثاً. فالنفس الإنسانية تطمح بطبيعتها إلى خيِّرات لا تزول، وتنفر دائماً من الموت الذي هو صورة أخرى من حب الميل نحو البقاء.

٣ ـ عدم وجود الجزاءات على أفعال البشر، لا من جهة الطبيعة فإنها غير خالقة ولا مميّزة حتى تجازي وتكافىء، ولا من جهة المجتمع، فهو لا يتناول سوى الأفعال الظاهرة دون الخفية، وفيه الخداع والكذب، ولا من جهة الضمير الذي يحاسب بلا جزاء.

وما أكثر ما يشقى الصالح وينعم الطالح! فلا بد من حياة أخرى

تتحقق فيها العدالة التامة، ولولا ذلك لما كان لأصل وجود القيم المعنوية ـ بخيرها وشرها ـ في النفس البشرية أي معنى.

*** إلى أين تصير نفس الإنسان أو روحه:**

يجب الإعتراف أولاً: بأن المفارقة بين الجسد والروح، مفارقة قسرية فالموت حادث قسري والبعث أمر ضروري للمحاسبة.

والبعث معلوم لنا بالوحي، وأنه بإرادة الله وقدرته، وقبل البعث هي موجودة في عالم يسمى البرزخ ـ كما هو صريح القرآن ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[1].

والبعث لا ينافي طبيعة النفس حتى يستحيل رجوعها إلى البدن، بل على العكس يلائمها لأنها كانت معه سابقاً.

*** النفس:**

* النفس جوهر والبدن عرض، والنوم أخو الموت، فإذا كانت النفس كاملة بالعلم، والحكمة، والعمل الصالح، وتخلَّت عن الجسم، انجذبت إلى الأنوار الإلهية، أنوار الملائكة ونور الملأ الأعلى، انجذاب الإبرة للمغناطيس، ونوديت:

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾[2].

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٠.
(٢) سورة الفجر، الآية: ٢٧ ـ ٣٠ عن المبدأ والمعاد لإبن سينا.

* **موتُ الأنفس**

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾[1].

الأنفس: الأروح المتعلق بالأبدان، وموتها: موت أبدانها، بمنامها: موت أبدانها في المنام. والتي لم تمت في منامها: أي ويتوفى الأنفس التي لم تمت في وقت نومها.

ثم فصَّل تعالى القول في الأنفس المتوفاة وقت النوم: ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ ـ أي: النفس التي قضى عليها الموت ولا يردها إلى بدنها، ويترك النفس التي لم يقضِ عليها الموت إلى أجل موتها.

ويستفاد من الآية:

١ ـ أن النفس موجود مغاير للبدن بحيث تفارقه وتستقل عنه.

٢ ـ أن الموت والنوم كلاهما توف والنوم توفٍ ربما كان بعده إرسال.

وروى العياشي في «المجمع» بالإسناد عن الحسن بن محبوب عن عمرو بن ثابت عن أبي المقدام عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما من أحدٍ ينام إلا عرجت نفسه إلى السماء وبقيت روحه في بدنه وصار بينهما سبب كشعاع الشمس فإن أذن الله في قبض الأرواح أجابت الروح النفس، وإن أذن الله في ردّ الروح أجابت النفس الروح. وهو

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

قوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

فما تراه النفس عند الإمساك في عالم السماء الملكوتي (عالم المثال الأعظم) فهو رؤيا صادقة، وما تراه وهي نازلة من السماء مرسَلة إلى البدن، فهو رؤيا كاذبة، لما تلقيه الشياطين فيها، فيما بين السماء والأرض، وهو عالم المثال الأصغر.

*** ملك الموت:**

روى في «الفقيه»: أنه سُئل الصادق عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلّ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ وعن ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ وعن ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ وعن ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ وعن ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ وقد يموت في الدنيا في الساعة الواحدة في جميع الآفاق ما لا يحصيه إلا الله عزَّ وجلّ، فكيف هذا؟ فقال عليه السلام:

إن الله تبارك وتعالى جعل لملك الموت أعواناً من الملائكة يقبضون الأرواح بمنزلة صاحب الشرطة له أعوان من الإنس يبعثهم في حوائجه فيتوفاهم الملائكة، ويتوفاهم ملك الموت من الملائكة مع ما يقبض هو، ويتوفاها الله تعالى من ملك الموت.

وعلى أي حال.. فلن تصل الضيوف متأخرة إلى منازلها، وعندما تحين ساعتها فلن تطول رحلتها إلى السماء، وعرايا جئنا وعرايا نخرج.

* **خسارة النفس:**

روى أهل التفسير أن قوله تعالى:

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾[1].

نزلت في ثعلبة بن حاطب وكان من الأنصار فقال للنبيﷺ أدعُ الله أن يرزقني مالاً؛ فقال: يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه، أمَا لكَ في رسول الله أسوة حسنة؟ والذي نفسي بيده لو أردتُ أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت. ثم أتاه بعد ذلك، فقال: يا رسول الله! أدعُ الله يرزقني مالاً والذي بعثك بالحق، لئن رزقني الله مالاً لأعطينَّ كل ذي حق حقه، فقالﷺ: اللهمَّ ارزق ثعلبة مالاً، فاتَّخذَ غنماً فنمت كما ينمو الدود، فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل وادياً من أوديتها ثم كثرت نمواً حتى تباعد من المدينة فاشتغل بذلك عن الجمعة، وجاء إليه المُصَّدق (جابي الصدقات) ليأخذ الصدقة، فأبى وبخل، وقال: ما هذه إلا أخت الجزية؛ فقال رسول اللهﷺ: يا ويحَ ثعلبة! يا ويحَ ثعلبة!

وهي كلمة إشفاق يراد بها التوبيخ على الخطأ، والخطأ هنا ليس كأي خطأ، وإنما هو خطأ فيه هلاك النفس وخسارتها.

---

(١) سورة التوبة، الآيات: ٧٥-٧٧

الفصل السابع

في شرح وتأويل الشمس والقمر والنجوم والكواكب في المنام

التسمية والإشتقاق

١ ـ الشمس:

تسمى الشرق: يقال: آتيك كلَّ يومٍ طلع شرقه. ويقال: طلع الشرق، ولا يقال: غاب الشرق. والغزالة من أسماء الشمس عند الطلوع أيضاً، يقال: طلعت الغزالة.

والجونة: الشمس كذلك، وذلك لأنها تَسْوَدُّ عند المغيب.

ويقال لها: العين، والسراج أيضاً.

٢ ـ القمر:

ويسمى الزبرقان. وبه سُمِّي الرجل، ويقال له أيضاً السَّاهور.

٣ ـ المشتري:

ويقال له البرجيس.

٤ ـ المريخ:

يقال له بهرام، والمريخ وزحل عربيان.

وقد جاء في شعر العرب أيضاً: الزُّهرة، وعطارد، والمشتري وكلها عربية.

*** اشتقاق الكواكب والنجوم في لغة العرب:**

١ ـ النجم:

اشتقاقه من النجوم وهو الظهور، ومنه: نجم النبت إذا ظهر وعلا على الأرض.

٢ ـ زُحل:

من التزحل، وهو بطء الحركة.

٣ ـ المشتري:

من الشراء وهو الوضوح والظهور لضياء لونه وصفائه.

٤ ـ المريخ:

من المرخ ـ وهو اللين والإسترخاء.

لونه فيه اضطراب ولين في رأي العين ـ كذا قيل. والإكتشافات العلمية أثبت دليلاً ووضوحاً.

٥ ـ الشمس:

من الشماس. وهو الإمتناع، وذلك لقوة ضوء الشمس المانع للأبصار من تمكن النظر إليها.

٦ ـ الزهرة:

من الإزهار، وهو الإشراق والإنارة، ومنه: أزهر الصبح، أي: أنار وأشرق.

٧ ـ عطارد:

من العطردة، وهي السرعة والخفة.

٨ ـ القمرة:

من القمرة، وهي شدة البياض، ومنه: لون أقمر إذا كان أبيضَ شديد البياض.

*** في تاويل رؤيا الأجرام العلوية في المنام:**

*** الشمس:**

تدل على السلطان فمن رأى الشمس على أحوالها الطبيعية من الضياء والنور دلَّ على انتظام أموره وصلاح معاشه، ومن كان في غمٍّ أو حيرة ورأى أن الشمس طالعة والعالم مستنير بنورها زال عنه الغم والتحير. وكذلك إذا رآها من يرجو شيئاً، نال ما يرجوه ويؤمله.

وكما أن طلوع الشمس جيد فغروبها رديء.

وكان رجل أرمد العين فرأى في المنام أن الشمس غابت، فعُمي بصره، لأن الشمس في العالم بمنزلة العين في الجسد ـ كذا عُبِّر.

ولذلك مَن رأى الشمس على لونٍ غير لونها من السواد، والحمرة، والعتمة دلَّ على الفساد والشر.

وكثرة الشموس في النوم رديء لأن كثرة الرؤساء تفسد النظام.

*** القمر:**

يدل على امرأة عظيمة القدر ويدل على السفر أيضاً لسرعة سيره.

وكل ما تدل عليه الشمس يدل عليه القمر أيضاً إلا أن ما يدل عليه القمر أقل وأنقص مما تدل عليه الشمس. ويكون ذلك الأمر الذي دلَّ عليه القمر من جهة النساء.

وقالت العرب: الشمس تدل على السلطان الأعظم، فمن رأى أنه قرب من الشمس أو أخذ منها شعاعاً ونوراً دلَّ على قربه من السلطان ونال منه مرتبة ودرجة رفيعة.

والقمر يدل أيضاً على وزير السلطان. والهلال على ولد مبارك، أو ولاية جليلة أو ربح في تجارة.

وكبار الكواكب تدل على الرؤساء، وصغارها تدل على العوام. والقمر إذا رؤي على الأرض دلّ على الزوجة، وإذا رؤي في السماء دلَّ على الوزير. ومن رأى القمر في بيته تزوج بامرأة كبيرة القدر.

وكثيراً ما تدل الشمس على الأب، والقمر على الأم. والكواكب على الأخوة خصوصاً إذا كانوا تحت ظل الوالدين. مثل رؤيا يوسف عليه السلام، فإن الشمس كانت أباه، والقمر أمه، والكواكب أخوته.

* **رؤيا السماء:**

من رأى أنه صعد إلى السماء، فإنه ينال رفعة. فإن رأى أنه دخل في السماء وغاب فيها فإنه يموت.

وطلوع الفجر لمن رآه نور وهداية، ورؤيا الليل ضلال وغُمة.

وكل ما رؤي في الشمس والقمر من حدوث كسوف أو خسوف فهو حوادث رديئة تحدث للحاكم أ وزيره، وباقي الكواكب تدل على الحوادث فيمن عرفت به. ومَنْ رأى الشمس استترت بالسحاب فإن الحاكم يعرض له مرض ويبرأ منه.

وكذلك في القمر وبقية الأفلاك، كل منها يدل على ما هو منسوب إليه من التفسير المتقدم .

واعلم: أن رؤيا المنام الصادقة لها شروط:

منها: صفاء النفس، وخلوصها لربها، وعدم التفكير الكثير بالشيء المرغوب فيه، وعدم التخمة بالأكل قبل النوم.

ووقت صدقها وتحققها في الغالب عند السَّحَر أو بعد الفجر قبل الشروق. كما هو المجرَّب:

وورد في بعض الروايات أن الرؤيا الصادقة تتحقق بعد ثلثي الليل إلا أن يكون جُنباً أو ينام على غير طهور، ولم يذكر الله عزَّ وجلّ.

وقد تصدق في نوم النهار لكن حدوثه قليل إلا لمَن كان شديد الإتصال مع ربه.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: الرؤيا على وجوه:

بشارة من الله للمؤمن، وتحذير من الشيطان، وأضغاث أحلام[1].

والله سبحانه وتعالى الأعلم بالصواب، وليس المنام إلا دليلاً على غيبه يختص به من عباده مَن يشاء.

---

(١) الفصول المهمة - ص٢٧٧، الحرُّ العاملي.

لعنة التاريخ

لمّا كانت العقيدة الدينية لازمة للحياة الأخلاقية اللازمة للحياة المدنية، كان من الحكمة قبول عقائد الدين. وإذا لم يكن بمقدورنا أن ندرك حقيقة الله فلا أقل من إدراك لطفه ومحبته. والشعب الذي يشقى بمعرفة ربه يشقى بحكامه، فترى ظلمهم، وظلم الأفراد بعضهم بعضاً. وترى لعنة التاريخ منصبّة. وفي الخطبة القاصعة لأمير المؤمنينعليه السلام :

«. . . وإنَّ عندكم الأمثال من بأس الله وقوارعه، وأيامه، ووقائعه، فلا تستبطئوا وعيده جهلاً بأخذه، وتهاوناً ببطشه، ويأساً من بأسه، فإنَّ الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين أيديكم، إلا لتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فلعن الله السفهاء لركوب المعاصي، والحُلماء لترك التناهي. . . ».

واللعن ليس ذمّاً دنيوياً ولا تعبيراً عن عقوبة الآخرة، ولا طرداً من رحمة الله سبحانه فحسب، بل هو أيضاً عدم الشمول للرعاية والعناية الإلهية في مسيرة الإنسانية، والتعرض للنكبات والمخاطر التي لا ينجو منها أهل السوء والتاركون للنهي أو التناهي فيما بينهم عن المنكر.

وكم من لعائنٍ تنزل بالأمم اليوم كما نشهد!

الفصل الثامن

تطور مدارس الفقه الشيعي عبر العصور

نبذة تاريخية

أهم مدارس الفقه الشيعي عبر العصور كانت:

١ ـ (مدرسة المدينة المنورة):

واستمرت إلى أواسط القرن الثاني (حياة الإمام الصادق عليه السلام).

٢ ـ (مدرسة الكوفة):

ظهرت من أواسط القرن الثاني (حياة الإمام الصادق عليه السلام) واستمرت إلى الربع الأول من القرن الرابع (الغيبة الكبرى).

٣ ـ (مدرسة قم والري):

ظهرت في الربع الأول من القرن الرابع واستمرت إلى النصف الأول من القرن الخامس (أيام المرتضى والطوسي).

٤ ـ (مدرسة بغداد):

وظهرت من النصف الأول للقرن الخامس إلى احتلال بغداد[١].

٥ ـ (مدرسة الحلة) وظهرت من احتلال بغداد، إلى عصر الشهيد الثاني.

---

(١) على يد الملوك التتار.

* **العصر الأول:**

وهو عصر الصحابة والتابعين من حين ظهور المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة، واستمر إلى عصر الإمام الصادقعليه السلام.

وكانت المدينة المنورة الوطن الأول لفقهاء الشيعة من الصحابة والتابعين، فكان من فقهاء الصحابة بعد الإمام أمير المؤمنين والحسنين عليهم الصلاة والسلام: إبن عباس، وأبو ذر الغفاري، وأبو رافع إبراهيم مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وغيرهم من الصحابة الأجلاًء.

وكانت المسماة بـ(الجامعة) ـ وهي من إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله بخط علي عليه السلام ـ تبلغ سبعين ذراعاً، وقد تواتر نقلها في أحاديث الأئمة عليهم السلام وأن فيها من الأحكام حتى أرش الخدش.

وكان علي بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله من خواص أمير المؤمنين عليه السلام. قال النجاشي: «وهو تابعي من خيار الشيعة، كانت له صحبة من أمير المؤمنين عليه السلام، وكان كاتباً له، وحفظ كثيراً، وجمع كتاباً في فنون الفقه كالوضوء، والصلاة، وسائر الأبواب. وكانوا يعظمون هذا الكتاب»[1].

وفي الكافي عن يحيى بن جرير، قال: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «كان سعيد بن المسيب، والقاسم بن محمد بن أبي بكر وأبو خالد الكابلي من ثقات علي بن الحسين عليه السلام».

وبلغ الإزدهار الفكري غايته في عهد الإمام الصادق عليه السلام.

وقال ابن حجر عن الإمام الصادق عليه السلام: «ونقل الناس عنه من

(١) رجال النجاشي، ص٥.

العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته في جميع البلدان، وروى عنه الأئمة الأكابر: كيحيى بن سعيد، وابن جريح، ومالك، والسفيانيين، وأبي حنيفة، وشعبة، وأيوب السختياني»[1].

ولم تتبلور المسائل الخلافية في الفقه بين الشيعة والسنة إلا في الكوفة على يد تلامذة الإمام الصادق عليه السلام، واستمرت إلى أيام أبي الحسن الرضا عليه السلام. فالإختلاف في القياس، والاستحسان، والرأي برز واضحاً وقتها، واتضحت نقاط الالتقاء والاختلاف بين المذاهب الفقهية الإسلامية.

وبما تقدم يمكننا أن نحدِّد ملامح هذا العصر بثلاثة أمور:

١ ـ قلة المدونات الحديثية.

٢ ـ عدم ظهور المسائل الخلافية.

٣ ـ عدم اتخاذ مقاييس للإجتهاد كالقياس، والإستحسان ونحوه.

*** العصر الثاني:**

في هذا العصر ـ عصر انتقال الفقه الشيعي من المدينة إلى الكوفة ـ بدأت حياة فقهية جديدة في الكوفة. وقد هاجر إليها وفود كثيرة من الصحابة، والتابعين، والفقهاء، وأعيان المسلمين من مختلف الأمصار.

وأورد ابن سعد في الطبقات ترجمة لـ(٨٥٠) تابعياً ممن سكن الكوفة[2].

---

(١) الصواعق المحرقة: ١٩٩.

(٢) طبقات ابن سعد: ٦.

واستمر بقاء الإمام الصادق عليه السلام في الكوفة مدة سنتين أيام العباس السفاح.

وقد عمل الإمام الصادق عليه السلام في هذه الفترة بالخصوص على نشر المذهب الشيعي لعدم وجود معارضة سياسية قوية له. فقد سقطت في هذه الفترة الدولة الأموية وظهرت الدولة العباسية.

وإثر هذا السقوط وهذا الظهور اغتنم الإمام الصادق عليه السلام الفرصة لنشر فكر وفقه مدرسته.

وكان من بين أصحاب الإمام الصادق عليه السلام من فقهاء الكوفة: زرارة، وأبان بن تغلب بن رباح الكوفي، ومحمد بن مسلم الكوفي، بالإضافة إلى البيوتات العلمية الكوفية التي اشتهرت بالفقه والحديث، كبيت آل أعْيُن، وبيت بني دَرَّاج وغيرهم من البيوتات العلمية الكوفية الأخرى.

وقد أدى كلُّ هذا إلى أن يأخذ النظام العباسي الحاكم حذره منه.

ومهما يكن من أمر فقد ازدهرت مدرسة الكوفة على يد الإمام الصادق عليه السلام وتلاميذه ازدهاراً قوياً.

ولم يتمركز فقهاء الشيعة كلهم بعد ذلك في الكوفة، إلا أن الكوفة ظلت هي المنطلق في العصر الثاني هذا من عصور تأريخ الفقه الشيعي. ورغم العقبات الكبرى التي اصطدم بها فقهاء الشيعة ورواة الحديث من ضغط الجهاز الحاكم، فقد قطعت الدراسة الفقهية الشيعية وتدوين الحديث شوطاً كبيراً، وتركت لنا هذا التراث التشريعي الضخم

الذي نراه اليوم في كتب الشيخ المفيد، والطوسي، والكليني، والحرّ العاملي، والمجلسي وغيرهم من أجلاء المحدثين.

وصنف قدماء الشيعة المعاصرون للأئمة عليهم السلام في الأحاديث المروية من طرق أهل البيت عليهم السلام مئات الكتب التي احتضنت آلاف الأحاديث.

ومن بين هذه الكتب التي امتازت عن غيرها: الكتب التي اشتهرت بـ(الأصول الأربعمائة).

وقد بقي كثير من هذه الأصول الأربعمائة رغم فقد الكثير منها. وعلى أيِّ حال فقد توسعت في هذه الفترة دائرة رواية الحديث وتدوينه، وازدهرت بما لا مثيل له في أيّ عصرٍ آخر.

وظاهرة التدوين ظهرت في أيام الإمام الباقر عليه السلام ونمت في أيام الإمام الصادق عليه السلام.

روى الشيخ الحر في وسائله بسنده عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «اكتبوا فإنكم لا تحفظون حتى تكتبوا»[1].

وروى أيضاً بسنده عن عبيد بن زرارة، قال: احتفظوا بكتبكم فإنكم سوف تحتاجون إليها[2].

وإن صادف أن المدرسة انتقلت من الكوفة إلى بغداد أو إلى طوس في هذه الفترة فقد كان لفترة قصيرة.

---

(١) الوسائل كتاب الشهادات ـ الباب الثامن ـ ص٢٣٦، ح٦.
(٢) الوسائل كتاب الشهادات ـ الباب الثامن ـ ص٢٣٦، ح٧.

* **العصر الثالث:**

ويبتدىء هذا العصر من الربع الأول من القرن الرابع إلى النصف الأول من القرن الخامس.

في هذه الفترة انتقلت حركة التدريس والكتابة إلى مدينتي (قم) و(الري)، وظهر في هذه الفترة مشايخ كبار من أساتذة الفقه الشيعي في مدينتي (قم) و(الري) كان لهم أكبر الأثر في تطوير الفقه الشيعي، فقد كانت (قم) مدينة كبيرة من أمهات المدن الشيعية وقلاعها.

وكانت (الري) بلدة عامرة بالمدارس، والمكتبات والفقهاء والمحدثين. وكان أحد أسباب انتقال مدرسة أهل البيت عليهم السلام من العراق إلى إيران هو الضغط الشديد الذي كان يلاقيه الشيعة وعلماؤهم من حكومة العباسيين، فالتجأ فقهاء الشيعة وعلماؤها إلى (قم) و(الري)، ووجدوا في هاتين البلدتين الإطمئنان في نشر فقه أهل البيت عليهم السلام وحديثهم.

وكانت (قم) و(الري) تحت حكومة سلاطين آل بويه، وعُرف آل بويه في التاريخ بنزعتهم الشيعية وولائهم لأهل البيت عليهم السلام مما حذا بعلماء الشيعة أن يشدوا الرحال إليها ويتمركزوا فيها لتصبح مدرسة (قم) فيما بعد من أوسع المدارس الشيعية في الفقه والحديث وأضخمها.

وللظروف دور مهم ومساعد دائماً في إنجاز ما يقدر الله سبحانه وتعالى في أن يكون من خيرٍ لأمة ربما عانت من الإضطهاد ما لم يعانه غيرها.

فقد حفلت (قم) و(الري) في هذه الفترة (القرن الرابع الهجري) مشايخ كبار في الفقه والحديث: أمثال الشيخ الكليني المتوفى سنة ٣٢٩هـ وابن بابويه والد الصدوق المتوفى سنة ٣٢٩هـ وابن قولويه أستاذ الشيخ المفيد المتوفى سنة ٣٦٩، وابن الجنيد المتوفى سنة ٣٨١ بالري، والشيخ الصدوق المتوفى سنة ٣٨١ والمدفون بالري، وغيرهم من كبار مشايخ الشيعة.

وقد بلغ النشاطُ الفكري في التأليف والبحث الفقهي وتدوين الأحاديث غايته في هذه الفترة. ونشير إلى أسماء بعض الفقهاء والمحدِّثين اللامعين في هذه المدرسة من الذين عاشوا خلال هذه الفترة:

١ ـ علي بن إبراهيم:

القمي شيخ الكليني في الحديث، كان ثقةً في الحديث ثبتاً معتمداً صحيح المذهب، سمع فأكثر وصنف كتباً، له «قرب الإسناد» وكتاب «الشرائع»، وكتاب «الحيض»[1].

٢ ـ الكليني:

وكان معاصراً لعلي بن الحسين بن بابويه والد الشيخ الصدوق. وأكبر أثرٍ تركه محمد بن يعقوب الكليني من بعده هو موسوعته الحديثية الكبرى (الكافي) في الأصول والفروع.

(١) رجال النجاشي: ١٩٧.

وقد جمع رحمه الله في موسوعته هذه ما صحَّ لديه من أحاديث الصادقين عليهم السلام وإن كان فيها ما لم يصح عند آخرين.

٣ ـ إبن قولويه:

أبو القاسم جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه (٢٨٥ ـ ٣٦٨هـ). كان من تلامذة الكليني والراوين عنه وأستاذ الشيخ المفيد.

قال عنه النجاشي: «كان من ثقات أصحابنا وأجلائهم في الحديث والفقه، وكان ما يوصف به الناس من جميل وفقه فهو فوقه، له كتب حسان»[١].

٤ ـ علي بن بابويه القمي:

والد الشيخ الصدوق. كان من رؤساء المذهب وفقهائهم الكبار، وشيخ القميين في عصره وفقيههم وثقتهم. وكان ولداه: أبو جعفر محمد المعروف بالصدوق وأبو عبد الله حسين أخو الصدوق من كبار فقهاء الشيعة ومحدثيهم.

وكتب أبو عبد الله الحسين للصاحب بن عباد وزير الدولة كثيراً من مؤلفاته، ودوَّن الصدوق له مجموعته الحديثية الكبيرة: «عيون أخبار الرضا».

وكتاب: (من لا يحضره الفقيه) هو الموسوعة الحديثية الجامعة الثانية التي أُلفت في الفقه في هذه الفترة بمدرسة (قم) و(الري).

وقد حاول الشيخ «الصدوق» في موسوعته هذه أن يجمع ما صحّ

---

(١) رجال النجاشي: ٩٥.

لديه من أحاديث فيها ويجعله في متناول الفقيه أو من لا يحضره الفقيه من العامة حينما تعرضه مسألة من المسائل.

وهذه الخطوة ـ خطوة جمع الأحاديث وتنظيمها ـ كانت خطوة عظيمة، إذ كانت الأحاديث منتشرة بصورة غير منظمة من حيث التبويب والجمع في الكتب التي خلفها أصحاب الأئمة ﷺ وأهل الحديث.

وقد كان شيوع هذا اللون من الكتب الفقهية مساعداً في تطوير البحث الفقهي، فكان الفقيه يدرّس المسألة ويستعرض ما ورد فيها من أحاديث من غير تعرضٍ للمناقشة والاحتجاج ونقد الآراء حولها.

وكانت الفتاوى في الغالب نصوص الأحاديث مع إلغاء عنصر النظر في الأسانيد وأحوال الرجال.

هذه هي أهم ملامح مدرسة (قم) و(الري) في هذه الفترة أو الحقبة من التاريخ.

*** العصر الرابع:**

في القرن الخامس الهجري انتقلت المدرسة من (قم) و(الري) إلى (بغداد). وقد تميز هذا العصر أو القرن بظهور شخصيات فقهية من بيوتات كبيرة، كالشيخ المفيد، والطوسي، والسيد المرتضى.

فكان لانتقال المدرسة إلى أمثال هؤلاء أثر كبير في الحركة الفكرية والفقهية، فقد تكاملت مدرسة الفقه الشيعي في (قم) و(الري) مع مدرسة بغداد، وكثر البحث الفقهي، وازداد عدد طالبي العلم، وغدا الشيخ الطوسي معروفاً بشيخ الطائفة.

وللمفيد قصة

أولاً: هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المعروف بـ «المفيد» البغدادي، ولد في «عكبرا» وانتقل منها إلى بغداد بصحبة والده، ونشأ في بغداد وتفرغ في صباه لطلب العلم.

ومما يذكر من نبوغه أنه حضر ـ وهو تلميذ ناشىء ـ عند الشيخ أبي ياسر بباب خراسان من مشايخ السنة، وإثر مناقشة معه أرجعه الشيخ أبو ياسر إلى الشيخ الرماني الذي كان من كبار علماء السنة في بغداد. جلس التلميذ «المفيد»في زاوية من المجلس يستمع إلى درس الشيخ، وحين ختم الشيخ الرماني درسه سأله رجل من البصرة عن حديثي الغدير والغار، فقال الرماني له: حديث الغدير رواية وحديث الغار دراية، ولا تُقدم الرواية على الدراية... فتقدم الفتى الناشىء إلى الشيخ، وقال له: ماذا تقول في الذي يخرج على إمام زمانه فقال له الشيخ: كافر، ثم استدرك؛ فقال: فاسق. فقال المفيد: فماذا تقول في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب؟ قال له الشيخ: لا شك في إمامته. فقال: فماذا تقول في خروج طلحة والزبير عليه؟ قال له الرماني: إنهما تابا بعد ذلك. فقال المفيد: إن توبتهما رواية وحربهما للإمام

دراية، ولا نرفع اليد بالرواية عن الدراية. فأُحرج الشيخ الرماني أمام تلاميذه ولم يُجب، واستبقاه في المجلس وسأله عن شيوخه، ودروسه، وكتب إلى أستاذه أبي ياسر يعرفه بقيمة تلميذه الناشىء ولقبه بـ(المفيد) وعُرف من ذلك الوقت بالمفيد[1].

واستقل الشيخ المفيد بالتدريس في بغداد، وتفرغ للفقه والكلام، وكان يحضر مجلس درسه العديد من الطلاب من الشيعة والسنة، وبرز من تلاميذه رجال كبار: أمثال السيد المرتضى، والشيخ الطوسي.

وقد قدّر للشيخ المفيد أن يكون رائداً لهذا العصر من عصور الفقه والفكر الإسلامي.

* **(المرتضى):**

تتلمذ (المرتضى) وأخوه الشريف (الرّضي) على الشيخ المفيد، وكان عالماً، وأديباً، وشاعراً، له مكانته العلمية والأدبية، وأوتي حظاً وافراً من العلم والأدب والمنطق والكلام. وبرع في ذلك حتى سُمي لعلومه بـ«علم الهدى».

وكتابه «الذريعة» من خير الكتب الأولية في علم الأصول كان مولده سنة ٣٥٥ وخلف بعد وفاته العديد من الكتب والمؤلفات الفقهية والإسلامية والأدبية، منها: «أمالي المرتضى» و«تنزيه الأنبياء» وغيره.

* **(الشيخ الطوسي):**

«ولد شيخ الطائفة في (طوس) في شهر رمضان سنة ٣٨٥ بعد أربع

---

(١) عن مجالس المؤمنين ج١: ص٤٦٤.

سنين من وفاة الشيخ الصدوق، وهاجر إلى العراق ونزل بغداد سنة ٤٠٨ وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وكانت زعامة المذهب الجعفري يومذاك لشيخ الأمة المعروف بالشيخ المفيد، وبقي على درسه واتصاله بشيخه حتى توفي سنة ٤١٣ وانتقلت زعامة الدين ورئاسة المذهب إلى علم الهدى (السيد المرتضى) فتوجه شيخ الطائفة إليه ولازم الحضور عنده، وعنى به «المرتضى» واهتم له، وبقي ملازماً له طيلة ثلاث وعشرين سنة حتى توفي السيد العَلَم سنة ٤٣٦، فاستقل شيخ الطائفة الطوسي بالزعامة الشيعية، وأصبح علماً للشيعة. وكانت داره في «الكرخ» مأوى الأمة، وقصده العلماء والفضلاء للتلمذة على يديه من كل حدبٍ وصوب. وتسلم الشيخ المدرسة، واستمر في حياته العلمية، والكتابة والتأليف، واستمرت الزعامة الشيعية تقليداً له في أفكاره وعلومه زهاء قرنٍ من الزمن على ما نُقل. وقد كان في متناوله مكتبتان كبيرتان يستعين بهما في بحوثه وكتاباته:

الأولى: مكتبة الشيعة التي أنشأها أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة البويهي. إذ كانت من أغنى مكتبات بغداد، وقد أمر بإحراقها (طغرك بيك) تنفيساً لحقده على الشيعة.

والثانية: مكتبة السيد المرتضى التي كانت تحتوي على مئات الكتب. وكان انتقال الشيخ الطوسي إلى النجف الأشرف سنة ٤٤٨.

وبقي يمارس مهمته في التدريس والتأليف اثنتا عشرة سنة، حتى وافته المنية في محرم سنة ٤٦٠هـ عن خمسٍ وسبعين سنة.

ومن مميزات عصر «المفيد» و«المرتضى» و«الطوسي» هو ظهور

الفقه المقارِن فحينما تمركزت المدرسة الشيعية في الفقه في بغداد، وفرضت وجودها على الأجواء العلمية ثار أصحاب المذاهب الفقهية الأخرى، وأعلنوا المعارضة بوجه المدرسة علناً، وأثاروا المسائل الخلافية بصورة حادة في الندوات والمجالس العامة، ومهما كانت الدوافع الكامنة وراء ذلك، فقد أدّت إلى خصوبة البحث الفقهي، وتفرغ فقهاء الشيعة لبحث المسائل الخلافية بصورة موضوعية وانفتاحية أكثر.

وقد تفرد الشيخ الطوسي في دراسة هذا الجانب من البحث الفقهي المقارن في كتابه الكبير (الخلاف) فتناول فيه المسائل الفقهية بين الشيعة والسنة في مختلف أبواب الفقه وتعرض لما يستدل به كلا الجانبين من الأدلة.

*** العصر الخامس:**

وفيه برزت مدرسة الحِلَّة بعد احتلال «هولاكو» التتار لـ«بغداد» إذ أوفد أهل (الحِلَّة) وفداً إليه يلتمسون الأمان لبلدهم فاستجاب لهم. وبذلك ظلت (الحِلَّة) بعيدة عن النكبة التي حلَّت بسائر البلاد من خلال الاحتلال المغولي. واجتمع في (الحِلَّة) عدد كبير من الطلاب والعلماء، وانتقل النشاط العلمي من (بغداد) إلى (الحِلَّة).

واستقرت المدرسة في (الحِلَّة) وظهر فيها فقهاء كبار: كـ(المحقق الحلي) و(العلامة الحلي) وولده (فخر المحققين) و(الشهيد الأول) و(ابن طاووس) وغيرهم من الأعلام.

وإليك الحديث عن بعض أعلام هذه المدرسة:

١ ـ (المحقق الحلّي):

هو نجم الدين أبو القاسم جعفر بن سعيد الحلّي رائد (مدرسة الحلة). قُدِّر للمحقق الحلي أن يجدد في مناهج البحث الفقهي والأصولي. وخلَّف وراءه كتباً قيمة في الفقه لا يزال الفقهاء يتناولونها حتى اليوم في بحوثهم كـ(شرائع الإسلام) و(النافع) و(المعتبر في شرح المختصر). و(نكت النهاية) و(المعارج).

توفي سنة ٦٧٦هـ وكان سبب وفاته أنه سقط من أعلى درج منزله فخرَّ ميتاً، ودفن في (الحِلَّة).

٢ ـ (العلامة الحلّي):

هو جمال الدين حسن بن يوسف بن علي بن المطهر، ولد في (الحلة) سنة ٦٤٨هـ ونشأ فيها، وتوفي سنة ٧٢٦هـ.

تتلمذ على خاله (المحقق الحلي) و(المحقق الطوسي) وانتقلت الزعامة الدينية بعد (المحقق الحلي) إليه.

وتعتبر موسوعة (العلامة الحلي) الفقهية (التذكرة) أول موسوعة فقهية من نوعها في تاريخ الفقه الشيعي من حيث السعة والمقارنة والشمول. وفي كتابه الكبير (المختلَف) دراسة مهمة للمسائل الخلافية بين فقهاء الشيعة وحدهم.

٣ ـ (فخر المحققين):

هو أبو طالب محمد بن الحسن بن يوسف بن المطهر.

تتلمذ على أبيه (العلامة الحلي).

أكمل بعض تآليف والده العلامة (كالألفين)، وشرح البعض الآخر كـ(القواعد).

٤ ـ (الشهيد الأول):

هو أبو عبد الله محمد بن الشيخ جمال الدين مكي بن شمس الدين محمد الجزيني، ولد سنة ٧٣٤ واستشهد سنة ٧٨٦ بدمشق.

ولد في جزين من قرى جبل عامل، وهاجر إلى الحلة لطلب العلم وتتلمذ على فخر المحققين. وقد سبق كلام عنه وعن الشهيد الثاني.

وفي الختام: لئن كان (الشيخ الطوسي) زعيم الفكر الفقهي لمدرسة بغداد، فقد كان (العلامة الحلي) زعيم الفكر الفقهي لمدرسة الحلة. ولولا جهود علماء كبار فيما بعد أمثال: (المحقق) و(العلامة) و(الشهيد) وغيرهم لما تطور العلم الفقهي والأصولي لدى الشيعة واستمر إلى هذا العصر الحديث وظهر فيه من المراجع العظام والعلماء الكبار ما ظهر.

ومن الحب ما قتل

مَثَلٌ شائع، وللناس في الأمثلة حقائق ووقائع، فهي لا تصدر من خيال، ولا تنطلق من فراغ.

يُروى أن قردةً أنجبت توأماً وأحاطت أحدهما بالعطف والحنان الكبيرين أكثر من الآخر، وللدرس والعبرة يأتي الإبتلاء بأن يموت القرد زائد الحنان والعطف نتيجة ضمّه الصدر الحنونة العنيفة اختناقاً على صدر أمه.

وبعض النساء في حبّهن لبعض الرجال كذلك، فقد ينتحرن لحبهنَّ المفرط غير الطبيعي للرجل.

وفي معركة الحب بين الرجال والنساء، فإنَّ الحب لا بدَّ وأن يسير بخطىً وئيدة، وعقلانية مزدانة بالإخلاص والمحبة الهادئة إلى حدِّ الحدود التي لا تُسيء ولا تضرّ. وحسبنا في ذلك قول أمير المؤمنينعليه السلام: «أحبب حبيبك هوناً ما فعسى أن يكون نبغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما فعسى أن يكون حبيبك يوماً ما» فلا يكون هناك من «الحب ما قتل» بل ما سَلِم.

الفصل التاسع

علماء وعلميات

«داروين» و«فرويد»

اشتهرا بنظريتهما حول تنازع البقاء وأصل الأنواع أو المخلوقات، وانحدار الإنسان من سلالة القرود (داروين) والآخر (فرويد) بنظرية التحليل النفسي الغريزي الجنسي في سلوك المخلوقات التي غلب عليها هذا التفسير.

ولا زالت نظريتهما تُدرس وتُبحث حتى عصرنا الحاضر.

* ولد «تشارلز داروين» في «شروزبري» إنكلترا ـ (١٨٠٩).

اعتقد أن الأنواع النباتية والحيوانية ـ بما فيها الإنسان ـ لم تُخلق إلهياً، ولكنها تطورت خلال العصور الجيولوجية. ثم بدأ يُكَوِّن نظريته عن تنازع البقاء، والإنتخاب الطبيعي بعد أن جمع عدة ملاحظات ومعلومات تؤيد نظريته، ثم نشر كتابه الشهير «أصل الأنواع» الذي يبين فيه صراع المخلوقات لأجل البقاء».

هذا الكتاب قدّم فكرة أن الإنسان ينحدر من سلالات القرود.

والجدير بالذكر: أن نظرية «داروين» قد صيغت من دون الإعتماد، على نظرية الوراثة أو على أية معرفة بها. ففي أيام داروين لم يكن أحد يدري أي شيء عن الطريقة التي تنتقل بها الخصائص من جيل إلى

جيل، كما أنها لا زالت هذه النظرية ـ عند علماء البيولوجيا ـ لا تمثل سوى فرضيات لا تحمل دليلاً قوياً عليها، عدا عن رفض البعض لها كأساسٍ علمي.

* سيغموند فرويد (١٨٥٦ ـ ١٩٣٩):

يعتبر مؤسس علم التحليل النفسي. أكد على الأهمية البالغة للعمليات الدماغية اللاواعية في سلوك الإنسان، وأظهر أنَّ هذه العمليات اللاواعية تؤثر في الأحلام، وفي زلات اللسان، وفي نسيان الأسماء، وفي بعض الحوادث الموجهة من الإنسان لنفسه، وحتى في بعض الأمراض.

طوَّر «فرويد» تقنية التحليل النفسي كطريقة لمعالجة الأمراض العقلية، وصاغ نظرية عن الشخصية الإنسانية. وكان أول من نادى بفكرة الشعور الجنسي المكبوت، وبيّن أيضاً: أن الشعور الجنسي يبدأ في مرحلة الطفولة الأولى بالإرتضاع من الثدي.

وبما أن كثيراً من أفكار فرويد لا تزال قيد النقاش فمن الصعب أن نُقيِّم مكانته في التاريخ، فرغم أنه كان رائداً في مضمار علم النفس، إلا أن نظرياته لم تحظ بتأييد المجتمع العلمي وَرُدَّت بنظريات أخرى.

علميات

* القوانين المادية في الكون وضعت العلماء في تفكير فلسفي:

١ ـ من أين تأتي هذه القوانين؟ لا نفهم الآلية التي تتحرك فيها الكتل الكونية بذراتها الخفيفة والقوية.

٢ ـ الطاقة التي في الكون إذا لم تُحفظ فإن الأرض ستصبح جرماً أبيضاً، أو كقطعة من الثلج.

٣ ـ لا زمن قبل الإنفجار الكوني (Big bang).

٤ ـ ليس في الكون قانون تكون أو لا تكون. هناك نسبية، الطبيعة ليست شيئاً حتمياً.

٥ ـ المسافة أمر نسبي، الزمن سرعة الجسم، وحيث لا جسم لا زمن.

٦ ـ الفناء محتوم.

* تقوم دراسة معرفة عمر الجثة بطحن السن وفحص خلية الـ DNS فيه وتحليلها بالكحول.

يَرَوْنَ جثثاً مضى زمن طويل عليها من المفروض تلفها، يزعمون أن الطبيعة حفظتها.

كيف ولماذا؟ لا ربط للغيب عندهم في ذلك.

لم يكتشف العلماء حتى اليوم سرَّ مثلث برمودا حيث ٣٣ طائرة وبواخر اختفت في ذلك المثلث.

يقول بعض العلماء أن سرَّه وجود قوة كهرطيسية (كهرومغناطيسية) في ذلك المثلث البحري يجذب أي جسم طائر من طائرات أو بحري من سفن.

لماذا هذا الأمر؟ وما هو سرُّه؟ يبقى لغزاً محيِّراً.

* يستحيل العود بالزمن إلى الوراء. السير عبر الزمن بسرعة الضوء ٢٠٠٠كم في الثانية مستحيل.

أيُّ مركبة فضائية تستطيع ذلك؟

إذا رجعنا إلى عالمنا ـ بعد فرض تحقيق ذلك ـ فَمَنْ كان حيّاً يكون قد شاخ أو مات.

* لا يؤذن الظهر على الساعة ١٢ تماماً لاعتبارين:

١ ـ لعدم استدارة الأرض تماماً حول الشمس.

٢ ـ للفرق الحاصل بين خط طول البلد الحقيقي، وخط طول البلد الإعتباري المصطلح عليه جغرافياً على الكرة الأرضية، فيحسب الوقت زيادة أو نقصاناً على الساعة اعتبارياً وليس بالدقة الثابتة واقعاً.

* يعتبر الهواء مرشح عظيم لمركبات الضوء، كظاهرة الشفق، وزرقة السماء، واصفرار الشمس، والقمر عند الغروب.

سبحان الخلّاق العليم.

* رغم قرب الأرض أحياناً من الشمس فإن وجود البرد القارس وسببه يعود إلى سقوط أشعة الشمس علينا مائلة.

* الشمس يزيد قطرها على مليون وثلث مليون كلم، وحجمها أكبر من حجم الأرض بمليون و٣٣٣ ألف مرة ووزنها أكبر من وزن الأرض بـ٣٣٣ ألف مرة، ودرجة حرارة السطح تبلغ ٦٠٠٠ درجة مئوية.

أمَّا المركز فيصل إلى ١٤ مليون درجة مئوية. فيها أعاصير نار ملتهبة من هيدروجين وهيلوم.

هذه شمسنا أما الشموس الأخرى فوق شمسنا فأكبر بكثير.

هي الآيات في الآفاق فمن يؤمن؟

*** اختلاف وانسجام:**

أوضح العالم الفيزيائي «هايزنبرغ» أن التناسق عبارة عن: «انسجام الأجزاء بعضها مع بعض ومع الكل».

ولاحظ أن جُسيمين أوليين ـ النيوترون والإلكترون ـ رغم الإختلاف الظاهر والتام بين خواص كل منهما فإنهما يتحركان بانسجامٍ كاملٍ وتام.

* أدهش «نيوتن» العالم بتفسيره للأجسام الساقطة ولظاهرتي المد والجزر، ولحركة الكواكب، والمذنبات على أساس الجاذبية التي

تجمع بين ظواهر تبدو شديدة الإختلاف، وتبين اتصال الظواهر بعضها ببعض رغم اختلاف عناصر الظاهرة الواحدة.

* البساطة، والتناسق، والتماثل، والتناسب، والتألق، والوضوح الملحوظة جميعها في أجمل النظريات الفيزيائية، كلها لها نظائر موازية في الرسم، والموسيقي، والفنون الجميلة الأخرى كالشعر ونحوه. فالجمال يعكس الجمال، والله سبحانه جميل يحب الجمال.

*** نظرية الكم Quantum theory**

نظرية فيزيائية حديثة تقول: إن عملية امتصاص أو انبعاث الطاقة لا تتم جملة واحدة بل على مراحل، كل منها عبارة عن حزمة من الطاقة تسمى «الكم». وتشكل هذه النظرية، ونظرية النسبية «لأينشتاين» الأساس الذي قام علين علم الفيزياء الحديث.

* **ميكانيكا الكم**: عبارة عن تطبيق نظرية الكم على حركة الجسيمات المادية. وفي عام ١٩٠٥ تقدّم آينشتاين» برأي مفاده: أن الإشعاع ذاته مؤلف هو الآخر من حزم ضوئية (فوتونات) تتصرف بطريقة الجسيمات نفسها.

*** نظرية الإنفجار الكوني «Big bang theory»:**

نظرية تقول: إنَّ المادة كلها كانت معبّأة في كتلة صغيرة متناهية الكثافة انفجرت بشتى الإتجاهات بسرعة هائلة وذلك منذ ما بين ١٠ و٢٠ مليار سنة.

وهذا تبرير للصدفة عند مَن يعتقد بها، ولا مانع - إلهياً - أن يكون الله

سبحانه بقدرته أحدث هذا الإنفجار لأجل خطة مرسومة لبني البشر لكن هذه النظرية لا زالت مجرد فرضية.

*** الأيض** Metabolism :

هي مجمل العمليات التي تتم في الكائنات الحية من موت خلايا ونمو خلايا حيّة مكانها لتتم عملية استمرار الحياة وتطورها.

سبحان مَن خلق الحياة من العدم وجعل نمو الكائنات بهذا الشكل ثم كتب عليها الفناء والموت في أحشاء ذاتها.

* هناك غازات كثيرة أقل كثافة من الهواء، مثل الهيدروجين والهيلوم. والهواء الساخن أقلُّ كثافة من الهواء البارد. كل ذلك لأجل الحياة واستمرارها ـ **سبحان الله!**

* الضغط الجوّي يُعْزَى إلى وزن الهواء الجوّي عندما يضغط على كل شيء على سطح الأرض. وبما أن طبقات الهواء الجوّي تكون أقلّ عند الإرتفاعات العالية، فإن الضغط الجوّي يقلّ كلما ارتفعنا لأعلى. **سبحان الله! يبدو أن الأرض وحدها صالحة للسكن.**

*** القصور الذاتي**: لا يمكن أن تبدأ الحركة من نفسها، والقوة هي المحرّك الكهربائي اللازم لبدء الحركة واستمرارها. ولا تتحرك الأجسام أو تغير اتجاه حركتها إلا إذا أثَّرت عليها قوة. ومقاومة الأجسام لحدوث هذا التغير تُسمَّى القصور الذاتي للجسم. فقوة الجاذبية تجذب القمر الصناعي باستمرار نحو الأرض، بينما القصور الذاتي يحفظ القمر الصناعي متحركاً في خط مستقيم ولولا الجاذبية لتسبب القصور الذاتي

للقمر الصناعي في تحريكه خارج المدار الأرضي منطلقاً في الفضاء، ولطرنا ـ نحن البشر ـ في الفضاء ـ **سبحان الله!**.

* تكون الأجسام عادة في حالة اتزان كهربائي، لأنها تتكوّن من عددٍ متساو من الدقائق الموجبة والسالبة (إلكترونات سالبة وبروتونات موجبة) الموزعة بانتظام. ومع تماثل الشحنات (+ ، +) يحصل التنافر، بينما باختلافها (+ ، ـ) يحصل التجاذب ـ **سبحان الله**.

* الطاقة النووية: عبارة عن انشطار ذرات اليورانيوم، مع انشطار كل ذرة تنطلق كميات هائلة من الطاقة، ومع هذا الإنشطار يُطلق اليورانيوم نيوترونات هي إحدى المكوِّنات الأساسية لنواة الذرة.

ولأغراض عسكرية مبروك للبشرية!

* **الكربون**: واحد من أهم العناصر الضرورية للحياة على الأرض. والمواد التي تحتوي على الكربون تُسمى عضوية، ونحن عضويون وغير العضوي كيف يعيش؟ **سبحان الله!**

* يحدث الإندماج النووي طبيعياً في قلب النجوم، حيث يكون الضغط ودرجة الحرارة عاليين بدرجة كافية للتغلب على قوة التنافر بين النواتين، ولتكسر قوة التماسك بين البروتونات والنيوترونات. ويحتاج العلماء اليوم إلى توفر ظروفٍ نجمية لتحقيق هذا الإندماج النوري في المعامل لتوليد الطاقة الكبيرة، **فهل يمكنهم ذلك؟**

* عندما تبرق السماء وترعد يتحُد النيتروجين الجوي مع الأوكسجين مكوّناً ثاني أوكسيد النيتروجين لينزل المطر وتحيا الأرض ومَن عليها ـ **سبحان الله!**

* تمتص النباتات ثاني أوكسيد الكربون وتطرد الأوكسجين، وتحتاج الحيوانات والإنسان إلى الأوكسجين وإلى طرد ثاني أوكسيد الكربون. كما تستهلك الحرائق الأوكسجين وتبعث ثاني أوكسيد الكربون. وبين الإنتاج والإستهلاك تظل مستويات الأوكسجين متزنة.

سبحان الله!

*** الأكسدة (Oxidation):**

عملية تفقد فيها الذرة إلكترونات ليتم التعويض عنها بإلكترونات أخرى ليبقى التوازن والتماسك في الطبيعة والكون، وتستمر الحياة ـ **سبحان الله!**

* يتجمع الزيت على سطح الماء لأنه أقل كثافة من الماء، ولأن ذرات الأوكسجين في الماء لها شحنة سالبة جزئياً، وذرات الهيدروجين لها شحنة موجبة جزئياً، والشحنتان تمنعان نزول الزيت في الماء لأن جزئياته تتكون أساساً من الكربون والهيدروجين ولها نفس الشحنة الموجبة عند كل نهاياتها، فلا قطبية لها (شحنة سالبة) كي ينزل الزيت.

فلكل شيء خصائصه ـ سبحان الله!

* أكثر الفيزيائيين أمثال: نيلز بوهر، ماكس بورن، آرثر إدنغتون، إروين شردور، كارل فيدرتش، فون فايسكر وغيرهم، يعتقدون بوجود العالم الروحي، وربما كان ـ في نظرهم ـ العالم الوحيد الموجود. (هانز بيتردر «الطبيعة والسمو» ـ ميونخ ١٩٨٦، بريجيت فوكنبرغ «ميتافيزيقا الجسيمات» ـ ١٩٩٤).

*** ضوء الشمس:**

وهو ناتج عن الإندماج النووي الداخلي الذرّاتي المتحوّلة إلى طاقة، حيث يندمج الهيدروجين ليكون الهيليوم. وتتحوّل ٤ ـ ٥ مليون طن من الكتلة كل ثانية إلى طاقة. طبقاً لمعادلة آينشتين المشهورة:

الطاقة = الكتلة × مربع سرعة الضوء.

وفناء الشمس بنفاد الهيدروجين منها، وتجمع لبها، واندماج الهيليوم في اللب بطريقة متفجرة، ثم تتحول إلى رمادٍ محترقٍ أو قزمٍ أبيض بحجم الأرض. وهو ما سيحصل وفق ما يراها العُلماء.

كلٌّ شيء يحمل بذور فنائه في ذاته ـ سبحان الله!.

* تستخدم النباتات والفطريات وبعض البكتيريا، الطاقة الشمسية لتحول ثاني أوكسيد الكربون والماء إلى جزئيات سكر تتغذى عليها. **سبحان الله!**

* الشمس تُحدث دورة الهواء من خلال الحرارة المنعكسة إلى الجو.

* الأرض تدور حول الشمس مائلة على محورها، وتدور حول نفسها أثناء حركتها لتُحدث الليل والنهار. ولو لم تدر الأرض حول محورها، لما كان هناك فصول، ولأن محور الأرض يميل على مدار الأرض حول الشمس، يكون نهار الصيف طويلاً والشتاء قصيراً. **حكمة الله لنعيش على هذه الأرض ـ سبحان الله!.**

* السديم: سحابة بين النجوم، ويتكون من الهيدروجين،

والهيليوم والتراب الكوني. وتولد النجوم من تكثف مثل هذه السحابات.

كذا يقولون ـ سبحان الله!

* **الثُّرَيَّا**: حشد نجمي هائل يتكوَّن من حوالي ٣٠٠٠ نجم.

* يحتوي الكون على مئات البلايين من المجرَّات. وهي أجسام سماوية واسعة تحتضن عدداً لا يُحصى من النجوم، والغاز، والغبار الكوني.

* **الكُوَازارات:**

أجسام خافتة، لأنها بعيدة جداً، شبيهة بالنجوم، تعطي إشارات راديوية قوية. وهي تُصدر نفثاً خافتاً من الغازات.

* **الكواكب السيَّارة:**

* **عُطاردُ**: أقرب الكواكب السيَّارة للشمس. صغير، ساخن، جاف، عديم الهواء. يُكمل دورته حول الشمس في ٨٨ يوماً أرضياً.

* **الزُّهَرَةُ**: أقرب الكواكب من الأرض. حجمه حجم الأرض تقريباً، عديم الحياة. يبرق ويرعد، ويُسقط حِمْض الكبريت. درجة حرارة غلافه الجوي ٩٠٠°ف. وهي درجة كافية لصهر الرصاص، وإشعال الورق حتى في الليل. طول ليلة واحدة عليه حوالي ٤ أشهر، لأنه يدور ببطءٍ شديدٍ وسط غلافه السحابي العاصف. غلافه الجوي معظمه من ثاني أوكسيد الكربون.

* **المريخ**: يلمع ليلاً بضوءٍ أحمر. حجمه نصف حجم الأرض.

يومه يزيد ٣٧,٥ دقيقة عن زمن يوم الأرض، لأنه يدور حول محوره ببطءٍ عن الأرض. وبه فصول شتاء، وصيف، لأن محوره مائل مثل الأرض. يتكون معظمه من ثاني أوكسيد الكربون.

* **المشتري**: أكبر كواكب المجموعة الشمسية. معظمه من الهيدروجين.

* **يو**: من أكبر أقمار المشتري الستة عشر، وهو أصغر قليلاً من قمر الأرض. وعلى سطحه ١٠ براكين.

* **زُحَل**: محاط بمجموعة حلقات.

* **تيتان**: أحد أكبر أقمار زُحل الثمانية عشر. وهو عالم برتقالي بارد.

* **يورانوس**: يشق طريقه في الفضاء دائراً على جانبه.

* **نبتون**: أكثر الكواكب عواصفاً. وأكبر أقماره: ترتيون ـ ثلاث أرباع حجم الأرض.

مع هذه الكواكب قد يكتشف العلماء كواكب أخرى غيرها، فقد حدَّث القرآن الكريم عن أحد عشر كوكباً رآهم يوسف ﷺ في المنام. وقد يكون هناك أكثر من رؤياه ﷺ.

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣﴾[1].

---

(١) سورة فُصلت، الآية: ٥٣.

الفصل الحادي عشر

للعلم والصحة

* يقول د. «تيفري» إن اعطاء الأسيد فوليك في إصابات الشلل والتهاب النخاع يعين على تشكيل مواد من شأنها منع حدوث الشلل.

* يقول د. «هارت رمود»: إنه بالإمكان تعيين جنس الجنين من اللحظة الأولى للتلقيح، أي: منذ دخول النطفة في البويضة، فاللقاح المبكر يكوّن الإناث واللقاح المتأخر يكوّن الذكور.

لربما ولعلَّ...!

* حصد مرض الطاعون في مدن أوروبا سنة ١٣٤٨ أكثر مما حصدت القنبلة الذرية في «هيروشيما» سنة ١٩٤٥.

وقد نقل هذا الوباء ثلاث سفن تجارية كانت راجعة من الهند محملة بالبضائع الثمينة، وقد حملت معها الجرذان المسببة لهذا المرض.

* إن للوذي أو المذي اليد الطولى في حدوث العلوق. فهو يحيط بالسائل المنوي ويطلي النطف بمادة لزجة تساعد على الإلتصاق في مهبل المرأة، ويُعدل حامضية السائل المهبلي فيجعله قلوياً. ومن المعلوم أن الوسط الحمضي يقتل النطفة.

* إن لعصير «الملفوف» فائدة طبية عظيمة. لقد ثبت عند بعض العلماء: أن تناول كأسٍ واحدٍ من هذا العصير كل يوم يشفي القرحة المعدية ويسبب اندمالها بسرعة.

* إن البندورة غير الناضجة تفيد في معالجة الثفن «الأدمال» لاحتوائها على الحوامض، فإذا أُجريت حمامات حارة موضعية للقدمين مساء، ثم أحيط الثفن بقطعة بندورة خضراء وكررت الطريقة عدة ليال ضمر الثفن ثم اضمحل.

* إن الفيتامين «ث، C» موجود في الحليب الطازج في حين أن الحليب المكثف المحفوظ في العِلَب كحليب نستله، ودقيق الحليب، والكليم وغيره يخلو منه. لذلك كثيراً ما يصاب الأطفال الذين يُقتصر في تغذيتهم على حليب العلب الأجنبية بالكساح وبداء الحفر[1]. ويمكن تدارك هذا النقص بإعطائهم عصير الليمون أو البرتقال.

* إن الملفوف، والحمص واللفت، واللوز، من الأطعمة الغنية بالمواد المعاكسة لعمل الغدة الدرقية، ومن المرجح أن استعمال هذه النباتات يشفي المصاب بالجدرة، أي: ضخامة الغدة الدرقية.

* إن الفيتامين «T» يساعد على زيادة وزن الأطفال والفتيات لأنه ينقصّ الإحتراقات في الجسم، ويساعد على تنشيط الطبقة المشيمية العينية.

وإن هذا الفيتامين موجود في النباتات الملونة بلون أصفر كالمشمش، والدِّراقِن، وقشر البرتقال، والقرنبيط، واليقطين، والجزر.

---

(١) سيلان الدم من اللثة وضعفها.

* إن الطراز العربي للمراحيض مرجح على الطراز الغربي، لأن وضع الإنسان في النوع الأول يساعد العضلات البطنية على التقلص وإفراغ محتزيات الأمعاء، بينما تُورث المراحيض الأجنبية الإمساك، لأنها ذات مقاعد كالكراسي.

* إن الإنسان لا يأخذه الموت دفعة واحدة، بل بالتقسيط!

فالدماغ يبقى حياً عاملاً مدة عشر دقائق، وتظل قدرة العيون على الرؤية مدة ٣٠ دقيقة، ولا تتفسخ خلايا الدم قبل ثماني عشرة ساعة، وخلايا الجلد قبل خمسة أيام، وتموت خلايا العظام بعد أيام ثلاثة.

* إن ملح الليمون ليست له أية صلة بالليمون، وتسميته بهذا الإسم خطأ، لأنه عبارة عن حامض الطرطير المقبض؛ في حين أن الليمون مشّهٍ، ويحتوي على الفيتامين «ج».

* إن الفيتامين «E» الموجود في فستق العبيد، وزيت الزيتون، والذرة هو مخصب للتناسل، وإن الخبز المعمول من الحنطة الكاملة يحتوي هذا الفيتامين المفيد للشيوخ، بينما يخلو منه الخبز الأبيض الخالي من النخالة.

* إن تكوّن البقع البنية اللون تحت الجلد خصوصاً في اليدين يُعزى إلى مادة الكولسترول وهي من المواد الدهنية التي تمتص بسرعة في الأمعاء، وإذا ما نقصت هذه المواد الدهنية تقل هذه البقع، وخاصة إذا قلَّ أكل المواد الدهنية الحيوانية. وقد يُعزى ذلك أيضاً إلى حالة الروماتيزم في اليدين أو في أي موضعٍ آخر من الجسم.

* ينصح الأطباء الأمهات بتحرير أطفالهنَّ من الأربطة،

والأقمطة، واللفائف لكي تنعم أيديهم وأرجلهم بالحركة المساعدة على النمو بطريقة طبيعية، وسريان الدم دون انحباسٍ أو عائقٍ له. وقد كانت هذه الطريقة متبعة قديماً لدى الأمهات اللاتي لم يكنَّ يدرين مدى انزعاج الأطفال منها، وانعكاسها على صحتهم.

* إنَّ سوء التغذية وانعدامها يسبب فقدان المناعة أمام كثيرٍ من الأمراض، كما يسبب فقر الدم، وجفاف ماء العيون، وضعف الأعصاب، فحذارِ من هذا الأمر!

* استنتج الأطباء أن الإفراط البروتيني في الأكل وخصوصاً في بروتئين اللحم يسبب الكليسترول في الدم مما يؤدي إلى انسداد شريان القلب ووقف الدورة الدموية، وبالتالي حالة الوفاة. كما أنهم استنتجوا أن تخفيض أكل البروتئين اليومي ولو إلى درجة خمسين غراماً فحسب يساعد إلى حدٍّ كبير على تحسين الصحة والقدرة على العمل اليومي.

* كثير من الأوروبيين اليوم نباتيون، يكتفون بمقدار (٤٠ ـ ٥٠) غراماً من البروتئين يومياً بوزن (٧٠ ـ ٨٠) كيلو غرام، ويبقون بكامل الصحة والنشاط، ويعيشون لعمرٍ طويل ـ إن كُتب ـ دون الشعور بأي إرهاقٍ أو تعبٍ يُذكر طيلة حياتهم، أو حتى إصابة مرضية ناتجة عن اللحوم أو زيادة بروتينات من كثرة الأكل.

* إنَّ تناول معدل (٣٨ ـ ٤٠) غراماً يومياً من البروتئين كافٍ في صحة جيدة، ونشاط مستمر. وهذا صحيح في حياة البشر لأن البروتئين هو عناصر بناء البنية الجسمية للإنسان، وينبغي ألا يزيد عن معدله الطبيعي.

الفصل العاشر

وقائع وأحداث
ما بين عامي ١٩٨٢ ـ ٢٠٠٠
(لبنـان)

إطلالة

دماء الحق دروس للشجعان، ولا حصاد بلا تعب. والتعلُّم لا يكون إلا عن طريق التجربة، ومَن لا يتعلم يكون حماراً، ويصبح ألعوبة في أيدي الآخرين. ومَن يتفاوض من مركز الضعف يخسر قواعد اللعبة، ويفقد أشياء غالية أثمنها العزَّة والكرامة. ولا يمكن للطبيعة الشرِّيرة أن تخلق صلاحاً أبداً، فهي ذئب تنهش اللحم حين تحين لها الفرصة.

ومَن يترك الغنم في رعاية الذئب أحمق خاسر.

تلك هي حال الذين يتظاهرون بأنهم مع أصحاب الحق والعدالة وهم لا يرون إلا مصالحهم من وراء القوانين التي يشرعونها.

ثقة في غير موضعها.. نعم هي ثقة في غير موضعها عندما تلجأ إلى الذئب، إلى الطبيعة الشرِّيرة لتنال حقوقك.

في سالف العصور كانت الشعوب المستضعفة الفقيرة فريسة للأقوياء، وبشعار وحب «الموت في عِزٍّ خير من عيشٍ في ذُلّ» كان الرعب رعدة تختلج في قلوب الأعداء، وهزيمةً لهم نكراء، وإطلالتنا على الوقائع والأحداث تحكي حكايتنا.

*** مجزرة حانين:**

بتاريخ ١٦/ ١٠/ ١٩٧٦ أقدم العدو الصهيوني على تدمير منازل بلدة حانين الجنوبية قضاء بنت جبيل بالكامل، وقتلت تسعة من أبنائها.

*** مجزرة بنت جبيل:**

بتاريخ ٢١ تشرين الأول ١٩٧٦ قصفت القوات الصهيونية مدينة بنت جبيل مستهدفة الأحياء السكنية والسوق الشعبي، فقُتل ثلاثة وعشرون شخصاً ذهبوا شهداء إلى الله، وجُرح ثلاثون.

*** مجزرة «جِنْتَا» البقاعية:**

شنَّت الطائرات الحربية الإسرائيلية بتاريخ: ١٥/ ١١/ ١٩٨٣ غاراتٍ على بلدة «جَنتا» البقاعية فاستشهد اثنا عشر شخصاً وأُصيب ثلاثون بجروح.

*** الشيخ راغب حرب:**

* بتاريخ: ١٦ شباط ١٩٨٤ اغتيل الشهيد الشيخ راغب حرب في بلدته جبشيت على يد بعض عملاء العدو الصهيوني المحتل لأرض جنوب لبنان، وذلك بعد عودته من المسجد، وكان رفض التعامل مع العدو، وأبى أن يصافح الضابط الإسرائيلي الذي أراد زيارته فدفع ثمن موقفه المشرِّف.

*** مجزرة «صِير» الغربية:**

بتاريخ: ٢٢/ ٢/ ١٩٨٥ قصف العدو الصهيوني بلدة «صير الغربية» وذهب سبعة شهداء إلى الله.

*** مجزرة معركة:**

فجَّر الصهاينة المحتلون بتاريخ: ٤/ ٣/ ١٩٨٥ حسينية بلدة «معركة» فاستشهد ١٥ شخصاً من بينهم المجاهدان: محمد سعد، وخليل جرادي، وجُرح أربعون.

*** تبادل أسرى:**

في عام ١٩٩١ جرت أول عمليات تبادل الأسرى بين المقاومة الإسلامية والعدو الصهيوني على ثلاث مراحل: مقابل جثة جندي صهيوني كانت لدى المقاومة:

المرحلة الأولى في شهر أيلول ١٩٩١ وتضمنت ٥١ معتقلاً، ورفات عددٍ من الشهداء.

المرحلة الثانية في شهر تشرين الأول ١٩٩١ وتضمنت ١٦ معتقلاً.

المرحلة الثالثة في كانون الأول ١٩٩١ وتضمنت ٣٥ معتقلاً.

*** السيّد عباس الموسوي:**

* في: ١٦ شباط عام ١٩٩٢ قامت مروحيتان صهيونيتان بإطلاق صواريخ على موكب السيد عباس الموسوي، الأمين العام لحزب الله أثناء عودته من إحياء ذكرى استشهاد الشيخ راغب حرب في بلدة «جبشيت» فاستشهد وزوجته أم ياسر، وولدهما حسين.

هي قافلة تسير لينيروا الدرب لغيرهم.

*** مجزرة سُحْمر ومشغرة:**

بتاريخ: ١٢/ ٤/ ١٩٩٦ (عدوان نيسان) وفي الساعة الثانية بعد

الظهر، باغت العدو الصهيوني أهالي بلدة سُحْمر ومشغرة بالقصف المدفعي من مواقعه في: «أبو قمحة» و«الشريفة»، فأوقع مجزرة في الأهالي ذهب ضحيتها تسعة أشخاص وجرح آخرين.

*** مجزرة المنصوري:**

بتاريخ ١٣/ ٤/ ١٩٩٦ (عدوان نيسان) الذي سُمي «بعناقيد الغضب» أطلقت مروحية صهيونية صاروخين على سيارة إسعاف كان بداخلها عائلة «عباس جحا» من بلدة المنصوري فقُتلت زوجته وثلاثة من أبنائه وعدد من جيرانهم كانوا معهم في السيارة وجُرح آخرون.

وانضم هؤلاء إلى غيرهم في قافلة المظلومين الشهداء الأبرياء.

*** مجزرة النبطية الفوقا:**

بتاريخ ١٨/ ٤/ ١٩٩٦ وفي إطار حملة (عناقيد الغضب) التي أسماها الإسرائيليون الغاصبون (عدوان نيسان) أغارت الطائرات الحربية الصهيونية على مبنى جواد مكي في «النبطية الفوقا» فقتلت عائلة «العابد» الأم والسبعة أبناء، وشخص يُدعى «يحيى بصل» لينضموا بدورهم إلى قافلة الشهداء الأبرياء.

*** تبادل أسرى:**

بتاريخ ٢١/ ٥/ ١٩٩٦ تمَّ تبادل أسرى بين المقاومة الإسلامية والكيان الصهيوني المحتل عبر الوسيط الألماني.

فكانت جثتا جنديين إسرائيليين وسبعة عشر أسيراً من الميليشيا المتعاملة مع الإحتلال مقابل خمسة وأربعين معتقلاً، ورفات مائة

وثلاثة وعشرين مقاوماً من مختلف التنظيمات، وأكثرهم من المقاومة الإسلامية.

*** للحرب مفاجآت:**

بتاريخ ١٩٩٧/٩/٥ رصدت المقاومة الإسلامية تحركات للعدو الصهيوني، ونصبت له كميناً في بلدة «أنصارية» الجنوبية كان يستعد لعملية إنزال فيها. فتم القضاء على نحو ١٢ جندياً صهيونياً في هذه العملية التي اشترك فيها أيضاً بعض القوى الوطنية والجيش اللبناني.

* بلغ عدد قتلى العدو الصهيوني خلال العام ١٩٩٦ وحده ٢٨ قتيلاً صهيونياً و٨٨ جريحاً حسب اعترافاته.

*** مجزرة:**

شنّت الطائرات الحربية الصهيونية بتاريخ: ١٩٩٨/١/٢٢ غارة على منزل المواطن محمد عثمان في خراج بلدة «جَنتا» البقاعية، فاستشهدت زوجته وأبناؤه الخمسة.

* قامت المقاومة الإسلامية خلال العام ١٩٩٩ بتنفيذ ١٥٣٠ عملية قتلت خلالها ١٦ جندياً إسرائيلياً حسب اعتراف العدو الصهيوني وجرحت ١٧ آخرين وأسرت أربعة لحديين في اقتحامات لمواقع محددة.

* في ظل المسيرة الجهادية الطويلة التي بدأت في العام ١٩٨٣ أبان الغزو الصهيوني للبنان، وحتى دحر المحتلين في العام ٢٠٠٠ ارتقى إلى جوار الله ١٢٧٦ شهيداً، منهم العلماء، والقادة، والإستشهاديون وغيرهم ممن قضى أثناء التدريب على العمل الجهادي.

*** الإنسحاب:**

في الخامس والعشرين من شهر أيار عام ٢٠٠٠ كان الإنسحاب الكامل للقوات الصهيوني المحتلة من جميع الأراضي اللبنانية عدا مزارع شِبْعَا، وتلال كفرشوبا.

فكان نصراً مؤزَّراً للمقاومة.

*** تبادل أسرى:**

بعد التحرير شبه الكامل لأرض الجنوب اللبناني، تم بتاريخ ٢٩/ ١/ ٢٠٠٤ مبادلة ثلاث جثث للجنود الصهاينة وعقيد صهيوني (ألحنان تننباوم) بالمعتقلين اللبنانيين في السجون الإسرائيلية البالغ عددهم ٢٣ معتقلاً لبنانياً من بينهم الشيخ عبد الكريم عبيد، والحاج أبو علي الديراني، مضافاً إلى رفات ٥٩ شهيداً و٤٠٠ معتقل فلسطيني في اليوم التالي. وكان هذا بمثابة نصرٍ آخر للمقاومة.

إستشهاديون ام يائسون؟

*** عامر كلاكش (أبو زينب).**

الزمان: ١١/ ٢/ ١٩٨٢.

المكان: قرب مستعمرة المطلة.

*** أحمد قصير.**

الزمان: ١١/ ١١/ ١٩٨٢.

المكان: مدينة صور، مقر الحاكم العسكري الذي كان وأصبح في خبر كان.

* بلال فحص.

الزمان: ١٦/ ٦/ ١٩٨٤.

المكان: العباسية.

* حسن قصير.

الزمان: ٧/ ٢/ ١٩٨٥.

المكان: البرج الشمالي ـ صور.

* هيثم دبوق.

الزمان: ١٩/ ٨/ ١٩٨٨.

المكان: طريق مرجعيون، تل النحاس.

* عبد الله عطوي.

الزمان: ١٩/ ١٠/ ١٩٨٨.

المكان: بوابة فاطمة

* الشيخ أسعد برو.

الزمان: ٩/ ٨/ ١٩٨٩.

* إبراهيم ضاهر.

الزمان: ٢١/ ٩/ ١٩٩٢.

المكان: طريق الجرمق.

* علي صفي الدين.

الزمان: ١٣/ ٤/ ١٩٩٤.

المكان: دير قانون النهر.

*** علي غندور.**

الزمان: ٢٥/ ٤/ ١٩٩٥.

المكان: مركز الـ١٧ في بنت جبيل.

*** عمّار حمود.**

الزمان: ٣٠/ ١٢/ ١٩٩٩.

المكان: طريق القليعة.

ربما فاتنا البعض ممن لم يُرد الإفصاح عن هويته بوصيةٍ منه بعد استشهاده. وهذا قمة الإستشهاد، والخلوص لله سبحانه وتعالى. ومَن لا يدرك روعة الإيمان في القلب، وحبَّ اللقاء لله فمن الطبيعي أن يُفسر الإستشهاد انتحاراً، ويأساً من الحياة.

الفصل الحادي عشر

حرب تموز ٢٠٠٦
وقائع وأحداث
(لبنـــان)

المجازر الجماعية في لبنان

*** مجزرة صريفا (صور):**

استهدف الطيران الإسرائيلي ليل الثلاثاء ـ الأربعاء ١٨ ـ ١٩/ ٧/ ٢٠٠٦، حي الجامع في بلدة صريفا ودمر عشرة منازل تدميراً كاملاً.

وأوردت جريدة السفير بتاريخ: ٢٠/ ٧/ ٢٠٠٦، أن عدد القتلى بلغ ٢٧ قتيلاً، والجرحى أكثر من ٣٠ مواطناً. والمعلومات تفيد عن وجود ضحايا تتعفن جثامينها تحت الردم، لتعذر نبشه.

*** مجزرة عيناثا (بنت جبيل):**

استهدف الطيران الإسرائيلي بقذائفه عصر الاربعاء في ١٩/ ٧/ ٢٠٠٦، منزل سامي درويش في البلدة المذكورة ودمره تدميراً كاملاً.

الضحايا: خمسة قتلى بينهم صاحب المنزل، وابنتاه وحفيدة لإحداهن، ومربية أجنبية. أمَّا الجرحى فهم: سميح دكروب، وسبعة أشخاص آخرين.

لبنان ٢٠/ ٧/ ٢٠٠٦ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

*** مجزرة سلعا (صور):**

استهدف الطيران الإسرائيلي بتاريخ ٢٠/ ٧/ ٢٠٠٦ بقذائفه منزلاً

في بلدة سلعا. الضحايا: خمسة مواطنين: زوجان وولداهما وقريبة لهم، وتعذر الحصول على تفاصيل.

٢٠/٧/٢٠٠٦ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

*** مبنى الدفاع المدني:**

استهدف الطيران الإسرائيلي مبنىً في محلة الرمل في صور مؤلف من تسع طبقات، بقذائف الطيران، وذلك بتاريخ ١٦/٧/٢٠٠٦. ومن المعلوم أن هذا المبنى يستخدم في إحدى طبقاته مركز الدفاع المدني. وأدّى إطلاق الصواريخ عليه إلى التسبب بوفاة عشرة أشخاص من بينهم طفلان، عُرف منهم: حسن مزيد، هيثم مزيد، حسين مزيد، علي مسلماني، محمد حسن علم الدين، بالإضافة لخمسين جريحاً، وفق ما ورد في جريدة البلد تاريخ ١٧/٧/٢٠٠٦.

ونقلت جريدة النهار بتاريخ ٢٠/٧/٢٠٠٦، في معرض لائحة أسماء الذين تم دفن جثامينهم جماعياً في الحديقة الخلفية لمستشفى صور الحكومي، أسماء الضحايا.

لبنان: ٢٥/٧/٢٠٠٦ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

*** مجزرة معربون (البقاع):**

نقلت جريدة السفير في عددها الصادر بتاريخ ٢٠/٧/٢٠٠٦، أنَّ الطيران الإسرائيلي ألقى حممه على ثلاث شاحنات (بيك أب) عائدة لمزارعين من بلدة معربون، أرادوا أن يحصدوا مواسمهم لسد رمق

أطفالهم، لكن الهجمة الشرسة كانت أسرع منهم، فحصدت أرواحهم، واستشهد خمسة مواطنين.

لبنان في ٢٠/ ٧/ ٢٠٠٦ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

*** مجزرة النبطية:**

استهدف الطيران الإسرائيلي فجر الأربعاء في ١٩/ ٧/ ٢٠٠٦ مبنى الكابيتول التجاري في وسط المدينة فدمره مع العديد من الأبنية التجارية، والمنازل السكنية المجاورة. وبلغ عدد الضحايا خمسة منهم: مواطنة من التابعية السيرلانكية. وبلغ عدد الجرحى خمسة مواطنين نُقلوا إلى المستشفى الحكومي في النبطية. وقد أدت هذه الغارة أيضاً لاستهداف سيارة اسعاف تابعة لنادي بيت الطلبة في النبطية ونجاة طاقمها من الموت بأعجوبة.

٢٠/ ٧/ ٢٠٠٦ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

*** مجزرة الحوش (صور):**

استهدف الطيران الإسرائيلي بقذائفه (فيلا) قدسي ليل الثلاثاء في ١٧/ ٧/ ٢٠٠٦، ودمرها بالكامل على مَنْ فيها، وكانوا سبعة.

أربعة قتلى، منهم المربية السيرلانكية، وثلاثة جرحى.

٢٠/ ٧/ ٢٠٠٦ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

*** مجزرة النبي شيت (بعلبك):**

استهدف الطيران الإسرائيلي بقذائفه نهار ١٩/ ٧/ ٢٠٠٦ منزلاً

سكنياً مؤلفاً من أربع طوابق يخص حسن شكر (مغترب في كندا) وقد دمره بالكامل.

وبلغ عدد الضحايا خمسة، وعدد الجرحى ثلاثة، نُقلوا إلى مستشفى رياق في زحلة.

وقضى نازحون من ميس الجبل في ذات المنزل، هم: علي سليمان شقير وزوجته هلا هزيمة.

٢٠/ ٧/ ٢٠٠٦ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

*** المجزرتان اللتان لحقتا بأهالي بلدة عيترون (بنت جبيل):**

١ ـ استهدف الطيران الإسرائيلي بقذائفه منزلي علي وحسن الأخرس في بلدة عيترون نهار ١٢/ ٧/ ٢٠٠٦. ودمرهما بالكامل على من فيهما.

وأدّى إلى مقتل ١١ مواطناً، منهم أفراد من عائلة حسن الأخرس (الكندي الجنسية).

٢ ـ استهدف الطيران الإسرائيلي بقذائفه نهار ١٧/ ٧/ ٢٠٠٦، منزلي محمد أحمد عواضة وحسن موسى عواضة، ودمرهما بالكامل على مَنْ فيه، مما تسبب بقتل حسن وزوجته وابنتيهما وصهرهما نايف موسى عواضة وستة أطفال، بحيث بلغ مجموع القتلى ١٣ مواطناً، عدا عن الجرحى.

*** مجزرة زبقين (صور):**

استهدف الطيران الإسرائيل بقذائفه بلدة زبقين، ودمر منزل المختار السابق نعيم بزيع، المؤلف من ثلاث طوابق، على رؤوس

قاطنيه. وبلغ عدد الضحايا القتلى، من دون الجرحى، من النساء والأطفال والرجال: عشرة قتلى.

*** مجزرة مفرق العباسية ــ صور:**

استهدف الطيران الإسرائيلي بقذائفه بتاريخ ١٦/ ٧/ ٢٠٠٦ مبنى مؤلفاً من طابقين، يقع على مفرق العباسية ـ صور، بجوار مستشفى جبل عامل، ودمره تدميراً كاملاً. والضحايا كانوا جميعهم من بلدة مارون الراس (بنت جبيل).

ونشرت جريدة البلد بتاريخ ١٧/ ٧/ ٢٠٠٦، أسماء الضحايا الذين بلغ عددهم ثمانية.

*** مجزرة عِبَّا (النبطية):**

استهدف الطيران الإسرائيلي بقذائفه بتاريخ ١٦/ ٧/ ٢٠٠٦ منزل المواطن عبد العزيز ترحيني، الكائن على طريق عام عِبَّا ـ جبشيت، وأصيب بالقذائف منزل عادل الحج ملحم، المجاور، وأدى إلى مقتل ووفاة اثني عشر مواطناً.

لبنان في ٢٥/ ٧/ ٢٠٠٦ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

*** مجزرة الشميس (شحيم):**

استهدف الطيران الإسرائيلي بقذائفه بتاريخ ١٧/ ٧/ ٢٠٠٦، منزلاً في محلة الشميس، خراج بلدة شحيم، وأسفر عن سقوط خمسة قتلى وأكثر من عشرة جرحى، وتعذر معرفة شخصين تناثرت أشلاءهما.

لبنان في ٢٥/ ٧/ ٢٠٠٦ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

* **مجزرة شحور (صور):**

استهدف الطيران الإسرائيلي بقذائفه بتاريخ ١٣/ ٧/ ٢٠٠٦ منزل المواطن علي خشاب، نقلاً عن جريدة النهار ١٤/ ٧/ ٢٠٠٦.

دُمر المنزل على مَنْ فيه، وعُرف من الذين قضوا تحت الأنقاض:

١ ـ علي خشاب.

٢ ـ صافي علي خشاب.

٣ ـ أولاد المذكورين الخمسة.

لبنان في ٢٥/ ٧/ ٢٠٠٦ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

* **مجزرة برج الشمالي (صور):**

استهدف الطيران الإسرائيلي بقذائفه بتاريخ ١٦/ ٧/ ٢٠٠٦ منزل المواطن رامز زيات في برج الشمالي ودمره تدميراً كاملاً على مَنْ فيه. أوردت جريدة البلد بتاريخ ١٧/ ٧/ ٢٠٠٦، أسماء الضحايا وهم رامز زيات، وزوجته، وزوجة أخيه، وطفلين وسقوط ثمانية جرحى.

وأوردت جريدة النهار في عددها الصادر بتاريخ ٢٠/ ٧/ ٢٠٠٦، أسماء الضحايا في الحادث المذكور ضمن لائحة مراسم الدفن الجماعي أيضاً.

لبنان في ٢٥/ ٧/ ٢٠٠٦ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

* **مجزرة ياطر (صور):**

استهدف الطيران الإسرائيلي بقذائفه بتاريخ ١٤/ ٧/ ٢٠٠٦، منزل المواطن علي محمد عقيل سويدان (أبو عقيل)، وبلغ عدد الضحايا خمسة.

لبنان في ٢٥/ ٧/ ٢٠٠٦ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

*** مجزرة الدوير (النبطية):**

استهدف الطيران الإسرائيلي بقذائفه بتاريخ ١٣/ ٧/ ٢٠٠٦ منزل المواطن علي عكاش المؤلف من ثلاث طوابق ودمره تدميراً كاملاً على مَنْ فيه، وهم كامل أسرة صاحب المنزل وبلغ عددهم ١٢.

لبنان في ٢٥/ ٧/ ٢٠٠٦ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

*** مجزرة بافلاي (صور):**

استهدف الطيران الإسرائيلي بقذائفه بتاريخ ١٦/ ٧/ ٢٠٠٦ منزل المواطن منير الزين ودمره تدميراً كاملاً على مَنْ فيه، وتسبب بمقتل ثمانية أشخاص، منهم اثنان كويتيا الجنسية.

لبنان في ٢٥/ ٧/ ٢٠٠٦ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

*** مجزرة مروحين (صور):**

كانت هذه المجزرة هي الأبرز بين المجازر التي ارتكبها العدوان الإسرائيلي لفظاعتها، وما رافقها من التباس، برفض القوات الدولية إيواء أهالي بلدة مروحين، بعد أن تلقوا تهديدات بإخلاء البلدة من قبل المستوطنين اليهود في مستوطنة (زرعيت) المجاورة، عبر مكبرات الصوت، الأمر الذي اضطرهم للنزوح نحو صور حيث كان الطيران الحربي بالمرصاد لموكبٍ هو عبارة عن بيك أبات وفان صغير ينقل النازحين، وقصفهم بقذائفه عند بلدة البياضة، حيث نقلت وسائل

الإعلام نبأ مقتل ثلاثٍ وثلاثين مواطناً بينهم تسعة أطفال ماتوا حرقاً، ونُقل الجرحى إلى مستشفيات صور.

*** مجزرة النبطية الثانية:**

استهدف الطيران الإسرائيلي بقذائفه ليل ٢٥/٧/٢٠٠٦، منزل المواطن سعد حمزة، فدمرته تدميراً كاملاً، وتسبب بمقتل سبعة مواطنين كانوا بداخله وجرحى بجوار المنزل.

لبنان في ٢٦/٧/٢٠٠٦ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

*** مجزرة حدَّاثا (بنت جبيل):**

استهدف الطيران الإسرائيلي بقذائفه في ظهر ٢٨/٧/٢٠٠٦، منزل المواطن حسين محمد صبرا، المجاور لحسينية النساء، فدمّره تدميراً كاملاً، وأدَّى إلى مقتل ستة أشخاص.

لبنان في ٣١/٧/٢٠٠٦ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

*** مجزرة كفر جوز (النبطية):**

استهدف الطيران الإسرائيلي بقذائفه نهار ٢٨/٧/٢٠٠٦ بداية منزل المواطن عباس رحمة المؤلف من ثلاث طوابق ودمره بالكامل مع أضرار لحقت بمبانٍ مجاورة، واستتبع بغارة لاحقة لمبنى (دانية الخليل) المؤلف من ثلاث طوابق ودمره بالكامل وأدَّى إلى مقتل:

١ ـ حسين بسمة.

٢ ـ أنيسة عطوي (زوجته) وكانا مختبئين في ملجىء مجاور.

ثم حصلت غارة جديدة على بلدة كفر جوز وتسببت بمقتل كل من:

١ ـ حسام حسين أبو شمط (أردني الجنسية) وزوجته.

٢ ـ عقيل نايف حمود (سوري الجنسية).

٣ ـ ليلى ضاهر مرعي (سورية الجنسية).

أما الجرحى فلم تعرف أسماؤهم ونُقلوا إلى مستشفيات النبطية، ومستشفى الشهيد الشيخ راغب حرب.

لبنان في ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

*** مجزرة دير قانون النهر (صور):**

استهدف الطيران الإسرائيلي بقذائفه مساء ٢٨/ ٧/ ٢٠٠٦، منزل المواطن عبد عزالدين ودمره بالكامل، وبلغ عدد الضحايا أربعة، وعددٍ من الجرحى.

لبنان في ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

*** مجزرة ياطر الثانية (بنت جبيل):**

استهدف الطيران الإسرائيلي بقذائفه نهار ٢٨/ ٧/ ٢٠٠٦، منازل وطرقات داخلية في بلدة ياطر تسببت بوفاة أربعة أشخاص.

لبنان في ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

*** مجزرة النميرية (النبطية):**

استهدف الطيران الإسرائيلي بقذائفه نهار ٢٩/ ٧/ ٢٠٠٦، منزلي المواطنين عدنان الحركة ونايف بدير، وتم تدميرهما، وأسفر الحادث

عن استشهاد عائلة عدنان الحركة بكاملها. زوجته سوسن مهدي وأولادهما الخمسة.

لبنان في ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

*** مجزرة عين عرب (البقاع الغربي):**

استهدف الطيران الإسرائيلي بقذائفه نهار ٢٩/ ٧/ ٢٠٠٦، بلدة عين عرب ودمرت منازل استشهد فيها ٦ مواطنين وفق جريدة السفير (٣٠/ ٧/ ٢٠٠٦).

*** مجزرة يارون (بنت جبيل):**

استهدف الطيران الإسرائيلي بقذائفه نهار ٣٠/ ٧/ ٢٠٠٦ منزلاً يختبىء فيه المواطنون، ودمره على مَنْ فيه، وأوردت جريدة السفير في عددها (٣١/ ٧/ ٢٠٠٦) أن الحادث أودى بحياة ثلاث نساء وثلاثة أطفال من آل خنافر، عُرف منهم المواطنة زينب خنافر، وطفلتيها زهراء ودانية، ووالدة زوجها.

لبنان في ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

*** مجزرة قانا الثانية:**

* بعد ١٠ أعوام على المجزرة الإسرائيلية الأولى في قانا، ارتكبت مجزرة إسرائيلية ثانية في قانا خلال حرب تموز (٢٠٠٦) اليوم التاسع عشر من الثلاث والثلاثين يوماً. أكثر من ٦٠ قتيلاً معظمهم من النساء والأطفال كانت حصيلة مجزرة قانا الثانية التي ارتكبها الطيران الإسرائيلي بقصفه لمبنىً في البلدة التي كان قد لجأ إليه مدنيون بينهم ٣٩ طفلاً. وأعادت المجزرة الجديدة التي حملت إسم «قانا ـ ٢ ـ» إلى

الأذهان مجزرة قانا الأولى التي ارتكبتها إسرائيل عام ١٩٩٦ وأودت بحياة العديد من المدنيين اللبنانيين الذين كانوا قد احتموا في مركز للقوات الدولية.

وجاء النبأ على الشكل الآتي:

أغارت الطائرات الحربية الإسرائيلية حوالي الساعة الواحدة بعد منتصف ليل أمس بتوقيت غرينتش على مبنىً مؤلف من ثلاث طوابق في بلدة قانا في جنوب لبنان، ما أدّى إلى انهياره ومبانٍ مجاورة له ومقتل ٥٥ مدنياً معظمهم من الأطفال والنساء.

إنَّ هذه المجزرة وغيرها من المجازر التي ارتكبها العدو الصهيوني لهي أصدق تعبير عمّا في دمه من تراث الهمجية، وستظل تقض مضجعه الآلام وعدم الراحة في ظل الكفاح الجهادي المستمر لما يحدثه بالفعل من اضطرابٍ في عقولهم ونفوسهم التي لن تحلم بالراحة حتى يزولون ـ بإذن الله ـ من الوجود.

وفي أعقاب تناقل أنباء هذه المجزرة انعقد مجلس الأمن مساء ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦، ولم يُتوصل لاتخاذ أي قرار بإدانة إسرائيل، بفعل الفيتو الاميركي المتبني للإعتداءات الإسرائيلية دائماً.

وقد عرف من الشهداء الذين تم نقل جثثهم إلى مستشفى صور الحكومي كل من:

أ ـ عائلة هاشم:

١ ـ مهدي أحمد هاشم. ٢ ـ حسن هاشم.

٣ ـ إبراهيم هاشم. ٤ ـ فاطمة محمد هاشم.

٥ ـ علي أحمد هاشم. ٦ ـ محمد مهدي هاشم.

٧ ـ إبراهيم أحمد هاشم. ٨ ـ مهدي أحمد هاشم.

٩ ـ جعفر مهدي هاشم. ١٠ ـ إبراهيم أحمد هاشم.

ب ـ عائلة شلهوب:

١ ـ لينا محمد شلهوب. ٢ ـ نبيلة علي شلهوب.

٣ ـ علي أحمد محمود شلهوب. ٤ ـ تيسير محمد أحمد شلهوب.

٥ ـ زينب علي أمين شلهوب. ٦ ـ علي أحمد شلهوب.

٧ ـ يحيى أحمد شلهوب. ٨ ـ حوراء محمد قاسم شلهوب.

٩ ـ يحيى محمد قاسم شلهوب. ١٠ ـ علي محمد قاسم شلهوب.

١١ ـ أحمد محمود شلهوب. ١٢ ـ إبراهيم محمود شلهوب.

١٣ ـ حسناء قاسم شلهوب. ١٤ ـ محمد قاسم شلهوب.

١٥ ـ أمينة محمد قاسم شلهوب. ١٦ ـ نبيلة أمين شلهوب.

١٧ ـ أحمد محمد شلهوب.

١٨ ـ طفلة لم يُعرف إسمها، إبنة محمد قاسم شلهوب.

١٩ ـ زوجة محمد أحمد شلهوب.

إضافة إلى شهداء العائلتين:

١ ـ خديجة علي يونس. ٢ ـ مريم حسن محسن.

٣ ـ عفاف الزبد.

وعُرف من الجرحى:

١ ـ نجوى شلهوب. ٢ ـ محمد قاسم شلهوب.

٣ ـ محمد علي شلهوب. ٤ ـ حسن محمد شلهوب.

٥ ـ هلا أحمد شلهوب. ٦ ـ زينب شلهوب.

٧ ـ رباب محمود يوسف. ٨ ـ خديجة عربيد.

٩ ـ إيمان حسين.

ونقلت جريدة السفير في عددها تاريخ ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦، عن لسان إبراهيم محمد شلهوب، الذي نجا من الموت لوجوده خارج المبنى المدمر، لحظة الحادث، أنَّ ثلاث جثث أخرى في حارة البركة «مدمولة تحت الردم» في بيت: غازي مراد وشريف السيد.

لبنان في ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

*** مجزرة حاريص (بنت جبيل):**

استهدف الطيران الحربي منزلي خليل جواد وعلي شعبان، قرب خزان المياه بقذائفه ودمرهما تدميراً كاملاً، نُقل الخبر عبر مناشدة من بلدية حاريص نشرتها جريدة السفير بتاريخ ١/ ٨/ ٢٠٠٦.

ونشرت الجريدة ذاتها بتاريخ ٢/ ٨/ ٢٠٠٦ تحت عنوان انتشال جثث، فقرة ورد فيها: تواصلت جهود انتشال الجثث من تحت أنقاض المنازل المدمرة في قرى قضاء بنت جبيل حيث نقل الصليب الأحمر، والدفاع المدني، والجيش اللبناني والهيئات الإنسانية إلى مستشفى صور الحكومي عدداً من الجثث من بلدات عيناتا وكونين، ويارون،

وعيترون، ومن حي الخزان في حاريص. حيث كان هناك أكثر من عشر جثث.

لبنان في ٢/٨/٢٠٠٦ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

*** مجزرة اللويزة (اقليم التفاح):**

استهدف الطيران الإسرائيلي بقذائفه عصر ١/٨/٢٠٠٦ منزل المواطن سليم هاشم ودمره بالكامل، وقتل كل مَنْ فيه، وبلغوا: خمسة قتلى. وعُرف من الجرحى غالب هاشم الذي نقل إلى أحد المستشفيات.

لبنان في ٢/٨/٢٠٠٦ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

*** مجزرة الحلوسية (صور):**

نشرت السفير في عددها الصادر بتاريخ ١/٨/٢٠٠٦ نقلاً عن كشافة الرسالة، أن فرق الإسعاف التابعة لها وجدت قرب المدينة الخضراء عند مدخل معروب الشرقي، قرب محطة المحروقات، جثة متفحمة في سيارة من نوع فولو بنية اللون.

كما وجدت منزل المواطن حسين مونس في بلدة الحلوسية مدمراً على أكثر من ثمانية شهداء.

أولاد حسين مونس، أم عدنان خميس مونس، ناهية خميس مونس، إبتسام مونس، كلثوم مونس، وزوجة الشيخ محمد حمد، ولكن لم يستطع رجال الدفاع المدني سحب الجثث بسبب كثافة وثقل الأنقاض، الأمر الذي يتطلب آليات وجرافات.

لبنان في ٢/٨/٢٠٠٦ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

*** مجزرة معروب (صور):**

نشرت جريدة السفير في عددها الصادر بتاريخ ٣٠/٧/٢٠٠٦، تمكُّن مسعفو الصليب الأحمر اللبناني في صور من الوصول إلى محيط بلدة معروب ـ تحديداً قرب المدينة الخضراء ـ وانتشال خمس جثث عائدة لعائلة استشهدت قبل نحو أسبوع، وظلت تحت الركام حتى أمس، وهذه الجثث تعود لكل من:

الشيخ عبد الحسين طالب الخليل.

٢ ـ زوجته فاطمة ماجد.

أطفالهما: علي ومحمد وطالب.

لبنان في ٢/٨/٢٠٠٦ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

*** مجزرة بعلبك:**

ليل ١ ـ ٢/٨/٢٠٠٦، قامت القوات الإسرائيلية بعملية إنزال مجوقلة في محلة الجمالية، شمال مدينة بعلبك، قرب مستشفى الحكمة، مستهدفةً بتقديراتها وجود الشيخ محمد يزبك، أحد قادة حزب الله في المستشفى.

وقد نقلت النبأ وسائل الإعلام، ومن بينها تلفزيون الجزيرة الذي قدر عدد من قضوا في هذا الحادث أحد عشر شهيداً عدا عن الجرحى، واختطاف ثلاث مواطنين، نفى حزب الله أن يكون لهم إنتماء به. كما نشرت الخبر جريدة السفير بتاريخ ٢/٨/٢٠٠٦، من دون تفاصيل عن

الضحايا. سبق عملية الإنزال قطع الطريق من عدة اتجاهات لمنع أي امدادات تصل.

*** مجزرة القاع (البقاع الشمالي):**

بتاريخ: ٢٠٠٦/٨/٤ أقدمت قوات العدوان الصهيوني ظهراً على ارتكاب مجزرة جديدة في بلدة القاع الواقعة في أقصى الشمال الشرقي اللبناني من منطقة البقاع، والتي لا تبعد عن الحدود السورية سوى بضعة كيلومترات، مستهدفةً العمال الزراعيين في مزرعة للفاكهة مملوكة لناصر الجمالي وطوني شديد. وقد استهدفت الصواريخ مبنى توضيب الخضار، وأصابت أكثر من خمسين عاملاً يعملون في هذه الورشة الزراعية.

وتمَّ نقل جثامين الضحايا وكذلك الجرحى إلى مستشفى حمص، باعتباره أقرب موقع صحي لمكان الحادث.

ومن الضحايا الذين عُرِفت أسماؤهم ثمانية عشر إسماً، غالبيتهم من الأكراد السوريين.

لبنان في ٢٠٠٦/٨/٥ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

*** مجزرة الطيبة (مرجعيون):**

استهدف الطيران الإسرائيلي بصواريخه عصر ٢٠٠٦/٨/٤، منزلاً في بلدة الطيبة، تجمَّع فيه مواطنون للإحتماء من العدو الإسرائيلي الذي يستهدف بلدتهم.

وقد أدّى الحادث إلى استشهاد سبعة مواطنين وإصابة عشرة آخرين بجراح.

لبنان في ٥/٨/٢٠٠٦ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

*** مجزرة الناقورة:**

نقلت مختلف وكالات الأنباء ومن بينها جريدة السفير في عددها الصادر بتاريخ ٧/٨/٢٠٠٦ أنَّ الطائرات الإسرائيلية أغارت عند الساعة التاسعة والثلث صباحاً على منزل في بلدة الناقورة الحدودية، مما أدى إلى استشهاد ثلاثة مواطنين من عائلة غريِّب، وجرح مواطن آخر.

تعذر الحصول على أسماء الضحايا بسبب الحصار المفروض على البلدة.

لبنان في ٨/٨/٢٠٠٦ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

*** مجزرة انصار (النبطية):**

قام الطيران الإسرائيلي بغارة جوية منتصف ليل ٦ ـ ٧/٨/٢٠٠٦، مستهدفاً بصواريخه منزل المواطن إبراهيم زين عاصي وتم تدميره على رؤوس مَنْ فيه.

وبلغ عدد الضحايا خمسة، وثمانية جرحى.

لبنان في ٨/٨/٢٠٠٦ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

*** مجزرة حولا (مرجعيون):**

أثناء انعقاد مؤتمر وزراء الخارجية العرب في بيروت بتاريخ ٧/٨/

٢٠٠٦، انتشر خبر تعرض بلدة حولا لقذائف الطيران مستهدفة أماكن تجمع فيها عدد من أهالي البلدة المحاصرة. فقُتل خمسة أشخاص على الفور وأُصيب آخرون بجروح. وتمكنت فرق الإنقاذ من الوصول بصعوبة إلى البلدة، حيث عثرت على ستين مواطناً بينهم ٣٥ طفلاً أحياء داخل الملجأ تحت أنقاض المنزل المدمر، وانتشلتهم بصعوبة ونقلتهم إلى مكان آخر.

لبنان في ٨/٨/٢٠٠٦ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

*** مجزرة كفر تبنين (النبطية):**

أغار الطيران الإسرائيلي بتاريخ ٧/٨/٢٠٠٦، على مجموعة من المنازل السكنية في كفر تبنيت ودمرها بالكامل قضى في هذه الغارة ثلاثة أشخاص، وأصيب عدة مواطنين بجروح تمَّ نقلهم إلى مستشفيات النبطية.

وترافقت هذه المجزرة بغارة استهدفت منزل المواطن صالح حرب في بلدة حاروف ودمرته وأدَّت لاستشهاد الشقيقتين فاطمة، وسارة محمد كركي، وجرح الشقيقان أحمد، وخليل السيد.

لبنان في ٨/٨/٢٠٠٦ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

*** مجزرة بريتال (البقاع):**

ألقى الطيران الإسرائيلي بصواريخه على بلدة بريتال عند الساعة الثامنة مساءً من يوم ٧/٨/٢٠٠٦، مستهدفاً عدداً من المنازل المجاورة

للنادي الحسيني في وسط البلدة ودمرها بالكامل، وقدرت وسائل الإعلام الضحايا بـ١٣ شهيداً.

كما ترافقت هذه المجزرة بغارة للطيران على بلدة شمسطار على منزل عبد الله اسماعيل يوسف الذي سبق ودُمر في غارة سابقة، واستشهد المواطن عباس راغب العزير، وأُصيب ثمانية أشخاص بجروح نقلوا بدورهم إلى مستشفيات المنطقة.

لبنان في ٢/ ٨/ ٢٠٠٦ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

*** مجزرة الغسانية (صيدا):**

فجر ٧/ ٨/ ٢٠٠٦ استهدف الطيران الإسرائيلي منزل المواطن عبد الله طعمة، ودُمر على مَنْ فيه، ممَّا أدى لاستشهاد ستة أشخاص.

لبنان في ٨/ ٨/ ٢٠٠٦ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

*** مجزرة الغازية (صيدا):**

شنَّ الطيران الإسرائيلي سلسلةً من الغارات على بلدة الغازية نهار ٧/ ٨/ ٢٠٠٦ ملقياً بحمم صواريخه على عددٍ من الأبنية السكنية مما أدى لاستشهاد ما لا يقل عن ٢١ مواطناً بينهم أطفال ونساء إضافةً إلى أكثر من ٣٠ جريحاً، بالإضافة لتدمير مبانٍ وتضرر أخرى.

* الغارة الأولى: استهدفت منزلاً من طابقين، في ساحة العين، يقيم فيه إبراهيم خليفة الذي كان قد غادره صباحاً، ومحمد كاعين وأحمد مصطفى غدار.

* الغارة الثانية: استهدفت بناية من ثلاث طوابق لآل بدران، في

حي البيدر ـ شارع الديوان، يقطنها الأشقاء الثلاثة: علي وأحمد وحسين بدران، وأدت إلى تدميرها تدميراً كاملاً على مَنْ فيها.

*** مجزرة الشياح (الضاحية الجنوبية من بيروت):**

بعد أن أمطرت القوات الإسرائيلية مختلف مناطق الضاحية الجنوبية، بوابل صواريخها المدمرة، وسَّعَتْ دائرة قصفها إلى منطقة الشياح التي قُصفت عند الساعة الثامنة من مساء ٧/٨/٢٠٠٦ وأصابت مبنىً سكنياً مؤلفاً من ثماني طوابق في شارع الحجاج، دُمِّر بالكامل. وباتت برادات المستشفيات تحتضن أكثر من عشرين شهيداً. وتأن بأوجاع أكثر من ٣٠ جريحاً.

لبنان في ٨/٨/٢٠٠٦ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

*** مجزرة الغازية الجديدة:**

استتبعت الآلة العسكرية الإسرائيلية مجزرة الغازية الأولى بمجزرة ثانية، إذ ما كاد أهالي البلدة يلملمون جثامين المجزرة الأولى، ويتجمعون عصر ٨/٨/٢٠٠٦، في باحة الحسينية، ويتجهون إلى مقبرة البلدة، حتى تجددت الغارات عليها، وعلى بعد ثلاثمئة متر من موكب تشييع شهداء مجزرة ٧/٨/٢٠٠٦.

أدَّى هذا القصف الجديد إلى استشهاد ١٤ مواطناً، وتسبب بجرح ما يقارب ٤٠ مواطناً.

لبنان في ٩/٨/٢٠٠٦ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

*** مجزرة معروب (صور):**

أوردت جريدة السفير في عددها الصادر بتاريخ ٢٠٠٦/٨/٩ : أن «مبرَّة الإمام علي» في معروب، تعرضت عند الساعة السادسة إلا ربع صباحاً لغارتين أدَّتا إلى تدمير جزء منها ووقوع عدد من الإصابات. ونقل ناطور المبرة خليل موسى جريحاً إلى مستشفى صور الحكومي فيما ظلت زوجته وأطفاله الثلاثة تحت الإنقاض في ملجأ المبرة لا يُعرف عنهم شيئاً.

لبنان في ٢٠٠٦/٨/٩ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

*** مجزرة الطيبة (مرجعيون):**

استهدف الطيران الإسرائيلي بصواريخه عصر ٢٠٠٦/٨/٤، منزلاً في بلدة الطيبة، تجمع فيه مواطنون للإحتماء من القصف الجوي الإسرائيلي الذي يستهدف بلدتهم.

وقد أدَّى القصف إلى استشهاد سبعة مواطنين وإصابة عشرة آخرين بجروح.

لبنان في ٢٠٠٦/٨/٥ ـ الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان.

*** ضربة موجعة:**

خلال حرب تموز بتاريخ: ٢٠٠٦/٧/٦ قصفت المقاومة الإسلامية مستعمرة «كفر جلعاد» وأصابت تجمعاً للعدو الصهيوني كان يستعد لمساندة قواته في جنوب لبنان، أسفر سقوط القذائف عن مقتل

اثني عشر جندياً صهيونياً ونحو عشرين آخرين منعت خلاله قوات الإحتلال الصحافة الأجنبية عن التصوير.

«وما رميت إذا رميت ولكن الله رمى».

*** آخر تبادل للأسرى:**

بتاريخ ١٦ تموز ٢٠٠٨ تم تحرير (عميد الأسرى) سمير القنطار من أسرٍ مؤبد في السجون الإسرائيلية للكيان الصهيوني المحتل مع أربعةٍ من أسرى المقاومة الإسلامية، وثمانية شهداءٍ لها، ونحوٍ من مائةٍ وتسعةٍ وسبعين شهيداً من عربٍ لبنانيين وغير لبنانيين كانوا قد أصبحوا رفاتاً أو عظاماً.

لقد كان الثمن باهظاً، ولكن إرادة الصمود والعزّ ظلت باقية.

كلمة أخيرة

إن الأحداث لا تنتهي حتى ينتهي عمر البشرية فحسبنا ما رأينا سرده وعرضه، فعيون البشر لا تبصر إلا المحسوس من الأشياء وهو كثير. وهم وإن أدركوه فلا يقدرون إلا على رؤية ما رأته أبصارهم لا ما رأته قلوبهم. وما يعلق في القلب وينطبع فيه هو الأساس. فالعيون الروحية هي المطلب، وهذه العيون هي مخافة الله بالقلب، واحتقار كل الأصنام البشرية، والاستفادة، وأخذ العبرة من الماضي الذي يتكرر بسُننه، وأفعال بَشَرِه.

فليندب المرء نفسه لما يقرأ، ويعرف الحق حتى لا يقع في الجهل، ويسوء فعله، فيسرق المال، والشرف، والحياة، ويكون أعمى حقاً لا يدري كيف ينال النور. إن الإنسان لا يقدر أن يفقه الكلام حتى يصيخ السمع. ولعمر الله لو أن الإنسان أصاخ السمع لصوت الحق ما ظلم، ولا سرق، ولا قتل، ولا دمَّر البشرية بما يصنع، ولكن زُيِّن للمسرفين ما كانوا يعملون.

المصادر

١ ـ الكامل في التاريخ لإبن الأثير.

٢ ـ دائرة المعارف الإسلامية الشيعية (حسن الأمين).

٣ ـ قصة الحضارة (وِل ديورانت).

٤ ـ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (آدم متز).

٥ ـ المائة الأوائل (مايكل هارت).

٦ ـ بعض الموسوعات العلمية.

٧ ـ وثائق الأخبار والأحداث الإعلامية، ومصادر أخرى ذكرناها ضمن الخبر أو الحدث.

الفهرس

الجزء الأول

الفصل الأول
البداية

الفصل الثاني
أسماء ما قبل الميلاد

الفصل الثالث
مسيحيات

الفصل الرابع
في أحوال النبي ﷺ

الفصل الخامس
في أحوال علي عليه السلام

الفصل السادس
في احوال بني أُمية ومروان

الفصل السابع
في أحوال بني العباس

الفصل الثامن
طرائف

الفصل التاسع
طوائف وحركات

الفصل العاشر
الشيعة وسابق الزمان

الفصل الحادي عشر
أندلسيات

الفصل الثاني عشر
علماء وفلاسفة وشعراء

الفصل الثالث عشر
نســـــــاء

الفصل الرابع عشر
أسماء للتاريخ

الفصل الخامس عشر
الأتـــــراك

الفصل السادس عشر
لبنانيـــــات

الفصل السابع عشر
متفرقات

الفصل الثامن عشر
الألمان ـ البريطان

الفصل التاسع عشر
حروب وفشل

الفصل العشرون
صهيونيات

الجزء الثاني

الفصل الأول
قرآنيات

الفصل الثاني
لغة واحكام

الفصل الثالث
في رحاب الشعر

الفصل الرابع
في التصوف

الفصل الخامس
قالوا مصطلحات

الفصل السابع
في شرح وتأويل الشمس
والقمر والنجوم والكواكب
في المنام

الفصل الثامن
تطور مدارس الفقه الشيعي
عبر العصور

الفصل التاسع
علماء وعلميات

الفصل الحادي عشر
للعلم والصحة

الفصل العاشر
وقائع واحداث
ما بين عامي ١٩٨٢ ـ ٢٠٠٠
(لبنـــــان)

الفصل الحادي عشر
حرب تموز ٢٠٠٦
وقائع وأحداث
(لبنـــــان)